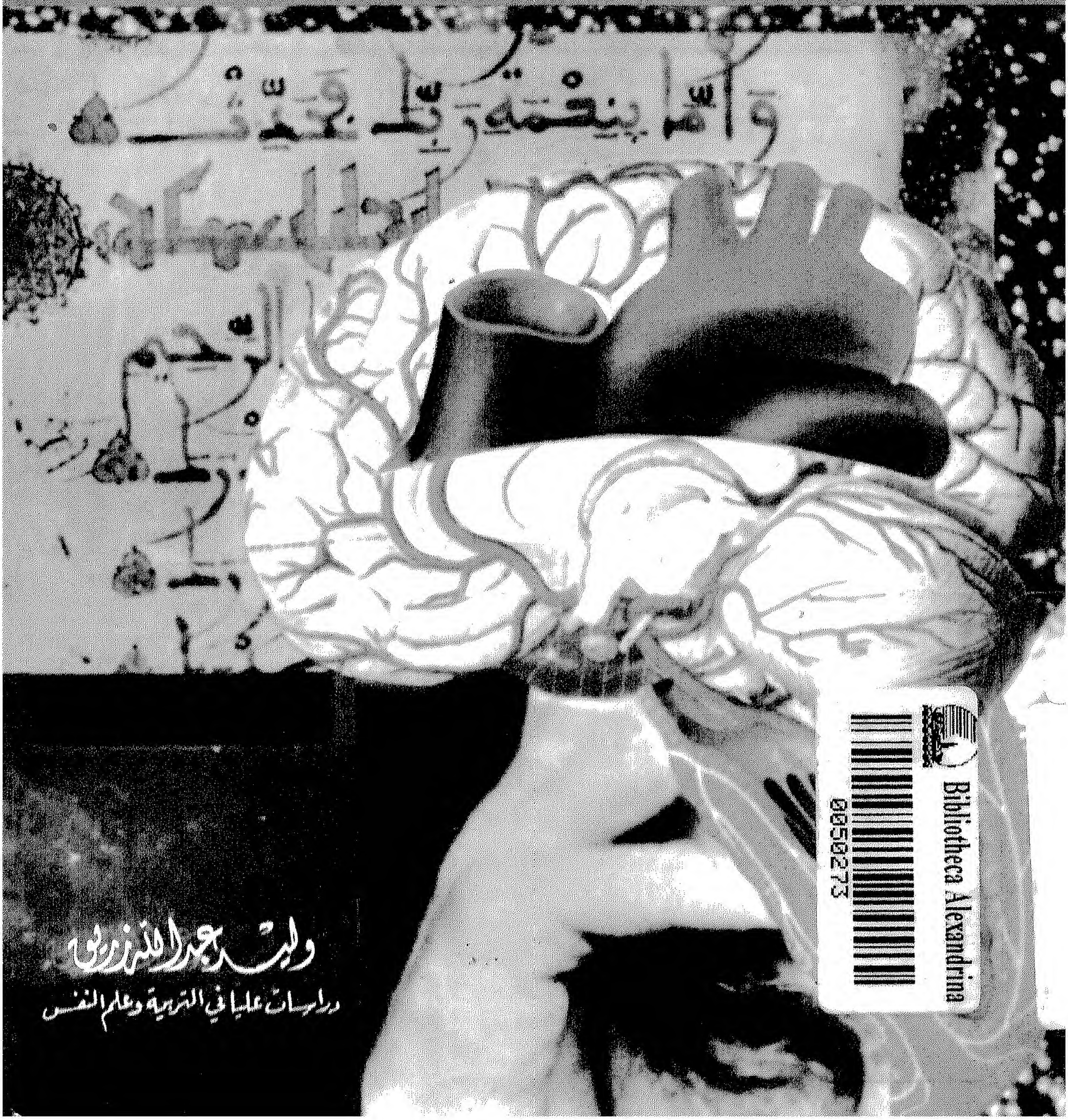
خواطر الإنسان

بين منظاري

علم النفس والقرآن



وليد عبدالله زريق

دراسات عليا في التربية وعلم النفس

وليد عبدالله زريق

دراسات عليا في التربية وعلم النفس

خواطر الإنسان

بين منظاري

علم النفس والقرآن

مطبعة الداودي - دمشق

موافقة وزارة الإعلام

٢٨٣١٦ تاريخ ٩/١٠/١٩٩٦

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق – القاهرة – حلب

هاتف : ٢٤١٤٣٤ – حلب

الإهـــداء

- إلى من يمضي الفترات الطوال من يومه وليلته تحت وطأة تساؤلات مدهشة لاهثة وراء أجوبة مطمئنة وشافية .

- إلى كل من يعاني من خواطر وضعته على حافة الشك والاضطراب .

- إلى كل من يبحث عن طمأنينة القلب وارتياح النفس .

- إلى كل من يعيش مستنيراً بمبادىء العقل ومهتدياً بنوره .

- إلى فضيلة الشيخ حكمت وإلى كل من الأخوة والزملاء الأساتذة والأحباء يوسف وبرهان وعدنان الذين شاركونا بعض العناء في إيصال هذا الكتاب لما هو عليه .

- إلى الزوجة والأولاد كل من أنس وأسامة وقتيبة وعبد الله الذين وفروا لي من جهدهم وتسامحهم ما مكنني من كتابة هذا الكتاب .

- إلى كل هؤلاء أهدي هذا الكتاب وأملي أن يجدوا فيه ما يصل بهم لنفس مطمئنة راضية مرضية تقع موضع الخطاب الإلهي الذي صورته الآية القرآنية ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

آيات من الذكر الحكيم تناسب مواضيع الكتاب

- ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد .

سورة ق – الآية ١٦

- وما أبرئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء .

سورة يوسف – الآية ٥٣

- وفي أنفسكم أفلا تبصرون .

سورة الذاريات – الآية ٢١

- ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون .

سورة الحشر – الآية ١٩

- لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة .

سورة القيامة – الآية ١-٢

فكرة الكتاب

مشروع هذا الكتاب مشروع قديم خامر عقلي وعاش فيه منذ بدأت الحياة الجامعية الأولى إذ وقعت عيناي على قراءة الحديثين التاليين عن رسول ا لله محمد /ص/ :

آ – قال رسول ا لله (ص) : لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيما أفناه وعن شبابه فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه **وعن علمه ماذا عمل فيه** .

ب – قال رسول ا لله (ص) : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية **أو علم يُنتفع** أو ولد صالح يدعو له .

فأسأل ا لله الذي يقول « **إنني معكما أسمع وأرى**[1] » أن يستجيب لندائي ويحقق غرضي وحاش لله أن يقفل باب الإستجابة بعد أن فتح باب الدعاء ، وكان مما دفعني إليه المبررات التالية :

– **تخبط الكثير من الناس في إيجاد تأويلات لبعض خواطرهم ، وتفسيرات تقترب من الصواب** حيناً وتبتعد عنه أحياناً .

– كثرة الخواطر التي كانت تراود نفسي بين الحين والآخر وتساؤلات عن تفسيرها في علم النفس وعن تفسيرها في القرآن .

– **ثقتي بخلو المكتبة العربية من كتاب كهذا يوفق** بين علم النفس والقرآن وإيماني بضرورة وجوده فيها .

---

[1] سورة طه – الآية (٢) .

وقد استطاع الأستاذ الشاعر يوسف الحسين أن يعبر عن فكرة الكتاب هـذه بأبيات قال فيها :

تحـيّرَ النـاس بـين الظـن والحـدس ... تفرقـوا شـعباً في عـالم النفـس
لمـا رأيتهـم شـتى في مذاهبهـم ... شديت رحلي وجشّمت السرى[1] عنسي[2]
رويـت بـالقرآن نقـع صبـابتي ... أثلجـت صـدري وأهديـت الرضـا نفسـي

هذه هي المبررات فلماذا كان له هذا العنوان ؟

في الجـواب أقـول أردت أن أدرس موضـوع الخواطـر متبعاً منهـج البحـث المقارن فاخترت قطبين لهذا البحث تراوحا بين أشرف وأقدس رسالة سماوية عرفتها البشرية وبين أنبل علم[3] كان بمنزلة خير هدية قدمت للإنسانية في القرن العشرين ، **بين القرآن الكريم وعلم النفس .**

كانت الفكرة من وراء وضع هذه الخواطر في مـيزان القـرآن إيمـاني بـأن مـا جـاء بـه القـرآن كـان شـاملاً لكـل شـيء في الحيـاة وكيـف لا والله هـو القـائل : ﴿ **ولا يأتونك بمثل** إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً[4] ﴾ .

لم أكن أغفل **العناء** والنصب الذي سينتظرني عند البحـث في هـذه الخواطـر بل وضعت ذلك نصب عيني **فأعملت عقلي فيه وأشغلت نفسي ووقتي في كتابتـه وكان توفيق الله يحالفني في بعض المواقف لدرجـة الإبـداع أو يقصـر بـي لدرجـة إعادة صوغ القديم بقالب جديد مع التصرف .**

---

(1) السرى : المشي المضني في الليل .

(2) عنسي : الناقة .

(3) يقول الغزالي : يؤخذ شرف المهنة من موضوعها .

(4) سورة الفرقان – الآية (٣٣) .

جاء الكتاب ليكشف ما كان مستوراً وليدخل بجرأة إلى **ما كان مهاباً وممنوعاً ومجهولاً وأملي أن** يجد فيه القاريء ما يقنعه في كل ما يخطر بباله من تساؤلات **والله من وراء القصد .**

تقديم

الإنسان مخلوق عجيب . يحلّق إلى أن يبلغ أسمى درجات الروحانية فيتصل با لله ويجتني منه ما لا يصح للملائكة ، أو ينحدر فينزل إلى أدنى درجات البهائم ، عجيب بدماغه ومخه الذي هو لحم ودم ، بل مادة سنجابية ومادة بيضاء ، والأغرب من ذلك أنه كتلة دهنية ومع ذلك **ترسل وتستقبل مخترقة الحجب ومحطمة الجدران** .

عجيب أمره ، عميق سرّه ، محكم بابه ، مجهول لغزه ، بلسان ينطق حين لاينطق في غيره اللسان [1] غاص في البحار واكتشف أسرارها وعرج إلى السماء وسخر قوانين حركة أفلاكها فاستغلها لصالحه ، استفاد من طاقة البخار الناتج من غليان الماء في نقل البضائع والمسافرين ، فتتت الذرة ، فجر الأرض دمَّر وامتلك زمام الكون مع ذلك بقي **ضعيفاً عاجزاً أمام كنه نفسيته وماهيتها ولم يحط بأسرارها** ونسي أن العالم الأكبر / الذي ما يزال يتحداه / قد انطوى فيها من هنا قال أحدهم :

أتحسب أنك جرم صغير — وفيك انطوى العالم الأكبر

ففي الإنسان انطوى العالم الكبير بعظمته وجبروته ومتانة حصونه وحدة أسلحته وسيبقى كذلك إلى يوم الفصل ، يوم يقوم الناس لرب العالمين وكيف لا والنفس سرٌ من أسرار ا لله في الإنسان حاول الكثيرون قبلنا أن يسبروا غوره

---

[1] كالأنعام من أغنام وأبقار وإبل وغير ذلك لها لسان ولكن لا تنطق والأغرب من ذلك أن ألسنتها تقوم بكل وظائف اللسان لدى الإنسان وينقصها النطق فقط .

ويدخلوا إلى أعماقه **فلم تدخلهم محاولاتهم إلا الباب فقط وبقوا عاجزين عن معرفة ما وراء هذا الباب** من هذه المحاولات (كتاب الإنسان ذلك المجهول) تأليف ألكسيس كاريل .

(وكتاب أسرار الخلقة وابداعها) تأليف الدكتور إحسان حقي وما كتابنا الحالي (خواطر الإنسان بين علم النفس والقرآن) **إلا محاولة لإزالة اللبس الذي يكتنف ماهية العلاقة بين مادية الإنسان وروحانيته** ، تلك النقطة التي ما زال الإنسان يرنو نحوها معجباً بما يجري ، مستمتعاً بما يرى ولكن دون جدوى وكأن لجاماً قد كبح جماح اندفاعه وأملنا با لله كبير أن يجد الإنسان في هذا الكتاب ما يحقق له ذلك ويروي ظمأه من المعرفة .

الباب الأول

النفس

١ – مقدمة

٢ – ماهية النفس ما هي ؟

٣ – أقسام النفس الإنسانية :

آ – أقسام النفس برأي أفلاطون .

ب – أقسام النفس برأي الفارابي / المعلم الثاني / .

ج – أقسام النفس في القرآن .

٤ – آفاق النفس إلى أين تمتد ؟

٥ – وظائف النفس ما هي ؟

٦ – تصوير النفس الإنسانية في القرآن الكريم كيف ؟

٧ – الله كما يتراءى من خلال النفس .

٨ – النفس عند النوم إلى أين ؟

٩ – النفس بعد الموت إلى أين ؟

١٠ – علاقة النفس بالجسد كيف ؟

١١ – النفس ذلك اللغز كيف نتعامل معه ؟

الباب الأول

النفس

مقدمـــة :

لقد استحوذ التفكير في موضوع النفس ذاك المخلـوق المهيـب علـى فلاسـفة الرومان واليونان والمسلمين **فأفلاطون** وقف معظم أبحاثه على النفس ورآهـا تدخـل الجسد لتتعرف على العالم المحسـوس وتسـعى وراء التطهـير **وأرسـطو** كتـب الكثـير عنها وعن علاقتها بالجسد **وسقراط** وقف تفكيره كله لمعرفة النفس وعبر عن ذلـك بشكل صريح عندما قال : « **إعرف نفسـك** » كلمتـان اثنتـان بهمـا بـدأ فلسـفته وبهما أنهى حياته والرسـول الكريـم محمـد صلـى ا لله عليـه وسـلم رأى في معرفـة النفس سبيلاً لمعرفة الرب فقال : « **من عرف نفسه فقد عـرف ربـه** » وفي العصـر الحديث رأى علماء النفس أن غاية الإنسان من حياته هـي معرفـة النفـس حتـى إن فرويد يقول : « عالم النفس الضائع يغري غيره بالضيـاع » فمـا هـي النفـس ؟ مـا أقسامها ؟ أهي واحدة وانقسمت ؟ ما آفاقها وما هي وظائفها ؟ .. عند النـوم أيـن تكون ؟ .. بعد الموت إلى أين ؟ .. ما علاقـة النفس بالجسـد أخـيراً ؟ النفـس ذاك اللغز الكبير كيف نتعامل معه ؟

أسئلة كثيرة حيّرت أساطين الفكـر والفلسـفة في العصـور الماضيـة وأسـاطين العلم والمعرفة والبحث في العصر الحديث فكيف تناولوها وبمـاذا أجابوا عنهـا ومـا الصحيح حولها ؟

هذه أسئلة سنحاول – بعـون ا لله وتوفيقـه – الإجابـة عنهـا سـالكين طريـق الاختصار لأن الإفاضة فيها تستوجب كتاباً قائماً بذاته لا فصلاً من فصول كتاب.

ماهية النفس ما هي ؟

سنقدم تحت هذا العنوان بعض الآراء التي قيلت حول طبيعة النفس وماهيتها. ولا نزعم أننا **أحطنا إجابات قطعية حول ذلك** فما الذي كان ؟

لقد خلق الله النفس **ورقة بيضاء** وألقى فيها بذور الخير والفلاح كذلك بذور الشر والفساد ويتغير لون هذه الورقة (وتبعاً لذلك يتغير سلوكها) بحسب البذور التي نمت فيها ، فهل هي بذور الخير أو بذور الشر ؟

إذاً : إنها كورقة عباد الشمس تتلون بحسب المحلول الذي يضاف إليها مصداق ذلك قول الله جل وعلا في سورة الشمس ﴿ **ونفسٍ وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّاها وقد خاب من دسّاها** ﴾[1].

فما هي هذه الورقة ؟ ما معدنها ؟ أين هي من الجسد ؟ هل يمكن الوصول لماهيتها ؟ وما دلائل ذلك ؟ وما هي برأي الفلاسفة ؟ وما هي برأي الدين .

لقد دعا الله تعالى إلى **التأمل في** موضوع النفس بل في أعماقها دعوة صريحة فقال ﴿وفي الأرض آيات للموقنين وفي **أنفسكم أفلا تبصرون** ﴾[2].

فاستجاب لهذا النداء العالم بأسره مؤمنه وكافره فقيل في ماهية النفس وكتب عنها في كل اللغات ومن قبل كل الشعوب كتابات تناقضت أحياناً وتقاربت أو توافقت أحياناً أخرى . فلقد كتب الفلاسفة القدماء عن ماهية النفس فقالوا : **إنها كائن غير مرئي يسيِّر الجسد ويرعى شؤونه .. يدبر أمره ويتصرف به** . وكانوا يخشون هروبه أثناء الليل فيضعون العراقيل في فتحات أجسامهم عند النوم كالحصى

---

[1] سورة الشمس : الآية من ٨-١٠ .

[2] سورة الذاريات : الآية من ٢٠-٢١ .

ذات الحافات والنتوءات الحادة والحسك مثلاً خوفاً من حصول ذلك ، وتكلموا عن **صعوبة تحديد مكان وجوده في الجسم** .

ومما قيل أيضاً : النفس **وهج نوراني يحرك الجسم دون أن يُرى** وذكر أبو بكر الباقلاني[1] أن النفس هي ذاك النسيم الذي يدخل الجسم ويعود إليه خلال عملية التنفس . على ذلك يكون هذا قد وحّد بين النفْس وبين النَفَس من حيث إن كليهما يغادر الجسد عند الموت .

أما أرسطا طاليس يقول : إن النفس **جوهر بسيط بُثّ وانتشر في كل ذي روح بالعالم وذلك كي يعمل ذلك المخلوق بواسطة هذا الجوهر ويدبر أموره ، لا تجري عليه صفات الزيادة والنقصان ، وأنه يكون بمعنى واحد في كل حيوان في العالم** وحكى الحريري عن جعفر بن مبشر قال : إن النفس هي جوهر وليس هذا الجوهر هو الجسم وإنما يكون له **كابنه أي يقترب من الجسم اقتراب الابن من أبيه** ، بذلك تكون النفس وفق هذا المفهوم اقتربت مما جاء به القرآن وعلم النفس فيما بعد كما سنرى وقيل إنها **حركة مادة الجسم** أي هي الوسيلة التي يحيا الجسم بواسطتها وقيل إنها جوهر روحاني قائم **بذاته ، مستقل عن البدن تحيا من دونه وتسعد ولكن لا يحيا البدن إلا بها** ، والسؤال : هل هي من طينة الجسد ؟ أجاب ابن سينا على مثل هذا السؤال فقال : إنها معنوية وليست مادية ، وهي مخالفة لطبيعة البدن . ويستشهد على ذلك بأن الجسم ينمو ويزداد وزنه على حين يبقى للنفس ذات الوزن وليس هناك ما يزيد من وزنها ، ويرى أنها تفارق الجسد وإنها معنوية روحانية هبطت من قبل الله ، وترجع عند الموت إليه ، وينظم في ذلك قصيدة يخاطب فيها الجسد ويتحدث عن النفس فيقول :

هبطت إليك من المحل الأرفع ... ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف ... وهي التي سفرت و لم تتبرقع

---

[1] من الأشعريين .

إذاً هي معنوية لا تحس بالعين أو بغيرها من الحواس .

هذا ما قيل في ماهية النفس / ماديتها أو معنويتها ، استقلالها عن البدن أو توحّدها معه / على كل هذه مسألة معقدة والوصول إلى جواب شاف ووافٍ حولها أمر صعب خصوصاً أن الله سبحانه وتعالى لم يكشف عن ذلك بل اكتفى بالقول ﴿ ونفس وما سوَّاها ﴾[1] **أما رأينا نحن في ماهيتها فنطرحه** على الشكل التالي :

النفس مادية بقدر ما هي روحية ، أي فيها من المادة بقدر ما فيها من الروح يكون ذلك على هيئة الاستعداد . لكن الإنسان هو الذي يقربها من المادة إلى أن توافق البدن على ما به من شهوات فتصبح مادية أكثر مما هي معنوية ومثل هذا حصل لهابيل عندما قتل أخاه قابيل كما جاء في القرآن ﴿ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ﴾[2] وهو الذي يقربها من الروح **(وهي أميل لذلك في أساس خلقها)** فتحلّق في عالم المثل والأخلاق وتنال من الكمال الإلهي **لأن الأصل** فيها روح الخالق البارئ المصور وهنا يقول الله تعالى : ﴿ فإذا سويته **ونفخت فيه من روحي** فقعوا له ساجدين ﴾[3] هذا ونرى أن النفس تتمتع بالمرونة والليونة وتتسلح بطيف واسع من **الإشعاعات تمتد عن طريقها إلى أن تتصل بالروح الأولى** وهذا ما يحصل للأنبياء وقد يكون لبعض المتصوفين (والله أعلم) أو تنزل إلى حضيض المادة وشهواتها وجشعها ومثل هذه النفس نجدها في هؤلاء الذين ينحدرون بنفوسهم كما قال الله فيهم ﴿ **وتأكلون التراث أكلاً لـمّاً وتحبون المال حباً جماً** ﴾[4] .

---

[1] سورة الشمس : من ٨-١٠ .

[2] سورة المائدة : الآية ٣٠ .

[3] سورة الحجر : الآية ٢٩ .

[4] سورة الفجر : الآية من ١٩-٢٠ .

وهنا لا بد أن نشير بأننا لم نوحد بين النفس والروح كما قد يستوحي القارئ ، بل إن كل ما رأيناه أن النفس هي **منحة الروح للجسد كي تصبح همزة الوصل بين الروح والجسد إنها حركة المادة ودونها لا حياة في هذه المادة ولا نقصد هنا بكلمة (لاحياة) الموت التام بل نقصد فقط نقص الفعالية الحركية الهادفة والموجهة إذ من دون النفس يبقى الجسد حياً ولكن حياته غير منظمة ، يختل معها عمله السلوكي والحركي والعقلي أي يصبح مضطرباً نفسياً** لاحظ المجنون أو المتخلف العقلي إنه يبقى حياً ولكن حياته غير فعالة لأن عمل النفس معطل ، من هنا يقال مضطرب نفسياً . على ذلك فالنفس تحمل خصائص الإحساس والشعور وتبعاً لذلك الاتزان والتردد والقلق ، المحبة والكره ، الفرح والحزن ومثل هذا المفهوم سايره علم النفس عندما عُرِّف على يد فونت بأنه **علم الخبرة والشعور** وعلى يد واطسن /زعيم المدرسة السلوكية الأمريكية في علم النفس/ على أنه **علم دراسة السلوك** . **وعن** مكان وجود النفس من الجسد **رأينا أنها موجودة في كل مكان فيه** ، في كل خلية فيه بدليل أن أي خلل يحصل فيه يترافق مع اضطراب نفسي (خوف ، قلق ، حزن ، تشاؤم) إنها في الجملة العصبية المركزية والغدد والأوعية الدموية بدليل أن أي اضطراب يحصل في هذه المراكز يتزامن مع اضطراب وخلل في وظائف الجسم **ومع هذا الخلل ينشأ الوضع النفسي المرافق لهذا الخلل . لاحظ أن إجهاد المرأة** الحامل وإغضابها قد يؤدي لقيام الغدة النخامية بإفراز الهرمون الحافز للطلق ومن ثم حصول طلق كاذب وحصول خوف وقلق لدى هذه المرأة على مستقبل حملها وأن أي خلل في فسيولوجية عمل الدماغ يؤدي لاضطراب في سياق التفكير أو في مدى انسجام الأفكار إنها في العضلات أيضاً بدليل الخلل في السلوك الحركي الذي يرافق الاضطراب النفسي كالارتجاف في الأطراف لدى بعض أشكال الاضطراب النفسي . إذاً هي **موجودة في كل الجسم وبكمالها يكمل الجسم** لهذا جاء أرسطو فعرفها بالقول : إنها كمال أول

يضاف لجسم حي . نخلص للقول إنَّ كمال الجسم لا يكون إلا بكمال النفس وهذا ما أثبتته مدرسة الصيغ أو المدرسة الشكلية في علم النفس والتي ظهرت في ألمانيا عندما قالت **بقانون الإغلاق من القوانين المؤثرة في تشكيل الصيغة** ومفاده أن الشكل الكامل أو المغلق والذي لا ثغرة فيه أوضح من الشكل عديم الإغلاق . لاحظ أن شكل الدائرة أكمل من شكل الزاوية لهذا نجد أن العلم الذي يبحث بها /علم النفس/ قد اتسعت مجالاته وامتدت بحيث شملت كل مجالاتها ووظائفها .

أقسام النفس الإنسانية

إنه لمن اللافت للانتباه أن بعض الناس تغلب عليه الحكمة فيكون حكيماً عالماً فقيهاً واعظاً وبعضهم تغلب عليه الشهوة فيكون شهوانياً بهيمياً يركض وراء الملذات حيثما كانت وبعضهم الآخر تغلب عليه قوى أخرى فيقوم بسلوكات أخرى فهل يعني **أن للنفس أقساماً أو أنها واحدة** ؟ ثم إن كانت واحدة فلماذا ينشأ هذا الاختلاف بين الناس بل بين سلوكات الإنسان الواحد في مواقف مختلفة ؟ ثم ما هي قواها أو أقسامها ، أخيراً ألا تعمل هذه الأقسام منسجمة في كل واحد ؟ أسئلة كثيرة سنحاول الإجابة عنها تحت هذا العنوان :

عن السؤال الأول : هل النفس واحدة أو لها أقسام ؟ **نقول النفس التي خلق منها الإنسان واحدة**[1] ولكن لها قوى قد تتغلب منها واحدة على الأخرى فتسمى بالقوة التي تغلبت وانتصرت ومن هذه القوى : **العقل والغضب والشهوة وعن هذه القوى الرئيسة تتفرع قوى فرعية مثل الأمر بالسوء واللوم والنزوع نحو الإطمئنان** فعلى ما سبق هناك نفس عاقلة ونفس غاضبة ونفس شهوانية ولوامة وأمّارة ومطمئنة كما سيرد معنا بعد قليل .

وعن السؤال الثاني : إن كانت النفس واحدة فلماذا يكون هذا الاختلاف بين الناس بل بين سلوكات الشخص الواحد في مواقف مختلفة ؟ في الإجابة عن هذا السؤال سنتعرض لما قاله أرسطو وأفلوطين في ذلك فما الذي قالاه : يقول أرسطو **إن حلول شيء واحد في أجسام مختلفة يؤدي لسلوكات مختلفة**

---

[1] قال تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ سورة النساء الآية -١- وقال ﴿ وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة ﴾ سورة الأنعام الآية -(٩٨) .

لهذا الشيء . ويقول أفلوطين إن تَجزّؤ النفس يكون **من خلال الأعراض لا من خلال الفعل على** ذلك فإن الاختلاف يحصل لحلولها في أبدان مختلفة والتجزئة تكون **بالقوة لا بالفعل** وعن السؤال الثالث ما هي أقسام النفس ؟ سنتعرض لما قاله كل من أفلاطون والفارابي وابن سينا وما قاله القرآن فما هو قول كل منهم ؟

يرى **أفلاطون** أن للنفس ثلاث قوى **تتصارع فيما بينها على تسيير** الشخصية التي حلت بها والقوة التي تكون لها الغلبة هي التي تسمى باسمها فما هي هذه القوى ؟

١- النفس العاقلة :

فضيلتها الحكمة وتعمل وفق مبادئ العقل والإدراك الصحيح ومن تسود عنده يكون حكيماً أو فيلسوفاً وهي التي تقوم بإدراك معطيات الحواس إذاً فالمادة الخام لعمل هذه النفس تقدم من إنتاج الحواس وفي ذلك قال أرسطو لا نفس عاقلة بلا ناطقة لهذا نجد أن كل أصم أبكم ، فما الذي نراه نحن ؟ **نحن نرى أن النطق يتوّج عمل العقل ولكن عمل العقل لا يظهر من خلال النطق فقط** لأن النطق بحد ذاته ليس من إنتاج الأذن أو السمع والعين أو البصر فقط لاحظ أن أبا العلاء المعري كان أعمى ومع ذلك كان فيلسوفاً وشاعراً نخلص للقول إنه كلام صحيح ولكن مبالغ فيه .

٢- النفس الغضبية :

تكون لدى الجنود والمحاربين وتعمل وفق مبدأ الغضب وفضيلتها الشجاعة فبها يمكن لجم النفس الشهوانية ومنعها من قيادة الغضبية .

٣- النفس الشهوانية :

تسكن في نفوس العبيد والإماء[1] وعامة الناس خصوصاً ذوي البطون من التجار والصناع وتعمل **وفق مبدأ اللذة وفضيلتها العفة** فهي التي تكبح جماح الشهوة وتخضعها لسيطرة العقل وهنا رب تساؤل يأتي القارئ على الشكل التالي : هل تعمل كل نفس مستقلة بما يناقض ويضارب عمل بقية النفوس ؟ ثم أين هي وحدة النفس التي انطلق منها الكاتب ؟ في الجواب نرى **أن الانسجام كل الانسجام في عمل النفس بقواها المختلفة ففي الحالة الطبيعية تخضع النفس الشهوانية للغضبية وتخضع الغضبية للعاقلة وبذلك يكون الوئام والاتزان والانسجام في عمل النفس** أما **الفارابي** الذي لقب بالمعلم الثاني /بعد أرسطو المعلم الأول/ فقد قسم النفس إلى الأقسام التالية :

١- النفس الغاذية أو المتغذية :

يرى الفارابي أن في كل نفس اندفاعها نحو المحافظة على البقاء في هذه الحياة ولا يكون ذلك إلا بالغذاء ومقر هذه النفس برأيه هو الفم وجهاز الهضم .

٢- النفس الحاسة :

وهي الوسيلة الأساس في تحصيل المعرفة وتغذية العقل ولها عدة حواس لكل منها عضو خاص كالعين والأذن والأنف .

٣- النفس المتخيلة :

وهي تعمل مع الذاكرة في حفظ المحسوسات بعد غيابها عن أعضاء الحواس وذلك من أجل إعادة تركيبها والاستعانة بها في تحقيق الإدراك .

٤- النفس الناطقة :

وهي القائدة والمدبرة لكل من الحاسة والمتخيلة ففي كل إنسان نزوع وإرادة نحو العمل انطلاقاً من توجيه العقل وعن أقسام النفس برأي ابن سينا فإنه

---

[1] الأمة : هي العبدة السوداء المملوكة وهذه خلاف المرأة الحرة .

يرى أن النفس واحدة ومن جنس واحد ولها عدة وظائف كالتغذي والنمو والتكاثر والإحساس والفكر ولكن قد تتغلب وظيفة واحدة فتتحقق على حساب باقي الوظائف الأخرى وتأخذ اسم المخلوق الذي يتصف بهذه الوظيفة **كأن تغلب وظيفة النمو والتغذية فنقول نفس نباتية** أو تلك الوظائف بالإضافة للإحساس فنقول حيوانية أو كل هذه الوظائف (التغذي والنمو والتكاثر والإحساس) بالإضافة للفكر فنقول نفس إنسانية فماذا عن كل نفس ؟

النفس النباتية :

وهي من أدنى مراتب النفوس ولها عدة وظائف كالتغذية والنمو والتكاثر وقد تتغلب وظيفة النمو أو الرغبة في تحقيق تلك الوظيفة فتسمى النفس النامية وقد تتغلب الرغبة في تحقيق وظيفة التغذية فتسمى النفس المتغذية وقد تتغلب الرغبة في تحقيق التوالد والتكاثر فتسمى النفس المولدة نفهم مما سبق أن النفس النباتية تتغذى وتنمو وتتكاثر .

النفس الحيوانية :

إنها نفس موجودة في كل ذي روح وإن تغلبت في كائن حي كان أقرب إلى البهيمة منه إلى الإنسان ولها قوتان رئيستان هما الإدراك والحركة ولكل من هاتين القوتين عدة قوى جزئية **لاحظ أن القوة المحركة تقسم إلى :**

أ – محركة باعثة : كالشهوة التي تثير النشاط بالحيوان لتولد عنده اللذة . من هنا نجد أن الحيوان تنبعث فيه شهوة تدفعه نحو أنثاه وطعامه .

ب – محركة فاعلة : إنها قوة تنبعث فيها فتحركها لتحقق الغاية المنشودة ، من هنا نجد أن الحيوان يستمر في الحركة باتجاه أنثاه أو طعامه رغم بعض العوائق التي يصطدم بها إلا أن القوة المحركة هي التي تولد فيه إمكانية الاستمرار **ولاحظ** أيضاً القوة المدركة ولها صنفان من القوى :

أ – قوى يستعين بها الإنسان على **إدراك ما في العالم الخارجي** كالحواس جميعها كما في الإنسان الذي يستخدم خمس حواس أو بعضها كما في بعض الحيوانات التي لا ترى أو التي لا تسمع والتي لا تشم علماً بأنها جميعاً تلمس وتتذوق[1] .

ب – قوى يستعين بها الحيوان على إدراك ما في العالم **الداخلي** من مخلفات عمل الحواس وما أبقته من صور ومعان ربما تقوم هذه القوى بإعادة تركيبها ومن هذه القوى **الحس المشترك** .

النفس الإنسانية :

وهي من أكرم النفوس وأفضلها عند الله ولم يذكر ابن سينا قوى لها لأنها **تدرك بالحدس المباشر** على خلاف النفس الحيوانية التي تحتاج إلى أعضاء تستخدمها كآلات في إدراكها لكل شيء في حياتها ، وتشريفاً لقدرها فقد ورد ذكرها في القرآن مرات عدة تحت مسميات عدة فسماها لوامة وسماها مطمئنة وسماها راضية مرضية كما سيأتي يبقى أن نجيب عن تساؤل البعض حول **وجوه الشبه بين** نفس الإنسان ونفس الحيوان فنقول : تشترك النفس الحيوانية مع الإنسانية في كل القوى ما عدا العقل والنطق فبالعقل يميز الحسن من القبيح والخير من الشر وهذا لا يستطيعه إلا الإنسان وبالعقل والتأمل تدرك قوة الخالق وعظمته وهذا لا يوجد إلا في الإنسان وإن كان بعضها يهتدي إلى طعامه ومأواه فنقول بالغريزة يكون ذلك .

وعن التساؤل الثاني ماذا نقول عن النحل الذي يبني بيوتاً وممالك بتصميم هندسي ربما لا يستطيعه الإنسان ؟ في الإجابة نقول : إن هذا المخلوق يبني ذلك

---

[1] دودة الأرض لا تبصر ولا تسمع وإنما تعتمد على ملامسة التراب لجسمها فتحس بجفافه وبتهديد أمن حياتها أو بابتلاله فتلتهمه وتقتات عليه إذاً هي تحس وتتذوق .

بالتسخير والإلهام والغريزة لا بالعقل والتفكير مصداق ذلك قوله تعالي ﴿ **وأوحى ربك إلى النحل** أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ﴾[1] فعن طريق الإلهام تدرك الشاة عداوة الذئب فتهرب منه ويدرك الطفل ثدي أمه فيقترب منه . هذا قليل من كثير مما قاله العلم والعلماء في أقسام النفس وقواها فما الذي قاله واهب العلم ومعلم العلماء في القرآن يا إنسان ؟

---

(1) سورة النحل : الآية ٦٨ .

أقسام النفس في القرآن

لعلنا لا نخطئ الهدي القرآني إذا ما عدنا نكرر ما قاله ابن سينا بأن النفس واحدة وهي كلّ يحتوي على عدة قوى مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ وهو الذي أنشأكم من **نفس واحدة** فمستقر ومستودع قد فصّلنا الآيات لقوم يفقهون ﴾[1] إذاً هي واحدة في القرآن ولها عدة قوى من خلالها تكون أو لا تكون لأن هذه القوى هي التي تظهر النفس بالصورة التي تكون عليها وذلك بحسب ما يغلب **من هذه القوى** فعلي ذلك ومن منطلق هذا الفهم يمكن القول إن أقسام النفس في القرآن هي :

١- النفس العاقلة الناطقة :

وهي من أعلى مراتب النفوس وأرقاها ولا توجد إلا في الإنسان وبسببها مُيّز عن بقية المخلوقات وفُضِّل فقال تعالى ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾[2] وهي النفس العالمة ، والمدركة ومن دونها لا علم للإنسان ولا تعلم ولا إدراك ﴿ **علمت نفس** ما قدمت وأخرت ﴾[3] وهي النفس التي تناقش وتجادل وتدلي بالحجج والبراهين لتدفع الشّر عن ذاتها وتقرب الخير منها وفي ذلك قال تعالى ﴿ **يوم تجادل كل نفس عن نفسها** وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون ﴾[4] وهنا قد يسأل سائل أين العقل وأين النطق في ذلك ؟ في الجواب نقول : أيكون الإدراك والعلم دون عقل أم يكون النقاش والجدال دون نطق ودون لسان !

---

[1] سورة الأنعام : الآية ٧٩ .

[2] سورة الإسراء : الآية ٧٠ .

[3] سورة الانفطار : الآية ٥ .

[4] سورة النحل : الآية ١١١ .

٢- النفس الغضبية :

إنها نفس تهوى **الجهاد بل لا تعيش** إلا من خلاله لهذا فهي في نفوس المحاربين كما قال أفلاطون وفي نفس إنسان غضب لا نتهاك حرمة الحق وفي ذلك قال رسول الله (ﷺ) « أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر » والسؤال الملحاح هنا هل تعمل هذه النفس بهدي من العقل أو بنزوع من الشهوة ؟ في الجواب نقول : إنها تعمل **بهدي من العقل** تارة (لدى المؤمن) كما حصل لأحد الصحابة واسمه عمير بن الحمام في غزوة بدر عندما ما سمع رسول الله (ﷺ) **يقول** : ما بينكم وبين الجنة إلا بدر وكان بيده تمرات يقتات عليها فوازنها بثمار الجنة فرجحت الأخيرة فقال بخ بخ لهذه التمرات وألقى بها على التراب **وانطلق محارباً تقوده نفسه** الغضبية (التي أخذت عن النفس العاقلة بأن دار الآخرة هي خير وأبقى) إلى أن استشهد وقضى نحبه في سبيل الله وهي موجهة بهدي **النفس الشهوانية والأمارة بالسوء** (لدى البعيد عن الحق) تارة أخرى ، شيء من هذا حصل لقابيل الذي قتل أخاه هابيل لا غضباً لله بل غضباً للنفس الشهوانية التي لم يكن لها من النسوة ما كان لهابيل فندمت أخيراً على فعلها كما ورد بالقرآن ﴿ فأصبح من النادمين ﴾[1] ومثل هذه النفس هي التي قصدها رسول الله محمد (ﷺ) عندما قال : **أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك** ومثل هذه النفس يجب مجاهدتها ومعاداتها وهي التي نقصدها بالقول : أفضل الجهاد أن تجاهد نفسك من هنا نؤكد صحة ما ذهب إليه أفلاطون عندما قال : فضيلة النفس الغضبية الشجاعة أي الجهاد في سبيل الحق ونصرته حيثما كان والحق كما نعلم من العقل لا من الشهوة لهذا جاء كارنيجي أحد علماء النفس فقال لا تدع دوافعك تغلبك على أمرك .

---

[1] سورة المائدة : الآية ٣١ .

٣- النفس الشهوانية : ولها جانبان :

جانب سلبي : إنه نزوع بهيمي حيواني في النفس الشهوانية عبَّر عنه علم النفس بالآيروس ويعمل وفق مبدأ اللذة فقط فالذي يسيطر هذا الجانب على سلوكه يكون بعيداً عن الرشاد وفي عداد البهائم الذين قال الله فيهم ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس **لهم قلوب لا يفقهون** بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[1] وفي هذا قال الكندي[2] : إن من يتغلب عليه هذا الجانب **يكون كالخنزير إذاً إن من تسيّره شهوته يكون كالدوابّ بل كالخنزير من شر الدواب** الذي يصم آذانه عن سماع الحق ويغلق عقله عن التفكير فيه وينقاد لشهوته ومثل هذا وأمثاله قال الله فيهم : ﴿ إن شر الدواب عند الله **الصم البكم الذين لا يعقلون** ﴾[3] .

جانب إيجابي : ليست النفس الشهوانية شريرة سلبية بكل اندفاعاتها ونزوعاتها بل لها اندفاعات مشروعة ومباحة ومشجع على إتيانها حتى في القرآن وبعضها مفروض على الإنسان . **لاحظ شهوة الجنس هي ضرورة لاستمرار النوع البشري وبقاء الإنسان** سيداً لهذا الكون لهذا قال الله تعالى في كتابه العزيز ميسراً للإنسان إتيان هذا الجانب من النفس الشهوانية ﴿ فانكحوا **ما طاب لكم من النساء** مثنى وثلاث ورباع ﴾[4] وقال أيضاً ﴿ وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾[5] وقال رسول الله (ﷺ) « من كان موسراً **لأن ينكح ولم ينكح فليس مني** » ومن ناحية ثانية نجد أن شهوة الطعام ضرورية للاستمرار في الحياة وعلى

---

[1] سورة الأعراف : الآية ١٧٩ .

[2] أبو يوسف ابن اسحاق من قبيلة كندة لقب بفيلسوف العرب - ٨٢١ - ٨٦٦ م .

[3] سورة الأنفال : الآية ٢١ .

[4] سورة النساء : الآية ٢ .

[5] سورة الواقعة : الآية ٢١-٢٢ .

الإنسان أن يأكل من طيبات الرزق ومما تشتهيه الأنفس وفي ذلك قال ا لله تعالى : ﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا **عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم** وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[1] وقال في آية أخرى حاضّاً على أكل ما تشتهيه النفس ﴿ **ولحم طير مما يشتهون** ﴾[2] .

على ما سبق فهي موجودة بجانبيها الإيجابي والسلبي والسؤال : أليس لها لجام يحجم اندفاعها كما كان للغضبية لجام ؟ في الجواب نقول : نعم مكررين في ذلك كلام أفلاطون بأن فضيلة النفس الشهوانية هي العفة . والعفة هي التي تحفظ الكرامة للإنسان كما قال رسول ا لله محمد (ﷺ) : «عفوا تعف نساؤكم وبناتكم» وهي التي تحول دون المرض المميت (الإيدز أو مرض نقص المناعة) هذا عن لجام شهوة الجنس فماذا عن لجام شهوة الطعام ؟ أيضاً العفة هي لجام شهوة الطعام . لاحظ أن **أقل الناس أعماراً هم أكثرهم اهتماما ببطونهم** كما يقولون « لاحظ أن مرضى القلب أول ما يمنعون من الطعام الدسم وفي لجام شهوة الطعام يقول نبي ا لله محمد (ﷺ) المعدة بيت الداء **والحمية هي رأس كل دواء** إذاً بالعفة أو بالحمية ندرأ كل أمراض النفس الشهوانية . خلاصة القول : إن للنفس الشهوانية جانباً مشرقاً يتمثل في العفة والشجاعة وهذا الجانب يؤدي لدخول الجنة قال تعالى ﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى ﴾[3] .

وهناك تجد النفس كل ما تشتهيه وفقاً لما قاله تعالى ﴿ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعيون وأنتم فيها خالدون ﴾[4] ولها جانب وضيع سلبي يتمثل في العدوان ومخالفة الشرع مقابل إرضاء النفس ويؤدي لدخول النار ويقع ضمن هذا

---

(1) سورة البقرة : الآية ٥٦ .

(2) سورة الواقعة : الآية ٢٠ .

(3) سورة النازعات : الآية من ٣٩-٤١ .

(4) سورة الزخرف : الآية ٧١ .

الجانب كل زان وكل مراب وكل سارق ... وغير ذلك .

٤- النفس الأمارة بالسوء :

إنها نفس ملحاح في طلب ارتكاب المعاصي ودائبة على فعل المنكرات ولا تقصد تحقيق لذة عاجلة كمن يكون ماراً ببستان فاشتهى ثمرة يانعة فقطفها وأكلها بل تقصد الإصرار على إضرار الآخرين كمن يشهد الزور أو كمن يقطع الطريق أو كمن يُفرِّق بين المرء وزوجه وهنا في هذه **النقطة تختلف عن** النفس الشهوانية وإن كانتا / النفس الأمارة والنفس الشهوانية / متشابهتين في تطابقهما مع مبدأ اللذة وتحقيق رغبات البدن وهذه النفس تنتظر من النفس **العاقلة أقل غفلة ومن النفس الغاضبة أدنى تهاون لتنشط وتورط الإنسان في ارتكاب المعاصي وفعل الشرور** ومثل هذه هي التي قال الله تعالى فيها ﴿ وما أبرئ نفسي إن النفس **لأمارة بالسوء** إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴾[1] نفهم أن النفس الأمارة سميت كذلك لأنها تخطط **لارتكاب المعصية وتصرّ على** ذلك متعدية حدود الله **فتظلم** ذاتها ، وهنا لعله قد خطر على ذهن القارئ **تساؤلان** أولهما هل تكون هذه النفس في شخصيات محدودة أو لدى كل إنسان ؟ والسؤال الثاني ما فرقها عن النفس الشهوانية ؟

في الإجابة عن السؤال الأول نقول : **إنها تكون في كل إنسان وفي كل زاوية من زوايا نفسه الشهوانية** ولكنها نشطة فعالة لدى الكافر والمنافق ومقهورة ضعيفة لدى المؤمن . وفي الإجابة عن السؤال الثاني نقول : إن الاشتباه الذي ينتاب القارئ في التمييز بينهما هو أمر طبيعي وكيف لا وأن النفس الأمارة **هي الجانب السلبي من النفس الشهوانية** بعد أن نشط وأفلت من رقابة العقل ومبادئه لذلك نجدها تتوتر وتندب حظها وتلومه عند فوات ارتكاب المعصية على ما سبق نرى أن

---

[1] سورة يوسف : الآية ٥٣ .

النفس الأمارة تقوى عند من تضعف عنده النفس اللوامة لأن النفس الأمارة واللوامة على طرفي نقيض .

٥- النفس اللوامة :

ورد ذكر هذه النفس في القرآن بشكل صريح وبلسان المبالغة على وزن فعالة فقال ا لله تعالى ﴿ فلا أقسم بيوم القيامة **ولا أقسم بالنفس اللوامة** ﴾[1] .

فما هي هذه النفس ولماذا ورد ذكرها على هذه الصيغة .. كيف هي لدى المؤمن وكيف هي لدى الكافر أخيراً هل أن وجودها دليل على اضطراب في الشخصية ؟ أسئلة كثيرة نجيب عنها ضمن الحديث عن هذا العنوان وفي الإجابة نقول : هناك من رأى بأن النفس اللوامة هي نفس سيدنا آدم عليه السلام التي ما تزال تلوم نفسها على فعلها الذي خرجت بموجبه من الجنة أما نحن فنرى أنها نفس سيدنا محمد (ﷺ) الذي كان يحرص على فعل أكبر قدر ممكن من الخير ويتهم نفسه بالتقصير ويلومها على ذلك إذ كان يقول عندما كان يلفظ أية كلمة أو يفعل أي فعل : **ما لهذا خلقت كلا .. لم أخلق لهذا** وكذلك عندما كان يهم بفعل كل عمل كان يتردد فهل هذ التردد في شخصيته دليل اضطراب ؟ في الجواب نقول لا وكيف يكون ذلك دليل اضطراب وهو المنزه عن كل نقص .. ثم هل يجوز لنا أن نتهم من يقصد الكمال ويسعى إليه ويتطلع نحوه بالتردد ؟ الجواب لا وقياساً على ذلك من يجد بعض التردد في إقدامه على بعض الأعمال أملاً في الوصول إلى المزيد من الخير وخوفاً من حصول القليل منه فلا يكون متردداً ولا يعتبر نفسه كذلك لأن لنا في رسول ا لله أسوة حسنة لذلك جاء الحسن البصري ليقول : **إن النفس اللوامة هي نفس المؤمن فالمؤمن لا تراه إلا لائما نفسه** وهي كما يقول : الدكتور

---

[1] سورة القيامة : الآية من ١-٢ .

حامد عبد السلام زهران[1] أفضل سبيل من سبل تشكيل الوقاية من الاضطراب النفسي لأنها **تلوم الجانب المادي** وما يتعلق به من الجسد وتقصد الوصول إلى النفس المطمئنة ذاك الجانب الروحي المعنوي الذي يحقق الصفاء والهدوء ويبتعد بصاحبه عن النفس الشهوانية الذي يمثل القسم الدنيء من الجانب المادي ويكون بذلك **قد وفق بين هذين الجانبين المادي والمعنوي من الجسد ومهد السبيل لقيام النفس البصيرة** وبروزها إلى حيز الفعل **وبذلك يبصر عن طريق العقل بدلاً من العين مخترقاً الحجب وممزقاً السدول .**

وعن سبب **اقتران** ذكر النفس اللوامة بيوم القيامة قالوا : إن بين كلا المفهومين قاسماً مشتركاً هو **محاسبة الإنسان** ولكن القيامة تحاسب الإنسان في الحياة الآخرة والنفس اللوامة تحاسب الإنسان في الحياة الدنيا ، ورب سائل يسأل ألم يرد ذكر هذه النفس ضمن أقسام النفس لدى أرسطو وأفلاطون ؟ في الإجابة نقول : ورد ما يعنيها ولكن دون تأكيد على التسمية بل ضمن الحديث عن النفس الغضبية وبالفعل فإن **الغضب من شيء يعني لومه وتقريعه وعدم قبوله والتنكر له** وهذا الرفض كله لا يكون دون وعي ودون إدراك ودون عقل على ذلك فالنفس اللوامة تهتدي بنور العقل والسؤال أيكون اهتداؤها بالعقل بشكل دائم ولدى المؤمن والكافر على السواء ؟ في الجواب نقول : النفس اللوامة **قسمان** وذلك بحسب من تحل به .

أ – نفس المؤمن اللوامة :

إنها النفس التي أقسم الله بها عندما قال : ﴿ ولا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة ﴾ وجدير بالذكر أن (اللا) زائدة في الحالتين والتقدير أقسم بيوم القيامة وأقسم بالنفس اللوامة وهي كذلك التي قصدها الحسن البصري عندما

---

[1] أستاذ الصحة النفسية بجامعة عين شمس في مصر .

قال : **إن المؤمن لا تراه إلا لائماً لنفسه** كما بينا سابقاً وهي النفس التي تلوم ذاتها على التقصير والتفريط في جنب الله وتأمل التعويض فتقول : ﴿ ياحسرتا على ما فرطت في جنب الله ﴾[1] .

وهنا فإن التحسر والندم لا يكون دون تفكير ومراجعة للذات أي لا يتم دون عقل ومثل هذه نفس شريفة تهتدي بنور العقل الذي كشف مبادئ ومثل الأخلاق والضمير أمامها وأخذت بها وتمثلتها حتى **كانت هي الضمير والأخلاق** فاستحقت ذاك الشرف فأقسم الله بها فقال : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم ... ﴾ .

ب – نفس الكافر اللوامة :

هذه نفس ظالمة يلومها الله ويلومها الناس وتلومها الملائكة حتى إنها تلوم ذاتها ولومها لذاتها **يكون في حالتين :**

أ – حالة عدم تمكنها من تحقيق اللذة وضياعها عليها وحتى إن كان ذلك في الإثم وارتكاب المعصية ومثل هذه نجدها لدى منحرف جنسياً أضاع على نفسه فرصة انحراف فندم على ما حصل له ولام نفسه ولام الواعظ الذي نصحه بالابتعاد ونجدها لدى سارق أضاع على نفسه مردود سرقة كان ينويها فندم ولام نفسه لأنه لم يسرق .

ب – **حالة مذنب أقر بذنبه واعترف بخطيئته فلام نفسه** لأنه أتاها ولكن كان ذلك في وقت لا ينفع معه الندم وفي مثل هذا يقول الله تعالى : ﴿ ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ﴾[2] .

---

[1] سورة الزمر : الآية ٥٥ .

[2] سورة النبأ : الآية ٣٩ .

٦- النفس المطمئنة :

إنها النفس التي أيقنت بأن ا لله ربها وأنه سيدافع عنها ﴿ إن ا لله يدافع عن الذين آمنوا ﴾[١] وأنه وليها في الدنيا والآخرة ﴿ **نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾[٢] فأنهت الصراعات التي كان يعيشها صاحبها بالطمأنينة لله والإنابة إليه والثقة بعدالة حكمه وأنه لا يفلت ظالم من عقابه فكانت راضية به رباً وبكل ما يأتي عنه فنالت بذلك رضى ا لله عنها واستحقت أن تكون راضية مرضية وكيف لا تنال هذا الشرف وا لله يقول : ﴿ وإن تشكروا يرضه لكم ﴾[٣] إنها نفس متكيفة متوافقة مع كل جوانب الحياة سعيدة بكل ما فيها و لم لا وأن **السعادة لا تكون إلا في الرضى** وفي ذلك يقول رسول ا لله (ﷺ) « وأرض بما قسم ا لله لك تكن أغنى الناس » إذاً لاسعادة دون طمأنينة ولا طمأنينة إلا بإرضاء ا لله فبإرضاء ا لله يكون الأجر العظيم الذي يسعد الإنسان ﴿ ومن يفعل ذلك ابتغاء **مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً** عظيماً ﴾[٤] وجدير بالذكر أن بعض الناس قد رأى السعادة في تحقيق أكبر قدر ممكن من متاع الدنيا فهؤلاء أمام لذة لا أمام سعادة وحتى إن كانت اللذة مرحلة دنيا من مراحل السعادة ، إنهم من غير أصحاب النفس المطمئنة خصوصاً أن ذلك غالباً ما يرافق البعد عن ا لله فكيف تكون السعادة **والسعادة لا تكون مع الشعور بالإثم** ، إنهم بعيدون عن ا لله بدليل أنهم يتجاوزون حدود ا لله ألا تلاحظ معي أن أكثر حالات **الانتحار تقع في الدول الغنية المترفة** ؟ أين الطمأنينة ؟ وهل تجتمع الطمأنينة مع الانتحار فمثل هؤلاء **(وهم يعرفون ذلك)** قال ا لله فيهم ﴿ إن الذين لا يرجون لقاءنا **ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين**

---

[١] سورة الحج : الآية ٣٨ .

[٢] سورة فصلت : الآية ٢١ .

[٣] سورة الزمر : الآية ٧ .

[٤] سورة النساء : الآية ١١٤ .

هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ﴾[1] هذا وللنفس المطمئنة جنود تستعين بهم في تحقيق التكيف النفسي الذي هي فيه ومن هؤلاء الجنود اليقين با لله ، والإيمان بالعودة إليه ، والقرب منه وأنه المليك المقتدر ، كما قال تعالى : (في مقعد صدق **عند مليك مقتدر**)[2] وعن العلاقةبين النفس المطمئنة والنفس العاقلة نقول إنها علاقة جدلية فلا يعمل **العقل ضمن** أجواء التوتر أي دون اطمئنان واتزان لاحظ أن القاضي ينصح بعدم إصدار الأحكام في حالة الغضب **ولا يحصل اطمئنان دون عقل** لاحظ المجنون أو المضطرب نفسياً لا يثق بأحد . أخيراً رب سائل يقول لماذا لم يتحدث الكاتب عن النفس الراضية والمرضية كقسمين مستقلين من أقسام النفس ؟ الجواب لم نشأ ذلك لأنهما **مرحلتان من مراحل الوصول إلى الاطمئنان** أي هما من النفس المطمئنة بل من صفاتها لحظة العودة إلى ا لله والإنابة إليه مصداق ذلك ما قاله ا لله تعالى في صريح خطابه ﴿ يا أيتها النفس **المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية** فادخلي في عبادي وادخلي جنّتي ﴾[3] .

خلاصة وتعقيب حول أقسام النفس :

لعل خير ما نختم به الحديث عن أقسام النفس السؤالان التاليان :

أ – ما الدلائل على وحدانية النفس بعد كل هذه الأقسام ؟ ثم كيف يتحقق الانسجام للنفس وكيف يكون الفعل متناسقاً ؟ في السؤال الأول نكرر ما قلناه بأن جوهر النفس يبقى واحداً رغم تعدد وظائفه وتنوع الجنود القائمين على تأدية تلك الوظائف وتبقى النفس هي ذاك الرباط الذي يجمع تلك الوظائف وذاك القائد الذي

---

(1) سورة يونس : الآية ٧–٨ .

(2) سورة القمر : الآية ٥٥ .

(3) سورة الفجر : الآيات من ٢٧–٣٠ .

ينظم عمل أولئك الجنود بحيث يؤدي كـل منهـم عملـه بنظـام واتـزان وسـلام وأن نسبة ذلك الرباط إلى باقي أجزاء النفس كنسبة الحس المشترك إلى بقية الحواس وممـا يدل على أنها واحدة .

أ) إن الإنسان يسمع كلاماً فيفهم معناه ويعرف الغرض منه ، ويغضب مـن شيء ويشعر بغضبه ، ويشتهي ويشعر بشهوته وكلّ من هذه المشاعر يكون مستقلاً عن الآخر ومنعزلاً عنه وهذا يشير **إلى أن النفس واحدة وهي نفسها الـتي تشـتهي وتغضب أو تفهم** ولو كانت متعددة داخل الإنسان الواحـد لغضـب هـذا الإنسـان واشتهى وفهم وانشرح في آن واحد وهذا لم يحدث .

ب) إن الإنسان يـدرك مـا حولـه ويكـون هـذا الإدراك هـو سـبب الشـهوة والاقتراب أو الامتعاض والنفور والازورار أو الطمأنينة والاتزان والهدوء وكل ذلك يستند إلى جوهر واحد هو الدمـاغ بتلافيفـه وتجـاعيده بدليـل أن تخريبـه يـؤدي إلى إبطال هذه الوظائف **إذاً النفس واحدة وهـي المبصـرة** وهـي العاملـة وهـي اللائمـة وهي الغاضبة وهي المطمئنة وهي الراضية .

وفي الإجابة عن السـؤال الثـاني نـرى **أن الانسـجام يكـون للنفـس عندمـا يحصل التنسيق بين قواها وتحقق وظائفها ويطبـق النظـام في العلاقـة بـين جنودهـا فتخضع الشهوانية للغضبية .**

وبالأخص لرقابة اللوامة وأخلاقها وتخضع اللوامة والغضبية لمبادئ العاقلـة وتكون عندئذ النفس المطمئنة والبصيرة كما يرى الدكتـور حـامد عبـد السـلام زهـران[1] في كتابـه الصحـة والنفسـية والعـلاج النفسـي فعنـد حصـول النفـس البصيرة يكون القرار صائباً ومتزناً والفعل حكيماً ورزيناً .

---

[1] أستاذ الصحة النفسية – كلية التربية – جامعة عين شمس – مؤلف كتاب الصحة النفسية والعلاج النفسي وكتاب الإرشاد النفسي وكتب أخرى .

آفاق النفس إلى أين تمتد ؟

يقول الله تعالى : ﴿ **ولا نكلف نفساً إلا وسعها** ولدينا كتاب ينطق بالحق وهم لا يظلمون ﴾[1] .

إن تدبراً **بسيطاً** في هذه الآية ينتهي بنا للقول بأن **للنفس** آفاقاً **تمتد** إليها فما هي هذه الآفاق ؟ للإجابة عن هذا السؤال نتناول البحث من **منطلقين** :

أ - منطلق عام ويخص مجالات النفس .

ب - منطلق خاص ويخص قدرتها وقوتها .

أ - آفاق النفس من المنطلق العام :

لقد بدأت آفاق النفس تتكشف ومجالاتها تتسع منذ أن أوجد العالم النفسي الإنكليزي فونت أو ونت **مختبره النفسي في لينبرغ** عام ١٨٨٩ إذ أصبح بالإمكان قياس القدرات النفسية للإنسان في هذا المختبر ومنذ ذلك الحين كثر عدد المشتغلين بموضوع النفس ، فمنهم من اشتغل في المختبرات وهؤلاء درسوا السلوك والإحساس والإدراك والتعلم والحفظ والتذكر وبحثوا في فسيولوجيا الدماغ والوظائف النفسية للجملة العصبية ووضعوا روائز ومقاييس لقياس جوانب مختلفة من الشخصية ، في حين أن الذين اشتغلوا في العيادات درسوا المرض وحاولوا شفاءه ودرسوا النفس البشرية والعقل الباطن والأحلام والرغبات ولا سيما المكبوتة منها ، **وأرجعوا دراساتهم إلى الطفولة وإلى تفاعل الإنسان مع البيئة ودرسوا كذلك كيف ترسل النفس وكيف تستقبل وبذلك أوضحوا أن أفق النفس**

---

[1] سورة المؤمنون : الآية ٦٢ .

البشرية قد امتد إلى كل ميدان في الكون وكيف لا والنفس هي التي تعمر هذا الكون ومن دونها يصبح خراباً لا حياة فيه .

ب – آفاق النفس من المنطلق الخاص :

قال الله تعالى : ﴿**لا يكلف الله نفساً إلا وسعها**﴾[1] وقال أيضاً : ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا **نكلف نفساً إلا وسعها** أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾[2] وقال في آية ثالثة ﴿ لا تكلف نفسٌ إلا وسعها ﴾[3] **فيتضح** من هذه الآيات أن للنفس قدرة تتسع لها وطاقة تتصل من خلالها وتمتد مسافرة آلاف الكيلو مترات لتفرغ حمولتها بكل أمانة فما هي تلك القدرة ؟ وكيف تكون ... ومن أين تأتي النفس ؟ في الإجابة نقول : تلك القدرة تكون من خلال قدرة النفس على الامتداد بعيداً لتحقق الاتصال رغم كثرة الحواجز ووعورة الطريق . شيء من ذلك تحقق لعمر بن الخطاب عندما اتصل بسارية وقال له يا سارية الجبل الجبل[4] وسمع سارية نداء عمر واستجاب له وربح المعركة رغم أن الأول في شبه الجزيرة العربية والثاني في بلاد فارس . وهذا ليس بغريب (كما يظن القارئ لأول وهلة) لأنه **من أمر الله والهدف الذي يسعيا من أجله هو نصرة دين الله فلا يكلف ذلك شيئاً** سوى **أن يزيل الله** الستار ويكشف الغطاء وتبصر البصيرة بدلاً من العين وفي **ذلك يقول تعالى** : ﴿ **فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد** ﴾[5] .

---

(1) سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

(2) سورة الأعراف : الآية ٤٢ .

(3) سورة البقرة : الآية ٢٣٣ .

(4) للمزيد من المعلومات في تفسير هذه القصة اقرأ كتابنا الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجية والقرآن – صفحة ٩ وما بعد .

(5) سورة ق : الآية ٢٢ .

إذاً تحققت الرؤية لعمر بن الخطاب عن غير طريق العين ، والسماع لسارية عن غير طريق الأذن ، فكيف يكون ذلك ؟ بمعنى آخر كيف يكون الاتصال .. ما هي آليته ؟

في الإجابة نقول : أجمعت البحوث التي تمت حول هذا الموضوع على أن موجات كهرطيسية من نوع ما ترسلها نفس معينة وتحملها على تردد معين إلى نفس تكون مولّفة أو معيَّرة على نفس التردد وتتمكن من الاستقبال وهذا ليس ببعيد فجهاز الإرسال في الرادار يرسل ترددا مقدراً إلى جهاز الاستقبال في الطائرة ويكون الأخير مولفاً على ذات التردد فيتمكن من استقباله ويعيد النتيجة من ذات الطريق إلى جهاز الاستقبال بالرادار وتظهر إشارة أمام قارئ الشاشة تعلمه بأن الطائرة صديقة أو مجهولة . فإذا كان جهاز صنعه الإنسان قد حقق مثل ذلك أفلا يستطيع دماغ أبدعه **خالق الإنسان ذلك ؟!** وعن السؤال الثالث من أين تأتي النفس تلك القوة ؟ في الجواب نقول : إن تلك القوة **تأتيها من الروح لأن النفس بحد ذاتها هبة الروح للجسد وهي للروح أقرب منها للجسد بل هي صلة الروح** بالجسد ولكن هل للروح تلك القدرة على الامتداد والاتصال بحيث تهبها إلى النفس في بعض الحالات ؟ في الإجابة نقول نعم وهذا ما حصل ويحصل لبعض المتصوفين إذ تتصل أوراحهم بفيوض الله وتأخذ عنها مباشرة ومثل هذا ما تحسسه ابن سينا[1] ولمسه عندما قال :

سجعت وقد كشف الغطاء فأبصرت   ما ليس يدرك بالعيون الهجع

وقد أكد القرآن ذلك عندما قال : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾[2] فمن يتق الله يصله به ويعلمه مباشرة وهذا ما تحقق **لرسول الله محمد ﷺ إذ كان يأخذ**

---

[1] ملقب بالشيخ الرئيس وهو من كبار العباقرة والفلاسفة الذين قدموا للبشرية خدمات كبرى في ميدان الطب والحكمة والموسيقا .

[2] سورة البقرة : الآية ٢٨٣ .

عن ربه مباشرة وقد وضحت الحقيقة جلية عندما قال تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى **إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى** ﴾[1] .

وكان **تاويه** زعيم الديانة التاوية في الصين يقول : « **نحن نعلم كل شيء من لا شيء** » أي دون الاستعانة بشيء من حطام الدنيا وهذا ما عبّر عنه **ابن سينا تحت عنوان إشراق النفس وقال : إن الناس متفاوتون في إشراقهم** .

أخيراً رب سائل يسأل أين دور الحواس الخارجية وأين دور الحس المشترك في توليد طاقة النفس ؟ في الجواب نقول إن المعلومات الخارجية ترد إلى الدماغ عن طريق الحواس الخمس والمجموع الكلي لناتج تلك المعلومات يساعد النفس بطريق الحس المشترك الذي يصبح بدوره مصدراً لتحقيق معرفة حدسية **وتلك المعرفة الحدسية المباشرة يسميها البعض الحاسة السادسة** وإن كان للحاسة السادسة أسماء أخرى كثيرة .

فهل يمكن تدريب النفس على استخدام هذه الحاسة ؟ هذا ما كنا قد أجبنا عنه في كتابنا الأول الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجيا والقرآن .

---

[1] سورة النجم : الآية من ٣-٥ .

وظائف النفس ما هي ؟

يرى ابن سينا أن للنفس وظيفتين هما :

١) **سياسة أمر البدن ورعايته** وضمان الحماية له سواء من الأمراض الجسدية أو من الاضطرابات النفسية . ففي حقل حمايته من الأمراض الجسدية انظر كيف تؤمن الغذاء الصحيح والشهي الذي يشبع البدن ويؤمّن حاجياته ويدفع عنه الأخطار ، من هنا نجد أن **النفس الشهوانية قد وجدت لتحقيق أغراض عدة ومنها بل من أهمها تأمين العناصر الغذائية للبدن** من بروتينات وأملاح وعناصر غذائية أخرى والنفس **الغضبية للدفاع عن الجسم وحمايته وإبعاده عن الشرّ والخوف والتوتر** .

٢) **إدراك المعقولات :**

لاحظ كيف تنقل المحسوسات من المستوى الحسي المشخص المسموع والمرئي والمحسوس إلى المستوى الرمزي المجرد غير المحسوس ، دون أن يتأثر الفهم مع بقاء المعنى . فبواسطتها نعرف الكل من خلال خاصية من خواصه كأن نعرف المركبة ونوعها وحمولتها من خلال صوت محركها فنقول : سيارة شحن كبيرة محملة بحمولة ثقيلة من نوع ... كل هذا يحصل بواسطة **النفس العاقلة** لذلك هي التي تثاب في الآخرة وهي التي تعاقب وفي ذلك قال تعالى : ﴿ لا يكلف الله نفساً **إلا وسعها** ﴾[1] وقال أيضاً : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله **ولتنظر نفس ما قدمت** لغد واتقوا الله ﴾[2] ونرى أن للنفس وظيفة ثالثة هي :

---

[1] سورة البقرة : الآية ٢٨٦ .

[2] سورة الحشر : الآية من ١٨-١٩ .

٣) **الحيلولة بين النفس الأمارة وبين تحقيق أهدافها** وتطهير الذات وتحقيق الطمأنينة لها وإدخال السرور والصفاء ، كل هذا تقوم به النفس اللوامة أولاً والمطمئنة ثانياً .

فتنقلب النفس لربها راضية مرضيةً . **لاحظ أن اللوامة تهتدي بهدي العاقلة وتقول إن احتياز ممتلكات الآخرين دون حق هو سرقة لهذه الممتلكات** والسرقة عمل **حرام لا يجوز إتيانه وحتى لو كان ضرورياً لاستمرار الحياة وتذكّر صاحبها بقوله ﷺ « من ملأ فاه من الحرام لم يكفه تعبد أربعين ليلة »** وفي هذا قال أفلاطون : إن النفس هي قائد للبدن وهي المدبر لشؤونه وهي المسيِّر له والمعتني به ولكن أيكون ذلك لدى كل الناس بدرجة واحدة ؟ في الجواب نقول لا إن هناك **فروقاً فردية** بين الناس وهذا ما نادى به علم النفس وما أكده القرآن في مواضع كثيرة فأخبر عن **طالوت مثلاً** أن الله قد زاده بسطة في العلم وعن **داود** قد زاده بسطة في الصبر وعن **إبراهيم** عليه السلام الذي زاده بسطة في الحجة والإقناع .

تصوير النفس في القرآن كيف ؟

وردت آيات كثيرة في القرآن تصور النفس ، كان من أهمها ومما يلائم الموضوع قوله تعالى في سورة (ق) وفي الآية (٢١) منها ﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾ فكيف صورها القرآن إذاً ؟ لقد صورها كما يتضح من هذه الآية **على هيئة مركبة يجرها حصانان ويسيرهما سائق** يوجه العربة وفق الهدف الذي يريد . والسؤال من هما هذان الحصانان ومن يكون السائق ؟ ومن أين استطاع المؤلف أن يعرف أنهما حصانان لا حصان واحد ؟ في الجواب نقول : الحصانان هما النفس الشهوانية والنفس الغضبية والسائق هو العقل أو النفس العاقلة وقد عرف المؤلف أنهما حصانان لا حصان واحد لأن نص الآية يشير إلى أن الشهيد قد حضر مع العربة التي هي أداة هذه الواقعة والشهادة في القرآن لا تقبل من مصدر واحد بل لا بد من شهيدين اثنين كما قال تعالى : ﴿ **واستشهدوا شهيدين** من رجالكم ﴾[1] .

والسؤال لماذا ذكر الكاتب هذه الأنفس فقط علماً بأنه قد تعرض /تحت عنوان أقسام النفس/ لستة أنواع ؟ في الإجابة نقول : رأينا ذلك لأن الأنفس الأساسية هي العاقلة والشهوانية والغضبية أما اللوامة والمطمئنة والأمارة فهي ثانوية بل هي **من تلك في مرحلة من مراحل عملها** لاحظ اللوامة مثلاً هي من الغضبية والأمارة هي الجانب السلبي من الشهوانية كما تقدم وهكذا المطمئنة وشيء من هذا التشبيه اقترب منه أفلاطون عندما شبه النفس بعربة يجرها حصانان ويقودها سائق وقال : الحصان الأول جموح غضوب حرون يكاد عبء جر العربة بكامله يقع عليه

---

[1] سورة البقرة : الآية ٢٨٣ .

وحده دون وعي منه والحصان الثاني متقاعس مكسال يمضي المشوار وهو يشم رائحة الطعام ويفتش عن اللذيذ منه دون أن يساعد كثيراً في جر العربة ، وأضاف هل تسير العربة بأمان وسلام وتوصل حمولتها بهذا الشكل ؟ في الجواب قال لا ، لا تسير على هذا النحو بل لا بد من **سائق يشد على الحصان الجموح الغضوب فيكبح جماحه ويزجر الشهواني ليحثه على مساعدة الغضوب ويمنعه من الانشغال بتأمين شهواته ، وبذلك تسير العربة باتزان وتصل هدفها بأمان وسلام.** وهنا رب سائل يسأل ألا يوجد تعاون وتنسيق بين عمل هذه الأنفس أو بين قوى النفس هذه ، وهل توجد قوى أخرى تشارك في جر العربة كاللوامة والمطمئنة في الجواب نكرر ما قلناه من **أن النفس واحدة** ولكن لها قوى مختلفة **وهناك تنسيق وتعاون وتناغم بين هذه القوى .**

ولكي نوضح هذا التنسيق نأتي لأول جريمة قتل وقعت في البشرية فما هي هذه الجريمة ؟ إنها قيام قابيل بقتل أخيه هابيل وكيف احتجت **النفس اللوامة ونصَّبت نفسها محامياً عن المقتول وطالبت القاضي « وهو النفس العاقلة »** بأن يذكر الجاني بمبادئه وينزل العقوبة بحقه لأنه انتهك هذه المبادئ ولندخل الآن قاعة المحكمة ولننظر ماذا يحصل بها ؟

القاضي (من فوق قوس المحكمة) للمتهم من أنت ؟

المتهم : أنا النفس الغضبية .

القاضي (**لمحامي المغدور**) (النفس اللوامة) هل أن ما قاله صحيح ؟

محامي المغدور : لا يا سيادة القاضي إنه النفس الشهوانية .

الجاني : لا يا سيادة القاضي النفس الشهوانية ربما تأمر بالسوء ولكن لا لدرجة القتل أنا النفس الغضبية .

محامي المغدور : لا يا سيادة القاضي يبقى الجاني هو الجانب السلبي من

النفس الشهوانية حتى لو تغير اسمه لأن الحديث الشريف (وأذكرك يا سيادة القاضي) يقول : لا تأتوني بأحسابكم ولا تأتوني بأنسابكم بل ائتوني بأفعالكم والحديث الآخر يقول : حسب المرء خلقه ودليله عمله ، فعمله يشير إلى أنهساير شهوته وخالف عقله **فهو من النفس الشهوانية وإن كان قد استعار سلاح الغضبية** لتنفيذ فعله ... سيادة القاضي انظر أنا من النفس الغضبية وابن عمها دليل ذلك أن عمله **أغضبني فلمته** ونصَّبت من نفسي خصماً له فسميت لوّامة ، فهل أسلك الطريق الذي سلكه ؟!

القاضي رئيس المحكمة **كفى كفى إنه الجاني وهو الجانب السلبي من النفس الشهوانية وقد خالف مبادئي ... مبادئ العقل والقانون الأخلاقي وسوّغ لنفسه الغضبية هذا الفعل بافتراءات كاذبة واهية فأعارته سلاحها فاطلب يا أستاذ وكيل المغدور ماذا تريد ؟**

محامي المغدور : ألتمس من سيادة المحكمة الموقرة ما يلي :

١- تجريم المتهم بجريمة القتل العمد .

٢- إلزامه بالإقرار بالذنب والندم على الفعل .

٣- إنزال أشد العقوبات بحقه .

القاضي رئيس المحكمة : لما رأته المحكمة من عدالة طلب الأستاذ محامي المغدور وتظلم المغدور فإنها تقرر ما يلي :

١- تجريم المتهم بجناية القتل العمد عن سابق الإصرار والتصميم .

٢- اعتبار فعله بمنزلة قتل الناس جميعاً .

٣- الحكم عليه بأشد العقوبات التي ينص عليها القانون حيث إن المحكمة لم تلمس عند المتهم أي سبب مخفف للمسؤولية . وبالفعل فقد نزلت بحقه وحق أمثاله أشد العقوبات فقال الله تعالى : ﴿ **من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من**

قتل نفساً بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ﴾[1] أما باقي الطلبات فقد تحققت . أيضاً كان ذلك عندما اعترف القاتل بذنبه وأسف على فعله وتمنى أن يأتي من يدله على كيفية مواراة جثة أخيه فأرسل ا لله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه وشاهد الجاني فعل الغراب **فاقتدى به وأصبح من النادمين** وفي ذلك قال تعالى : ﴿ فبعث ا لله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتي **أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين** ﴾[2] عزيزي القارئ أخبرني بربك هل هناك أبلغ من هذا التصوير القرآني للنفس البشرية ؟ ... هل هناك أعدل من محكمة قاضيها العقل ودستورها القرآن ومحاميها ابن عم الجاني ولكن بعد أن تبرأ من فعله ووقف خصماً له ؟ هل هناك مملكة أشد تنظيماً من مملكة النفس بأركانها الآنفة الذكر ؟ الإجابة حتماً (وكما أعتقد) لا ليس هناك ومن المستحيل أن يكون .

من أجل هذا دعا القرآن الكريم للتأمل في النفس فقال : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[3] .

---

[1] سورة المائدة : الآية ٣٢ .

[2] سورة المائدة الآية ٣١ .

[3] سورة الذاريات : الآية ٢١ سبق ذكرها .

الله كما يتراءى من خلال النفس

قال تعالى : ﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾[1] وقال أيضاً : ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون﴾[2] فمن هاتين الآيتين ومن خلال حرف العطف وما بعده (وفي أنفسكم ......) يتضح لنا أن **الدلائل المؤكدة لوجود الله قائمة في النفس البشرية وحدها بما يعادل قيامها في الكون كله بكل آفاقه وفي الأرض كلها** بجميع أطرافها وليس أدل على وجود قوة الله في النفس البشرية من قوله تعالى في صريح خطابه ﴿ **إنني معكما أسمع وأرى** ﴾[3] وقوله أيضاً : ﴿ **وهو معكم أينما كنتم** والله بما تعملون بصير ﴾[4] .

لهذا دعا القرآن الكريم للتفكير في خلق الإنسان ومن هو الخالق فقال : ﴿ **أخلقوا من غير شيء أم هم الخالقون** ﴾[5] الجواب مستحيل أن يكون خلق الإنسان من دون قوة خالقة بل هو من فعل قوة عظيمة مدبرة **مبدعة خلقته وتلك القوة هي الله** إذ لا يوجد حتى الآن في الكون كله من ادعى أنه الخالق أما الله فقد أكد أنه الخالق في مواضع كثيرة ، سواء من خلال وجود الإنسان بشكل عام أم من خلال النفس فيه كأعظم قوة تسيّر هذا الإنسان وفي مثل ذلك قال رسول الله محمد ﷺ : « **من عرف نفسه فقد عرف ربه** » ، فمن عرف نفسه كمخلوق

---

(1) سورة فصلت : الآية ٥٣ سبق ذكرها .

(2) سورة الذاريات : الآية ٢١ سبق ذكرها .

(3) سورة طه : الآية ٤٦ .

(4) سورة الحديد : الآية ٤ .

(5) سورة الطور : الآية ٣٥ .

عرف ربه كخالق .

نخلص مما سبق إلى القول : إن الدلائل المؤيدة لوجود الله من خلال النفس أو علم النفس كثيرة وأكيدة فما هي هذه الدلائل ؟ للإجابة عن هذا السؤال سننطلق فيه من منطلقين : **مادي ومعنوي** ذلك انطلاقاً من قولنا السابق بأن للنفس جانبين جانباً مادياً وآخر معنوياً فماذا عن كل جانب ؟

أولاً : الدلائل النفسية على وجود الله من المنطلق المادي :

يرى حي بن يقظان أنه لا بد لكل حادث من محدث وبدورنا نقول : الإنسان ذلك المخلوق العجيب ذلك الحادث الجبار أيكون دون محدث .. ثم من هو هذا المحدث .. وما دلائل وجوده .. من هو الذي جعل هذا الحيوان المنوي الضعيف الذي لا يعادل طوله سوى ٦٠ جزء من ألف جزء من المللمتر ، من هو الذي جعل هذا الحيوان البطيء في حركته الصغير في حجمه **القصيرة فترة حياته** أساس الحياة ؟ من الذي أعلمه **أن الحركة اللولبية تكسبه سرعة وقوة تمكنانه من اختراق جدار البويضة** التي لا تزن سوى جزء من مليون جزء من الغرام ؟ لا شك بأن الله هو الذي جعل كل ذلك يحصل إلى أن تتكون الخلية الملقحة التي تتحول إلى علقة ثم إلى مضغة ثم إلى وليد صغير ثم إلى إنسان يافع كثيراً (ويا ويلتاه) ما نسي خلقه وخالقه ، ووقف خصماً عنيداً لله الذي أبدعه وهذا ما هو مصور في قول الله تعالى : ﴿ أو لم ير الإنسان أنّا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين ﴾[1] .

أيوجد بعد ذلك (وإلى الآن) من يقول كان خلقي صدفة !

إن كان يوجد فليعلم من يدعي ذلك أن **الصدفة تحصل مرة واحدة ودفعة واحدة ولا تكون على مراحل بشكل مخطط ومدروس كما في خلق الإنسان الذي خلق على مراحل بحيث إن كل مرحلة تنطلق مما قبلها وتمهد لما بعدها عبر**

---

[1] سورة ياسين : الآية ٧٧ .

توجيه إلهي محكم وفي تأكيد ذلك قال الله تعالى : ﴿ هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ﴾[1] وهو القائل ثانياً ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق ﴾[2] فهل وجد الإنسان صدفة ؟!

٢- **البرهان الثاني** في إثبات وجود ا لله من الوجهة المادية في خلق الإنسان نأخذه من الغدد الصم ذات الإفراز السرّي الداخلي العجيب والضروري لاستمرار الحياة بل **لقيام كل الحياة في الإنسان** وسنكتفي من هذه الغدد فقط بالغدة النخامية والتي يتراوح وزنها بين ٣٥٠٠-١١٠٠٠ ملغ وطولها ٨ مم والتي تتألف من فصين خلفي بسيط له إفرازان فقط وأمامي قائد له خمسة إفرازات وهذه الغدة ضرورية لاستمرار الحمل وعدم الإجهاض **وضرورية لتمكن الكلية من القيام بوظائفها . وكذلك لتنظيم استهلاك السكر ولها علاقة بالحياة الجنسية وكذلك هي المسؤولة عن الطول المتناسق وعن المظهر الجسدي المرتب وعن نمو الأطراف وعن الحياة النفسية المتوازنة ولها علاقة بسلامة وصحة عمل بقية الغدد كالدرقية وفوق الكلوية** والتناسلية وأنها تؤدي كل هذه الأدوار بواسطة إفرازاتها الداخلية المختلفة والمتنوعة والسؤال : غدة بهذا الحجم هل يعادلها مصنع بحجم (١٠٠) م^{2} ؟ خلاصات كيماوية كهذه إلى كم من الآلات تحتاج .. وكم من المكان تستهلك ؟ حتماً تحتاج الكثير وتستهلك المكان الواسع وندفع الثمن الباهظ إذا ما فكرنا بإيجاد البديل وبالنهاية حتماً لا ننجح **فمن الذي أوجد هذا المصنع بهذه الطاقة بهذا الإتقان بل بهذا الحجم الذي لا يزيد عن حجم حبة الحمص ولا يستهلك سوى حيز صغير موجود في التجويف العظمي الذي يعرف بالسرج التركي.. من الذي أوجد هذه الحماية لهذا المصنع العجيب بصغر حجمه وقلة وزنه والعجيب**

---

(١) سورة غافر : الآية ٦٧ .

(٢) فيها يكون إفراز الهرمون الحافز للطلق والمسبب لقذف الجنين خارج الرحم .

بطاقته الإنتاجية ، أكان ذلك مجرد صدفة أيها الإنسان ؟ ولكن كما يقول تعالى: ﴿ **بل عجبت ويسخرون وإذا ذكروا لا يذكرون** ﴾ هذا وإن المسألة تزداد غرابة ودهشة إذا ما علمنا أن اتزان عمل هذه الغدة يضفي جمالاً في الشكل والقوام يتوسم المجتمع كل خير لهذا **ربط أفلاطون بين الخير والجمال** ورأى أنهما لا يفترقان حتى رأى أن الجمال طريق كل خير وفي ذلك قال رسول الله ﷺ : « **اطلب الحاجة من حسان الوجوه** » . إذاً كانت الغدة في هذه الحالة بشكل ما سبباً للقيام بفعل الخير وفي تعليق أفلاطون على **علاقة الخير والجمال بالخالق قال** : **لا يمكن أن يكون هذا بعلة افتراضية ضعيفة بل لا بد أن تكون من صنع عقل مدبر توخّى الخير ورتب كل شيء عن قصد هذا العقل المدبر هو الله الذي قال:** ﴿لقد خلقنا الإنسان في **أحسن تقويم** ﴾[1] .

وهنا قد نجد من يقول : ما دام الله موجوداً داخل النفس فلماذا لا تدركه الأبصار ؟ في الرد على هذا **نقول : إن البصر يدرك ما هو مادي فقط والله مجرد عن المادة وفي ذلك قال تعالى** : ﴿ **لا تدركه الأبصار** وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾[2] .

ثانياً : الدلائل النفسية على وجود الله من الوجه المعنوي :

الدلائل النفسية المؤكدة لوجود الله من الوجه المعنوي كثيرة وسنقف عند بعضها :

١- يقول رسول الله ﷺ : « يولد المولود على **الفطرة** فأبواه يهودانه أو يمجّسانه أو ينصرانه » فما الذي تقوله هذه الفطرة ؟ إنها تقول بوجود **قوة جبارة أبدعت الكون وأبدعت الإنسان** ليعمر هذا الكون ، والذي تقوله أيضاً تجب

---

[1] سورة التين : الآية ٤ .

[2] سورة الأنعام : الآية ١٠٣ .

الإطاعة لهذه القوة والإذعان لها والخضوع لأوامرها وهذه القوة قد أوجدت في نفس الإنسان مشاعر كثيرة لا يمكن الإحاطة بها ومن أولى هذه المشاعر وأهمها **الشعور العفوي التلقائي بوجود الله دليل ذلك أنه ما من إنسان** يتكلم ويريد لكلامه أن ينال الثقة والتصديق إلا ويسند كلامه لقوة خفية جبارة ، لاحظ **أن حاكم الصين** قديماً عندما أراد لحكمه النجاح ولقراراته التنفيذ سمى نفسه **ابن السماء** ولاحظ أن أي إنسان إذا أراد أن يحلف ويقسم القسم المعظم ليصدَّق فيما يقول تراه يقسم با لله ولاحظ أن المنجمين وضاربي المندل (كما يقولون) إذا أرادوا لمعلوماتهم أن تصدق وتكتسب الثقة يدعون أن **تلك المعلومات تأتيهم من قبل قوة خفية عليا والنفس البشرية التي تسمع ذلك سرعان ما تصدق بالفطرة هذه الأقاويل وحتى إنّه إذا وجد من يشك في ذلك فهو يشك بكلامهم ومدى صدقه ولا يشك في وجود هذه القوة .**

بالنهاية ليس شيء أدل على وجود ا لله في النفس البشرية من أن أي كلام مجمل أو مختصر حول هذه القوة سرعان ما يلقى تصديقاً من قبل كل من يسميه وحتى إن كان الأمر على مستوى اللاشعور .

وإليك ما حصل معي بالذات عندما كنت أقوم بتأدية الخدمة الإلزامية وكنت برفقة خبير روسي لا يؤمن بوجود ا لله وذات يوم هبت رياح عاتية كادت أن تحدث تخريباً في العمل الذي نؤدية فسألته (ولأول مرة /رغم علاقتي الإيجابية الوثيقة معه/ : من الذي أرسل هذه الرياح **فأجاب لا أعرف** واكتفيت بطرح هذا السؤال دون إفاضة حوله خشية أن يساء الفهم إلا **أنه تابع من تلقاء ذاته وقال : الله ... وأردف وبلغته : إن كان الله هو الذي أرسل هذه الرياح فأنا لا أعرف .. ربما** . وهنا تساءلت ما الذي أوجد هذا المعنى بهذا اللفظ في نفسه فأتاني الجواب بعد فترة وجيزة **إنها فطرة الله** التي فطر الناس عليها فهي التي أوجدت هذه القوة بهذا المعنى في النفس الإنسانية **وتحدت عقول البشر إن كانوا يستطيعون**

وضع تسمية أخرى لها وفي ذلك قال تعالى : ﴿ رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميا ﴾[1] .

٢- يقال في علم النفس إن لكل مفهوم خاصتين هما : شمول وتضمن .. اسم ومعنى ، وكلمة الله مفهوم فما شموله وما تضمنه ؟ في الإجابة نقول **شموله هو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد** أي لا يمكن أن يكون له مثيل .

إذاً شموله هو الله **وحده وتضمنه هي خصائص قدرته وحكمته وقوته وعظمته وإبداعه وخلقه وضمن ما يحتوي هذا المفهوم أنه المحرك الأوحد كما يقول أرسطو وضمن ما يعني أيضاً أنه العقل المدبر الذي تعقل ذاته فأوجدها ثم تعقل غيره فأوجده كما يرى الفارابي الذي قال في تعريفه لله : إنه الموجود الواجب الوجود .**

نخلص إلى القول ومن خلال ما سبق أن الله واحد بشموله واحد باسمه واحد بمعناه ولا نستطيع أن نضع لأي مفهوم اسماً إلا إذا كان له وجود أولاً **على ذلك كان الله أولاً موجوداً بمعناه وكان اسمه ثانياً** وهذا ما أتعب الفلاسفة وعلماء النفس الذين أجهدوا أنفسهم بالتفكير بما وراء المادة ، بما وراء المحسوسات بل القوة التي أوجدت هذه المادة وهذه المحسوسات ، بالله فاطر السموات والأرض ، فاطر الإنسان **وكلهم انتهوا إلى حقيقة تؤكد وجود** الله وإن اختلفت صيغة هذه الحقيقة.

٣- إن وجود النفس على هيئة وسيط بين جانبين معنوي روحي يتصل بالله وبعالم الغيب ومادي جسدي يتصل بالناس وبعالم الجسد .. بالدنيا ومتاعها . أقول

---

[1] سورة مريم : الآية ٦٥ .

إن وجود النفس **لتجمع بين متناقضين ومتضادين جمع تدبير وتوجيه وتسيير** بإحكام وعقل واتزان لدليل كامل على **وجود قوة عظيمة جبارة استطاعت تحقيق مثل هذا الجمع وهذا التسيير** وما يزيدنا إيماناً وتصديقاً بوجود مثل هذه القوة أنها تجعل لساننا الذي هو ليس أكثر من قطعة لحمية سريعة التلف يتكلم وتجعل الدماغ الذي هو كتلة دهنية رمادية وبيضاء (مع بعض العروق الدموية التي تتخلله) **يفكر ويحاكم** من الذي جعل كل هذه كذلك ؟ إنه الرحمن الذي خلق الإنسان وعلمه البيان[1] .

أيوجد بعد كل ذلك من يقول : كان خلق الإنسان صدفة ؟ أتصور (لا) وإن وجد فهو **يكابر** ويجادل وعلى الناس الابتعاد عنه وفي مثل هذا قال رسول الله ﷺ : **« من تعلم العلم ليماري به السفهاء أو يكابر به العلماء أو يجلب وجوه الناس إليه فليتبوأ مقعده من النار »** . أيوجد من يقول ذلك ! إني أتعجب والشاعر ابن المعتز معي يتعجب وفي تعجبه قال :

فيا عجباً كيف يعصي الإله — أو كيف **يجحده الجاحد**
وفي كل تسكينة وتحريكة — أبداً له شاهد
وفي كل شيء له آية — تدل على أنه الواحد

[1] قال تعالى : ﴿ الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ﴾ سورة الرحمن : الآية من ١-٤ .

النفس عند النوم إلى أين ؟

قال ا لله تعالى : ﴿ **وهو الذي يتوفاكم بالليل** ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليُقضى أجلٌ مسمى ﴾(١) ويقول في آية ثانية : ﴿ **الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها** فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى ﴾(٢) وقال في آية ثالثة : ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ﴾(٣) يتضح لنا من الآيات السابقة الذكر النقاط التالية :

١- حالة النفس مع الإنسان عند النوم غير حالتها عند اليقظة .

٢- النفس عند النوم تنقلب إلى ا لله أو إلى ا لله تصير .

٣- النفس عند النوم تبقى على **صلة بالجسد رغم أنها تكون بحضرة ربها الذي** أوجدها .

٤- هناك تشابه بين وفاة النوم ووفاة الموت .

لاحظ علماء النفس (وبإمكان كل إنسان أن يلاحظ ذلك) أن الإنسان في حالة النوم ليس كما هو في حالة اليقظة وما يدل على ذلك النقاط التالية :

١- يبقى الجسد في حالة النوم حياً وذلك بفعل الروح التي تمده بالحياة إلا أن حركته تبقى **ضعيفة وغير موجهة** ودون أن تأخذ الشكل المألوف والمعتاد في حالة اليقظة أي يبقى شبحاً فيه حياة ولكن غير موجهة بكلام آخر **إن ما ينقصه السلوك الحركي الموجه** أو الواعي .

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٦٠ .

(٢) سورة الزمر : الآية ٤٢ .

(٣) سورة الأنعام : الآية ٦١ .

٢- نظرة إلى أي نـائم ترينـا أن حياتـه تكـاد **تقتصـر علـى العـالم الداخلـي النفسي عالم** الخيال والأحلام وهذا ما أشـار إليـه بعضهـم عندمـا قـال : إن النفـس جوهر روحاني إن أشـرق علـى ظـاهر الجسـم وباطنـه معـاً حصلـت اليقظـة ، وإن أشرق على باطنه فقط حصل النوم .

٣- **إن عمل الحواس يتعطل عند النوم** . لاحظ أن النائم لا يبصر ولا يشـم ولا يلمس .. وغياب الإحساس هذا إن أشار إلى شيء فهو يشير إلى أن النفـس قـد استرسلت في عـالم آخر غير عـالم الإحسـاس لهـذا نجـد صعوبـة في إيقـاظ النـائم خصوصاً عندما يدخل في المرحلة الثالثة[1] وحتى إنه حين يستيقظ يتصرف **كما لو أنه كان في غير هذا العالم فيتكلم بكلام بعيد عن الواقع ويتصل بعـالم آخـر كـان يعيش فيه حين النوم .**

٤- إن الإحساس والشعور اللذين همـا مـن أهـم وظـائف النفـس وأعمالهـا بعيدان عن النائم أو غائبان عنه مما يشير إلى أن النفس عند النائم غير موجودة بكـل إمكانيتها بل ببعضها أي **غير موجـودة بـالفعل بـل بـالقوة فقـط ولا تتحـول إلى الفعل إلا بالاستيقاظ .**

لاحظ اللسان كأداة إحساس ذوقي موجـود بـالقوة عنـد النـائم ولكـن دون فعل ولاحظ أيضاً أن الإدراك أو التفسير ، والفرح أو السرور ، والحزن أو الغضـب كعمليات شعورية تؤديها النفس غير موجودة عند النائم بالفعل وما إن يسـتيقظ إلا وتبدأ عملها فكل ما سبق يشير إلى أن **النفس بالمعنى الكامل والقوة المؤثرة لم تعـد بالجسد بل سافرت إلى عالم آخر ولكن بقيت متصلة بالجسد الذي ابتعدت عنه.**

٥- **إن أداء النفس ودورها من خلال النوم يتناقص وإن كـان لا ينعـدم .**

---

[1] للمزيد من المعلومات عن مراحل النوم راجع مجلة عالم المعرفة بعنوان النوم وأسـراره وهـذا مـا سيكون لنـا حديث عنه في الكتاب الثالث الذي هو قيد الإنجاز .

لاحظ أن الجهاز العصبي كمركز مادي للوظائف النفسية لم يعد يستقبل أي إحساس يرده من الحواس الخارجية بل أصبح يعمل فقط على مستوى اللاشعور مما يدل على أن تأثير النفس في الجسد **قد تقلص أو تناقص ويتجلى ذلك من خلال قلة حركة النائم بشكل عام وانعدام الحركة الموجهة بشكل خاص .**

٦- المعروف أن المخيلة لا تعمل إلا بمادة خام ترد إليها عن طريق الحواس لذلك نجدها طوال النهار تسرح في أمور الدنيا والواقع وأمور تخص الإحساس أما في الليل حيث تكون الحواس معطلة عن العمل **فتسرح في عالم الغيب والأحلام .**

كل ما سبق يشير إلى أن النفس عند النوم ليست مع الجسم بذات المستوى الذي تكون عليه عند اليقظة وقبل النوم والسؤال ما دامت النفس ليست مع الجسم عند النوم فأين تكون ؟

تكون مع الله وعند الله وإليك الأدلة على ذلك :

١- يقول تعالى : ﴿ وهو الذي **يتوفاكم بالليل** ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ﴾[١] يفهم من سياق الآية أن النفس **عند النوم تكون عند الله لتأنس بالقرب منه** ولتستريح مما كانت تعانيه أثناء وجودها في سجن الجسد ولتستلهم منه مباشرة **فتتعلم شفاء بعض** الأمراض كما ذكر ابن أبي أصيبعة في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء[٢] ولتسترشد إلى بعض الخفايا التي ضل أصحابها أماكن وجودها[٣] ثم يبعثها خلال النهار كما أخبر في آخر الآية السابقة الذكر (ثم يبعثكم فيه) . إذاً إن الكثير من التهيؤات الإلهية تأتي بعض النائمين من عالم علوي غير حسي أثناء النوم فكيف حصل ذلك ؟ **لا شك أن ذلك قد حصل عن طريق اتصال النفس بعالم غيبي هو عالم الباري عز وجل .**

---

[١] سورة الأنعام : الآية ٦٠ سبق ذكرها .

[٢] سيرد لاحقاً ذكر قصة تعني ذلك .

[٣] سبق أن تكلمنا عن مثل ذلك في كتابنا الأول / الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجية والقرآن/ .

٢- يرى ابن سينا أن المتخيلة /التي هي أحد الأولاد المدللين للنفس/ إذا ابتعدت عن الحس (كما في النوم) اتصلت بالفضاء الكوني لتحل محل النفس فأدركت صوراً إلهية ومرئيات عجيبة وأقاويل ربانية .

٣- يقول أفلاطون إن كل نفس تذهب إلى الكوكب الذي صدرت عنه ثم إلى خالقها حيث الوجود القدسي والاستجمام الإلهي وكلما عادت من لدنه عادت لتغرد وتشدو بأنغام الرحيل نحو البارئ المصور وفي ذلك يقول ابن سينا :

وغدت تغرد فوق ذروة شاهق　　　والعلم يرفع كل من لم يرفع

فلأي شيء أهبطت من شاهق　　　سام إلى قعر الحضيض الأوضع

٤- يقول الرازي إن للنفس تعلقاً بالذات الإلهية وأن تعلقها بالبدن يمنع عنها الاتصال بهذه الذات وعند النوم حيث همود الحارث ونومه فتصعد إلى تلك الذات حيث الكمال الإلهي ويكون هذا الصعود من خلال الجانب المعنوي من النفس .

٥- ثبت عن الصحابة أن النفس حين وفاة النوم أو الموت تسجد بين يدي الله وتحييه حين قدومها إليه وتقول : اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام .

٦- ليس شيء أدل على أن النفس عند النوم تكون عند ربها مما رواه عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك بأن رجلاً من الصحابة اسمه مالك قد نام في لحظة من النهار وكان يستعد لخوض معركة بالبحر فاستيقظ وهو يقول رأيت في المنام وكأني قد استشهدت وسقاني ربي لبناً وعندما أقسم عليه القوم استقاء فإذا باللبن يخرج من فمه ولم يكن بذاك المكان لبن ، وبالفعل حصلت المعركة في ذلكم المكان ومن ذات اليوم فاستشهد .

وهنا طبيعي أن يوجد من يسأل ويقول ما دامت النفس في أثناء النوم عند

ربها فكيف يتحقق الاتصال بينها وبين الجسد ؟ في الجواب نقول :

تبقى النفس متصلة بالبدن اتصال الشمس بالأرض أفلا تحيا الأرض بنور الشمس ؟ نعم فكما تحيا الأرض بنور الشمس كذلك يحيا الجسد بإشعاعات النفس حياة المحبوب برؤيا حبيبه كما يقول الرازي[1] **وأن اتصال النفس بالله عند الليل لا يعني موت الجسد بل يعني بقاء بلا فناء وعزة بلا ذل وأمن بلا خوف ولا يموت الجسم إلا بزوال الروح والروح لا تفارق الجسم إلا بالموت** بدليل قوله تعالى : ﴿ حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا **وهم لا يفرطون** ﴾[2] وفي تفسير هذه الآية قال المفسرون لا يفرطون بشيء منه لا بروحه ولا بجسده والسؤال هل **النوم موت**؟ لقد شبه لقمان النوم بالموت والاستيقاظ بالبعث عندما قال لابنه وهو يوصيه « **يا بني إذا كنت في شك من الموت فامنع عن عينيك النوم . وإن كنت في شك من البعث فامنع عن عينيك اليقظة » إذاً هناك تشابه بين وفاة النوم ووفاة الموت ولكن وفاة الموت تكون من قبل ملك الموت الذي يسوق الميت ليريه مقامه الذي لا رجعة عنه أما وفاة النوم فتكون من قبل الله مباشرة وبقدرته المميزة والتي تضع النفس في حالة استجمام إلهي في حضرة الملكوت الأعلى** خلال الليل وتعيدها خلال النهار أو عندما يقضي الله بذلك **وبكلام آخر النوم موت مؤقت لعالم الحس والشعور ولعالم الحركة بشكل ما ، أما عالم الروح والنفس والأحلام فلا موت فيه بل هو حياة غير حياة النهار والموت يبقى انقطاعاً دائماً عن عالم الحس والحركة والحياة كلها ولا رجعة بعده أبداً** بالإضافة إلى ما سبق يجدر بنا أن نتعرض لموضوع الأحلام وكيف يتضح /من هذا الموضوع/ رحيل **النفس خلال الليل إلى خالقها وأخذها عنه مباشرة** وذلك ضمن ما جاء في

---

[1] محمد بن زكريا الرازي ، إمام المتكلمين وقامع المبتدعين ، العالم المتبحر ، فخر الإسلام ، ولد سنة ٥٤٥ هـ وتوفي ٦٠٧ ، له مؤلفات كثيرة .

[2] سورة الأنعام : الآية ٦١ سبق ذكرها .

القصص القديمة أو في القصص الحديثة من العصر الحالي .

من القصص القديمة في التاريخ القديم يذكر كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء المشار إليه سابقاً أن جالينوس (أبو الطب) قد تعلم الفصد عن طريق الرؤيا الرحمانية أثناء الليل والفصد كما ثبت الآن يلعب دوراً في تنشيط الدورة الدموية وفي المساعدة على مواجهة بعض الأمراض وتحملها .

ومما يذكر أن الحارث بن أسد المحاسبي وخلف بن القاسم عن سعيد بن سلمة قال : بينما امرأة عند عائشة إذ أخذت تقول : بايعت رسول الله ﷺ على ألا أشرك با لله شيئاً ولا أزني ولا أسرق ولا أقتل ولدي ولا آتي بهتاناً افتريته من بين يدي ولا أعصي الله فوفيت لربي ووفاني ربي فوا لله إن الله لا يعذبني **وبينما هي نائمة أتاها ملك في المنام فقال** لها : كلا إنك تتبرجين وزينتك تبدين وخيرك تمنعين وجارك تؤذين وزوجك تعصين ثم وضع أصابعه الخمس على وجهها وقال **خمس بخمس ولو زدت زدناك فاستيقظت وأصابع الملك على وجهها .**

هذا مما جاء في الأخبار القديمة أما ما جاء من الأخبار في التاريخ الحديث ومما ورد في كتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء السابق ذكره /والذي طبع وترجم مرات عدة ، وبأكثر من لغة ويعمل به الآن كمرجع طبي موثوق به في كليات الطب من جامعات بلدنا سورية ووطننا العربي/ إن ملكاً في المغرب مرض مرضاً عضالاً يئس الطب من شفائه ويقال إنه نام يوماً متألماً من مرضه قلقاً على حياته **فشاهد في المنام من يقول له (ادّهن بلا وكل بلا)** ولم يفهم من هذه الألغاز شيئاً سوى أنه دوَّنها عندما استيقظ ويوماً أتاه مفسر من الشرق فسأله عن تفسير هذه الألغاز فقال له المفسر : **إن الله يأمرك أن تدهن جسدك بالزيت وأن تأكل منه فقال له ويحك من أين حصلت على هذا التفسير ؟ فقال : يقول تعالى ﴿ من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار**

نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ﴾[1] ألم تلاحظ يا جلالة الملك أن كلمة (**لا**) **قد وردت** مرتين في هذه الآية وأن الله هداك لنورها كما قال في نهاية الآية السابقة .

والقصة الثانية حدثنيها رجل يغازل عمره السبعين ما زال يعيش بين ظهرانينا اسمه **حج بكور** وهو رجل يضرب به المثل **بالصدق والاستقامة ، بالبراءة والطهر، بالتواضع والعفة** . سألته ذات يوم وقلت له ناشدتك الله إلا حدثتني بقصة احتراق ظاهر كفك (ولم أكن حينئذ أثق بهذه القصة المتداولة في البلدة) قال : اجلس يا بني وهكذا فعلت فقال لي عندما كنت طفلاً دأب أبي على إلزامي بقراءة القرآن مكرهاً عند الشيخ في المسجد لذا فكنت أدخل المسجد في حالات كثيرة وأمسك القرآن وأقرأ بلا وضوء وأحس بالندم وذات ليلة جاءني في المنام رجل يوقظني حاملاً بيده عصاً رأسها أحمر كالجمر وخاطبني مغضباً وقال : **أو تدخل المسجد ثانية بلا وضوء فأجبت بلا مبالاة « لا » فقال : إذن أحرقك بهذه وأمالها على ظهر كفي** فأحسست بالحرق فصرخت بصوت عال أيقظني من عميق نومي وإذ بآثار الحرق بادية على ظهر كفي وبقيت كذلك **نحو شهرين** ومنذ ذلك الحين لم أعد أهزأ بأي شعيرة دينية أو أي حق من حقوق الله تبارك وتعالى .

والسؤال الأخير أيكون ذلك للمؤمن والكافر على السواء في الجواب نقول يكون ذلك **لكل إنسان مهما كان** دليل ذلك قوله تعالى : ﴿ الله يتوفى الأنفس حين موتها **والتي لم تمت في منامها** ﴾ .

---

[1] سورة النور : الآية ٣٥ .

النفس بعد الموت إلى أين ؟

قال تعالى ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة **باسطو أيديهم** أخرجو أنفسكم اليوم تجوزن عذاب الهون ... **لقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم** أول مرة [(١)] .

من هذه الآية يتبين أن النفس بعد الموت **ترجع إلى الله الذي خلقها أول مرة إذ** تنفصل عن الجسد وتستقبلها الملائكة لتنقلها إلى ا لله فكيف سيكون ذلك ؟ ... ألا تموت النفس بموت الجسد ؟ في الإجابة نقول **إنها لا تموت لأن جوهرها يختلف عن جوهر الجسد**[(٢)] وكيف تموت وهي هبة الروح إلى الجسد ومن جوهر الخالق البارئ كما يقول أفلاطون ثم كيف تموت بموت الجسد وأنها تنتظر الانعتاق من الجسد عند موته كما يقول سقراط **نخلص للقول : إنها لا تموت بموت البدن بل تستوفي منه وتردّ إلى الله مولاها الحقيقي كما قال تعالى : ﴿ وردُّوا إلى الله مولاهم الحق ﴾**[(٣)] **وقوله أيضاً ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك** راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾[(٤)] وهنا ربما يفيدنا أن نذكر قول سقراط **بأن النفس جوهر روحي قائم** بذاته وأن **البدن أداة لهذا الجوهر ولا يقوم إلا به وقول** أرسطو بأنها كمال للجسم وصورة عنه وقول **الفارابي : تقوم في عالم آخر وذلك بعد موت الجسم وفنائه / فما** هو ذاك العالم وهل يكون لكل نفس ؟

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٣-٩٤ .

(٢) نقصد الجانب المعنوي الروحي من النفس والذي يكون السبب في إطلاق لفظ النفس في القرآن في يكون المقصود بهذا اللفظ الروح كقوله تعالى : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك ... ﴾ .

(٣) سورة يونس : الآية ٣٠ .

(٤) سورة الفجر : الآية ٢٧ .

في الجواب نقول : كل النفوس مع أصحابها ترجع إلى ا لله « ولقد جئتمونا فرادى ... » الآية السابقة الذكر ولكن ا لله سبحانه وتعالى يقبل نفس المؤمن منها ويرد نفس الكافر إلى أسفل الثرى إلى سجين ولقد وردت الأحاديث الكثيرة التي تشير إلى مستقر النفس فلقد قال **سلمان الفارسي : إن روح المؤمن في برزخ تسرح. حيث شاءت وروح الكافر في سجين وقال تعالى :** ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفي سجين ﴾[1] وفي حديث أبي هريرة أن المتوفّى تحضره الملائكة فإن كان صالحاً قالوا أخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب **أخرجي حميدة وأبشري بروح** وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال حتى تخرج **فيعرج بها حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل وإذا كان الرجل** سيئاً ، تقول الملائكة : اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث أخرجي ذميمة وأبشري بحميم وغساق ولا يزال يقال لها حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها ا لله عز وجل فيقال من هذا فيقال فلان بن فلان فيقال لا مرحباً بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فإنه لا تفتح لها أبواب السماء فترسل إلى الأرض ثم تصير إلى القبر [2] وهو حديث صحيح .

إذاً مصير النفس إما إلى الله بالقرب منه ولتجزى ما عملت من خير وإما إلى الثرى وظلام القبر لتعذب وتتألم منتظرة يوم الحساب .

---

[1] سورة المطففين : الآية ٧ .

[2] ورد في كتاب الروح لابن القيم الجوزي .

علاقة النفس بالجسد كيف ؟

إن أية نظرة متأنية لأي إنسان طال زمنها أم قصر كافية بأن ترينا **علاقة أكيدة ووثيقة بين نفس هذا الإنسان وبدنه ، علاقة اشتغال وتفاعل لا علاقة انطباع وتجاور ولم لا يكون ذلك ؟ وأن كل بدن يتهيأ لاستقبال نفس مكافئة وموافقة لاعتدال هذا الجسد كما يقول ابن سينا**[1] .. نظرة متأنية ترينا علاقة بينهما أشبه ما تكون بالعلاقة بين الصورة **والمرآة التي حلت بها تلك الصورة (كما يقول ابن طفيل**[2]) فإن كانت المرآة كانت الصورة وإن ذهبت وتهشمت بقيت تلك الصورة في عالم الغيب أو أصبحت هناك . نقول بذلك لثقتنا بأن النفس **هي وسيط بين الجانب المادي** لهذه الصورة **والذي شكّل مكوناتها الملموسة وبين الجانب الروحي المعنوي والذي يضمن صفاء ونقاء وطهارة هذه الصورة** ومثل هذا ما جاء على لسان **مسكويه** عندما قال : ليست النفس جسماً بل **هي وسيط بين الروح والجسم** وحول هذه العلاقة بين النفس والجسد تكلمت الدراسات والأبحاث القديمة وكذلك الدراسات والأبحاث الحديثة فما الذي قالته كل منها :

أ – علاقة النفس بالجسد وفق ما جاء في الدراسات القديمة :

إن الدراسات القديمة التي تكلمت حول هذا الموضوع كثيرة منها ما كان قبل ولادة السيد المسيح ومنها ما كان بعد ولادته وهنا وقبل أن ندخل في هذا الموضوع حري بنا أن نجيب عن سؤال بعض القراء حول الأساس الذي اعتمدناه في

---

(1) أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن علي ابن سينا الشيخ الرئيس درس العلوم الشرعية والعقلية وعمل بالسياسة الدر – ٣٧٠-٤٢٨ هـ / -٩٨-١٠٣٧ / م .

(2) أبو بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل القبسي ولد ٥٠٠ هـ – ١١٠٦ م وتوفي ٥٨١ هـ – ١١٨٥ م درس الفلسفة والطب وعلوم الدين واشتغل بالسياسة .

التمييز بين القديم والحديث فنقول : إن ما كان قبل أن عُزل علم النفس عن الفلسفة في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين يعتبر في كتابنا قديماً وما كان بعده يعتبر حديثاً فما الذي قيل عن علاقة النفس بالجسد في القديم .

١- يرى أفلاطون أن النفس موجودة قبل الجسد وأنها به بعد تشكيله ولكن ليست هي من جنسه **لذلك تعود لخالقها بعد أن يموت الجسد ويرى أنها الفارس أما الجسد : فهو الفرس التي يستخدمها الفارس الذي ينشغل بأمر فرسه ويسوسه**[١] .

٢- يقول بطليموس **أنت من نفس وجسد** ويشير هيبو قراط للعلاقة بين النفس والجسد عندما يقول بأربعة نماذج للشخصية ولكل نموذج جسدي خصائص تميزه فمثلاً :

أ - **الدموي** : معتدل القوام ويميل جسده إلى الطول وجهه أحمر وصفاته النفسية مرح ، دعابي ، حيوي ، نشيط ، إلا أنه نزق هائج .

ب - **الصفراوي** : طويل ، نحيف ، لون وجهه يميل إلى الصفرة ، وهو حسود ، حقود ، سريع الاستثارة لا ينسى الأسى بسهولة ...

ج - **السوداوي** : أيضاً طويل نحيف أسمر اللون وصفاته النفسية كئيب ، متشائم ، يائس قنوط ، حزين ، غير متفائل .

د - البلغمي : يسمى كذلك لغلبة البلغم في دمه ، وهو هادئ لدرجة البلادة والخمول إلا أنه صادق ودود وفيّ ، طيب ، دمث الخلق ، يحاكم بشكل جيد في كل الأحوال ، من خلال هذا التصنيف نجد أن هيبو قراط قد انطلق من **الوضع الجسدي في تحديد الخصائص النفسية .**

٣ - يرى ابن سينا أن النفس جوهر روحاني قائم بذاته وأنها أصل الحركة

---

[١] مع بعض التصرف من قبلنا .

بالبدن وتتصرف في أجزائه تصرف المالك بملكه لاحظ أنه يقول (الجسم محتاج إلى النفس تمام الاحتياج في حين أنها لا تحتاج إليه في شيء وتابع يقول لا يتعين جسم **ولا يتمدد إلا إذا اتصلت به نفس خاصة** وفي ذلك إشارة واضحة للعلاقة بين النفس والبدن حتى إنه يرى أن الجسم بلا نفس شبح من الأشباح ويرى كذلك أن النفس صورة الجسم تمكنه من الظهور بمظهره المخصوص به ومن القيام بواجباته وأعماله الخاصة على ضوء ما سبق فالإنسان ليس مزيجاً من مكونات أربعة **بل من مزيج من هذه المكونات وقد اهتدت بهدي النفس فعقلت وتدبرت وأبدعت** وعن مصير العلاقة بين النفس والبدن قال ابن سينا :

النفس ليست فانية بفناء الجسد لأنها ليست من جنسه وأنها ستغادر يوماً الجسد عندما يموت بعد أن ألفت البقاء فيه فلنستمع إليه يقول :

حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع
وغدت مفارقة لكل مخلّف عنها حليف الترب غير مشيع

أخيراً ولعل أهم ما يشير للعلاقة بين النفس والجسد قول ابن سينا إن النفس هي القوة المحركة للبدن وهي القوة المدركة إذاً هي قوة فاعلة في البدن وهي قوة منفعلة فيه .

٤- يقول الطبيب أبو بكر الرازي لأحد طلابه وهو يعلمه مهنة الطب : أوهم المريض بالصحة وإن لم تكن فيه **فإن معاملة النفس قبل معاملة البدن** ويقول الشيخ محمد أمين الكردي في كتاب رياض الصالحين إن الجسد مملكة النفس ومدينتها وقد سئل حكيم بأي شيء أقيد نفسي ؟ فأجاب قيدها بالجوع والعطش والمعروف أن الطعام والشراب هما زاد الجسم ومع ذلك يستخدمان في تأديب النفس مما يشير للعلاقة بين النفس والبدن .

ب – علاقة النفس بالجسد وفق ما جاء بالدراسات والأبحاث الحديثة :

– إن الدراسات والأبحاث الجديدة التي تكلمت عن هذا الموضوع كثيرة ومتعددة وسنقف عند بعضها :

١– يقول ندرة اليازجي في مقالة له عن النفس والعقل والروح إن النفس هي من معطيات الروح للجسد وبحلولها فيه يكتسب هذا الأخير بعض خصائص الروح فيحصل الإحساس ويحصل الشعور وتحصل الحركة لاحظ أن الجسد يؤدي وظيفة الإحساس عن طريق أسلحته الخمس (بصر ، سمع ، شم ، ذوق ، لمس) ولكن نتائج تلك الإحساسات تصبح شعوراً يتصل بالجانب المعنوي من النفس فيصبح إدراكاً بعد أن يستفيد من معطيات الخبرة السابقة . إذاً باتصالٍ محدد للنفس بالجسد يحصل الإدراك الذي يميز الإنسان عن الحيوان .

٢– يرى هيغل أن النفس تبدأ فكراً خالصاً ومجرداً ثم تتحول إلى نقيضها إلى أن يصبح لها جانب جسدي وآخر نفسي وبذلك **تحصل العلاقة بين النفس والجسد .**

٣– يرى **رونيه أوبير** أن مانربيه ليس الجسد وليس النفس وإنما هو مزيج بينهما يتكون منه الإنسان . **على ذلك فالإنسان هو علاقة النفس بالجسد .**

٤– يصنف كل من شيلدون وكرتشمر الشخصية استناداً للعلاقة بين النفس والجسد فيقول **كرتشمر** بالنموذج البدين والنموذج الرياضي والنموذج النحيف ويقول شيلدون بالنموذج الحشوي والنموذج العضلي والنموذج الجلدي ويقول كل من هذين العالمين بخصائص نفسية لكل نموذج . لاحظ أنهما يقولان مثلاً : إن كلاً من البدين والحشوي ميال للدعابة والمرح وأن كلاً منهما لا يحمل غلاً ولا حقداً وأن عقلية أي منهما تركيبته وبعيدة عن التحليل وأن أياً لا يستجيب إلا للكلام العنيف والصوت العالي بل الصوت المدوي وعكس هذا الكلام قالاه للنموذج النحيف والمكون الجلدي .

٥- لقد أثبتت تجارب علم النفس الفيزيولوجي **أن القشرة الدماغية من الجملة العصبية** المركزية هي المسؤولة عن العمليات النفسية والانفعالية كما وأثبتت التجارب أيضاً أن تطور العمليات النفسية يناسب زيادة تعقيد الجهاز العصبي بشكل عام والقشرة الدماغية منه بشكل خاص حتى أن بعضهم رأى بأن شدة الذكاء تناسب عمق التجاعيد والتجاويف المخية . والسؤال أليست الجملة العصبية من مكونات الجسد ؟ **إذا كانت الإجابة نعم إذاً فهناك علاقة بين النفس والجسد ذلك لأن جميع الوظائف النفسية تؤديها هذه الجملة .**

٦- أثبتت تجارب علم النفس الفيزيولوجي أيضاً أن الوضع النفسي للإنسان من قلق واكتئاب أو من فرح وانشراح **يتزامن مع وضع جسدي محدد** فقد لوحظ أن **المعتل جسدياً** يكون في الأعم الأغلب كئيباً ، قلقاً **أصفر الوجه** قليل الحركة وأن **المرح** يكون متفائلاً نشيطاً كثير الحركة مُبتسماً ويظهر ذلك على قسمات وجهه . نقول بذلك لأن الوضع النفسي الاكتئابي يؤدي لتضايق الشرايين والأوعية الدموية وبالتالي لقلة كمية الدم التي تصل الجلد والجملة العصبية المحيطية ومن ثم لاصفرار الوجه أو لاتساع الأوعية الدموية والشرايين وزيادة كمية الدم التي تصل الوجه والجملة العصبية المحيطية واحمرار الوجه وفي مثل ذلك يقول **الإمام علي بن أبي طالب** كرم الله وجهه **ما أضمر أحد أمراً إلا وظهر على صفحات وجهه .** ويقول كذلك من استقبل وجوه الآخرين عرف مواضع الخطأ .

أخيراً ليس أدلّ على **علاقة الوضع** النفسي بالجسدي من قول الله عز وجل في محكم بيانه ﴿ سيماهم في وجوههم[١] ﴾ ويقول أيضاً ﴿ **يوم تَبيضُّ وجوه وتسودّ وجوه** فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾[٢] .

---

[١] سورة الفتح : الآية ٩ .

[٢] سورة آل عمران : الآية ١٠٦ .

وقال أيضاً ﴿ وأما الذين ابيضت **وجوههم ففي رحمة الله هم فيها** خالدون ﴾[1] وعند الرجوع إلى تفسير هاتين الآتيتين يظهر أن الوجه يسودّ عندما يتوقع صاحبه شدة العذاب الذي سيلقاه وأنه يبيض عندما يسر صاحبه وينشرح بما يتوقعه من رحمة الله .

٧- إن ما يؤكد العلاقة بين النفس والبدن هو أن أي انفعال يرافق بقيام الغدة فوق الكظرية بإفراز هرمون الأدرينالين الذي يحدث خللاً في سكر البدن فيولد طاقة تؤدي لزيادة القوة الجسدية فيدفع **الغاضب نحو المشاجرة وترتعد أطرافه وتزداد ضربات قلبه .**

٨- آخر دليل نأخذه مما ورد في علم الصحة النفسية تحت اسم الهستمريا التحويلية **والتي تعني أن حالة نفسية لا شعورية قد تحولت إلى عرض جسدي** فسميت كذلك لاحظ معي حالة الفتاة التي أصيبت بشلل وركها الأيمن لا لعلة جسدية بل فقط لأن وركها قد لامس (بشهوة جنسية) فخذ الدكتور الذي كان يعالج والدها وهو في حالة المرض فأسفت لما حصل وتمنت لو أن هذا الورك لم يكن حياً فحصل الشلل فيه وتحققت الرغبة اللاشعورية لتلك الفتاة . وهذا ما تبين فيما بعد عبر جلسات التحليل النفسي ، من هنا فإن علماء النفس دأبوا على الرمز لأية فعالية نفسية بالرموز التالية :

استجابة	عضوية	مثير
↓	↓	↓
س	ع ←	م ←

وفي ترجمة هذه الرموز قالوا إن أي مثير يقع على العضوية يحدث استجابة حركية مطبوعة بطابع نفسي واضح .

---

[1] سورة آل عمران : الآية ١٠٧ .

- **تساؤل وحيرة :**

لعله قد تبادر لذهنك عزيزي القارئ بعد قراءة هذا العنوان سؤالان اثنان :

أ - هل النفس شيء والجسد شيء آخر ؟

ب - أيهما أسبق في الوجود النفس أم الجسد ؟

في الإجابة عن السؤال الأول نرى أن النفس والجسد **كلٌّ متفاعل فلا جسد بلا نفس ولا نفس بلا جسد** وأن العلاقة بينهما كالعلاقة بين معدن السيف وحدته فكما أنه لا يمكن الفصل بين معدن السيف وحدته أو قدرته على القطع كذلك لا يمكن الفصل بين النفس والجسد وهذا ما أشار إليه **واطس** زعيم المدرسة السلوكية [1] في علم النفس عندما قال **إن النفس هي مجموعة** من الأعضاء وقد أدت وظائفها خصوصاً ما يخص الجملة العصبية المركزية من بين هذه الأعضاء .

وفي الإجابة عن السؤال الثاني نقول :

١- يرى هيغل أن الفكر أسبق في الوجود من المادة وأن النفس وجدت أولاً بشكل مجرد ثم انقلبت إلى نقيضها ودخلت البدن **فأصبحت ذات جانبين محسوسة وغير محسوسة .**

٢- ويرى بعضهم أن النفس لطيفة ربانية وهي من الروح قبل تعلقها بالبدن وكانت معها بجوار الله عز وجل لهذا قال ندرة اليازجي إن النفس هبة الروح للبدن.

٣- قال آخرون أن النفس لم تسبق البدن و لم تلحق به و لم توجد معه إنما كانت بعد دخول الروح إلى البدن **أي كانت مع حلول الحياة في الخلية الملقحة**

---

[1] مدرسة من مدارس علم النفس قالت بوجوب معالجة المشكلات النفسية معالجة العلوم الطبيعية وتقصر ملاحظتها على السلوك فقط وتبتعد عن الخبرة الشعورية وتعتبرها ذات طبيعة شخصية نقلاً عن معجم علم النفس للدكتور فاخر عاقل .

وتحول هذه الخلية للإنسان لذلك قال تعالى ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي** فقعوا له ساجدين ﴾[1] نخلص للقول حول السؤال (أيهما أسبق) أن هنـاك اتجاهين :

أ – **الإنسان كجنين في بطن أمه** : فالنطفة والبويضة أولاً والاتحاد ثانياً وهنا بتمام الاتحاد وكمال الإنسجام بين النطفة والبويضة **تكـون الحيـاة وتكـون النفس بشكل ما** لهذا قـال تعـالى : ﴿يـا أيهـا النـاس إن كنتـم في ريـب مـن البعـث فإنـا خلقنـاكم مـن تـراب ثـم مـن نطفـة ثـم مـن علقـة ثـم مـن مضغـة **مخلّقـة وغـير مخلّقة**[2] ﴾.

ب – **الإنسان كائن حيوي فعال في الحياة** : وفي ذلك نقول كانت النفس أولاً ضمن الروح التي ستعمل بهذا الإنسان ولكن عند الله عز وجل بـل مـن روح الله ثم هبطت إلى البدن بعد أن تشكلت نواته وذلك في مرحلة من مراحل تكوينـه وفي ذلك قال ابن سينا :

هبطت إليـك مــن المحل الأرفـع ... ورقـــاء ذات تعـــزز وتمنـــع

وقال أيضاً :

إن كـان أهبطهـا الإلـه لحكمـة ... طويت عن الفطن اللبيب الأروع

فهبوطها إن كان ضربة لازب[3] ... **لتكـون سـامعة بما لـم تسـمع**

---

[1] سورة الحجر : الآية ٢٩ .

[2] سورة الحج : الآية ٥ .

[3] ضربة لازب : صار أمر هبوط النفس لازماً ثابتاً شديد الوجوب – وطين لازب يلزق باليد لاشتداده وقوله تعالى (إنا خلقناكم من طين لازب) أي شديد متماسك .

المعجم المدرسي الصفحة (٩٤٢) .

النفس ذلك اللغز كيف نتعامل معه ؟

في ختام الحديث عن النفس وبعد هذا القدر من الإفاضة حولها لعل أقوى خاطر وألح سؤال بقي في مخيلتنا هو كيف نتعامل مع هذا اللغز ؟ متى وكيف ننجح؟ هل هناك أساليب محددة للتعامل مع كل نموذج من نماذج الشخصية ؟

لعل خير ما نقوله قبل الإجابة عن هذه التساؤلات هو أننا نقصد بالنفس ذلك الإنسان وقد أدى وظائفه (كما سبق في تعريف المدرسة السلوكية للنفس) ، ذلك الإنسان الذي يعني روحاً وجسداً ثم نفساً تتوسط بين الروح والجسد وفي الإجابة عن هذه التساؤلات سننطلق من منطلقين اثنين :

أ – منطلق التعامل مع الإنسان بشكل عام لأن النفس هي الصورة التي يظهر عليها هذا الإنسان .

ب – منطلق التعامل مع النفس بعد أن تغلبت عليها قوة محددة فصيرت الإنسان حساساً أو نشيطاً أو طاعماً بديناً .

أ – التعامل مع الإنسان حيثما كان سلوك صاحبه أو نموذجه :

لا يسمّى الإنسان بل لا يكون كذلك إلا بالنفس **ومن دونها يبقى شبحاً لا روح فيه** لهذا قال الشاعر أبو الفتح البستي :

أقبل على النفس فاستكمل فضائلها **فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان**

إذاً فالنفس هي الإنسان وكيف لا وأنها تحمل من الروح وتحمل من الجسد ولننجح في التعامل معها حريّ بنا أن نتقيد بالقواعد التالية :

١- علينا أن نفهم الطبيعة النفسية للإنسان أولاً ثم نخاطبه على قدر عقله وبما يوافق هذه الطبيعة لأن **خير الناس من فهم الناس كما يقول كونفوشيوس**[1] وفهم الناس ضروري لمعرفة الطريقة المثلى في التعامل معهم **فلا تخاطبهم بما يكرهون** كما يوصي البشير محمد رسول الله (ﷺ) وفهم الناس خير فن من فنون الحياة فكيف نمارس هذا الفن ؟ علينا ألا نعامل الناس على أنهم شياطين ولا على أنهم ملائكة بل على أن فيهم من أخلاق الشياطين وفيهم من أخلاق الملائكة وهذا ما أشار إليه النبي الكريم عندما قال : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم »[2] هنا فإن ما يجدر ذكره أن رسول الله (ﷺ) لم يقف عند هذا الحد بل رأي (وهو النبي الذي لا ينطق عن الهوى) أن أي حديث يتكلمه المرء بما لا تدركه عقول السامعين يكون مصدر فتنة وفي مثل ذلك قال الغزالي : **كِلْ لكل بمكيال عقله وزِنْ له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك .**

٢- **الرفق** بالناس إن أردت التوجيه **واللين بالقول** ، **إن** أردت الحديث الطيب الناجح فإن الكلام اللين يلين القلوب التي هي أقسى من الصخور **ومن لانت كلمته فرضت محبته** حتى إن لين القول من التواضع والتواضع من أفضل العبادة كما قال رسول الله محمد (ﷺ) **أفضل العبادة التواضع .**

٣- على المرء أن يحكم عقله وأن يستنير بنوره لا أن يخضع عقله لانفعالاته ودوافعه ويمشي على وهج نارها وفي مثل هذا يقول كارنيجي لا تدع دوافعك

---

[1] كونفوشيوس : هو مؤسس الفلسفة الكونفوشيوسية التي اعتبرها بعض المؤرخين مفتاح التاريخ الصيني ولد عام (٥٥١) ق.م وتوفي عن عمر ٧٢ عاماً ، خلّف وراءه خمس مجلدات سميت بكتب القانون الخمسة ويقال بأن تلاميذه ظلوا يبكون على قبره ثلاث سنوات. سعى لإقامة مدينة في الأرض منسجمة مع أسس المودة والتعاطف ويقال بأنه قد خرّج (٢٠٠٠) تلميذاً شغلوا مناصب مختلفة في العالم .

[2] أخذ من كتاب (المرشد المجدد) للمؤلف محمد بشير الباني – المستشار في محكمة النقض في الجمهورية العربية السورية .

تغلبك على أمرك ويقول آخر الغضب ريح صرصر تطفئ سراج العقل ويقول أرسطو : الغضب فتك لكل فضائل النفس .

يجب على الإنسان إذاً أن لا يكون فظاً في القول غليظاً في الفعل والسلوك لئلا يبتعد عنه الناس وفي مثل ذلك قال تعالى : ﴿ ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ﴾[1] .

وهنا قد يقول قائل هل التعامل اللين يكون في كل المواقف ومع كل الناس ؟ في الجواب لمثل هذا **نقول نعم ذلك واجب مع كل المواقف بشكل عام فمن أفضل خصال الكريم ترك جواب اللئيم** وعلى الإنسان أن يدعو الناس ويتعامل معهم بالحكمة والموعظة الحسنة .

قال تعالى : ادعوا إلى سبيل ربك **بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**[2] .

٤- على الإنسان أن يكون عاقلاً بشكل عام ووفق ما عرفه لقمان عندما سئل عن العاقل الحكيم فقال : **الذي لا يقع بالخطأ قالوا : فإذا وقع فيه قال عرف كيف يتخلص منه** فالعاقل هو الذي لا يصادق جاهلاً ويعرف ممن يطلب حاجته فيختار مثلاً حسن الوجه جميل القوام ليحقق له مطالبه وهذا ما أشار إليه رسول الله محمد (ﷺ) عندما قال : الوجه الحسن يورث الفرح ومن أتاه الله وجهاً حسناً وخلقاً حسناً فهو من صفوة خلق الله . مثل هذا يجب أن يصادق بل أن يتخذ أسوة للمعاملة وحينئذ يحصل الإنسجام ويحل التفاهم والتعاون والوئام وهذا ما كنا قد ألمحنا إليه في موضع آخر من هذا الكتاب .

---

[1] سورة آل عمران : الآية ١٥٩ .

[2] سورة النحل : الآية ١٢٥ .

ب) التعامل مع الإنسان بعد أن تغلبت إحدى قوى النفس على شخصيته:

بادئ ذي بدء لا بد من القول : تتفاعل النفس مع الجسد تفاعل العناصر الكيماوية مع بعضها وينتج من هذا التفاعل إنسان يختلف بسلوكه وصفاته عن غيره من الناس وذلك بحسب ما يحمل من الوريقات[1] الثلاث التي تشترك في تشكيل الخلية المضغة التي تكوّن منها هذا الإنسان فقد يحمل من هذه الوريقات بنسب **متساوية** فيتكون **شخصاً متزناً وقد يحمل بنسبة أكبر من** الوريقة فيكون الإنسان نشطاً أو من الورقة الظاهرة فيكون حساساً أو من الورقة الغذائية فيكون بديناً **طاعماً فكيف نتعامل** مع كل نموذج ؟ لمعرفة الطريق الأمثل في التعامل مع كل نموذج أمامنا أحد طريقين .

أ – طريق المحاولة والخطأ وفيه نجرب عدة طرق مع أي إنسان في الحياة سواء أكان شريكاً في تجارة أم شريكاً في بحث علمي أم شريكاً في حياة زوجية **وهذا خطأ** فقد نخسر المال والوقت والجهد وقد نزهق الحياة العائلية فنرمل زوجه ونيتم أطفالاً **وهذا طريق غير صحيح كما قلنا فما هو البديل ؟**

ب – نستفيد مما أورده علم النفس بشكل عام وعلم النفس الاجتماعي بشكل خاص حول هذا الموضوع ومما **قاله كل من شيلدون وكرتشمر والدكتور إحسان حقي** وغيرهم وإن كانت الثقة العلمية في هذه الأقوال ليست بالكبيرة فما الذي قالوه ؟ الذي قالوه (وكخط وسط) أن الإنسان **غالباً ما يكون متزناً أو**

---

[1] اكتشف العالم الألماني ولف Wolf وجود ثلاث وريقات تتشكل منها الخلية المضغة وأكد وظائف كل وريقة العالم الطبيعي الروسي فون بايرو ومن بعده هوتز العالم الألماني وأكد أن كل وريقة تلعب دوراً في تشكيل جزء من الجنين وهذه الوريقات أ) الوريقة الداخلة تكون جهاز الهضم وتسمى بالورقة الغذائية – ب) الوريقة العاملة ومن تغلب عليه يكون نشيطاً –ج) الوريقة الظاهرة وهي وريقة الحسّ ومن تغلب عليه يوصف بالحساس .

نشيطاً أو طاعماً وقد يكون بين نموذجين ولكن سنأتي هنا لخصائص النماذج الأساسية وإلى الطريقة المناسبة في التعامل مع كل منها تاركين البحث في النماذج المختلطة لقناعتنا الخاصة بضرورة تركها الآن .

١- الإنسان من النموذج المتزن :

رغم أن الوجودالصرف لهذا النموذج في الحياة قليل إلا أن هذا لا يمنع من ذكر خصائصه وما يناسب التعامل معه : إنه بطول متناسب مع بدانته ووزنه ، وأجزاء وجهه متناسقة ، سمنته تدعو للارتياح **صوته عادي** ، **كلماته هادئة لينة** ، **مزاجه معتدل هادئ بعيد عن الثورة الانفعالية محاكمته العقلية جيدة** ، **نظرته للحياة ثاقبة** ، بارع في حل المشكلات ، ذاكرته قوية أصدقاؤه كثر ، **أخذ من خصائص كل الناس بقدر معلوم يكفي للتكيف الاجتماعي الناجح** ، **يلائمه** الكلام المتزن والسلوك الهادئ والمحاكمة العقلية وينفر من الإنسان السطحي والمندفع إلا أنه يظهر التسامح معه . **لا يقبل أي كلام دون برهان أو دليل** ويناسبه قلة الكلام ، يندفع نحو الخير والإصلاح بين الناس ، ينجح في مهمة التفريغ الانفعالي للشخص المتوتر إذ أنه يسمع له ويحدد نقاط الضعف عنده ويأتي على علاجها **يصلح لأن يكون طبيباً نفسياً أكثر من كونه طبيباً جسدياً** .

٢- الإنسان من النموذج الطاعم : ويتصف جسمه بما يلي :

جسم متكتل تغلب عليه المادة الشحمية من بين مكوناته ، بطن كبير دافق نحو الأمام ، رأس كبير ومستدير عنق قصيرة عريضة ضخمة ، لأسفل ذقنه وفي القسم الخلفي منه طيتان أو ثلاث ، الوجه مستدير ، الخدان ممتلئان ، الكتفان عريضان ، الذراعان ممتلئان ، الكفان صغيران نسبياً ، والقدمان كذلك ، الوركان عريضان ... ومثل هذا يميل للمأكولات السكرية . يحب الدسم من الطعام ، يأكل بشراهة ونهم لأنه يتوقع أن ذلك يساعده في الحفاظ على حياته فهو حريص على

الحياة ويكره ذكر الموت يحب المال ويهتم بجمعه وإن كان يتظاهر بعكس ذلك ولا ينفق الليرة **إلا إذا عرف أن ذلك سيعود عليه بليرتين ، متفائل مرح ، دعابي ، يحسن إلقاء النكتة ، حذر ، يقظ . محترس** ، لا يهتم بالعقائد الدينية وإن كان ينصت للحديث حولها في بعض الحالات فتلك حالة موقفية عارضة ، لا يؤمن بالقدر ويكره التسليم ويحب **(وذلك لا يتحقق) أن يشترك في المفاوضات يدعي العلم والمعرفة في كل شيء** (رغم أنه يمتلك منهما) ويحسب الأمور بشكل دقيق خصوصاً ما يتعلق منها . برغباته ، **يكره الأعمال الحركية والرياضية** ويحب أن يعمل ولكن من وراء الطاولة وبلسانه فقط ، يحب **القيادة والرئاسة** ولكن لا يكلف بها لضعف ثقة الناس به (وإن كان ذلك غير صحيح) إلا أنه وللانصاف نقول : **مثل هذا يصلح لأن يكون صديقاً وفيّاً ودوداً ، لا يحمل غلاً ولا حقداً** شريطة ألا تتثاقل عليه وهنا نكون **قد وصلنا للحديث عما يصلح معه من سلوك** ... يحب التجارة وينجح بها (لولا بعض الإقحامات غير اللازمة) متحدث ناجح في هذه الأحوال وإذا أردت أن تكسب جلسة ممتعة معه **فابدأها بالحديث عن التجارة والأحوال الاقتصادية** وافسح له المجال لأن يتحدث هو **وإياك أن تتحدث عن المباريات وألعاب الجري ولا تطالبه بالأعمال البدنية المجهدة وإن حدثته عن حادثة وقعت فلا تقل سببها القدر . بل تكلم له عن أسبابها وخذ منه التعليل ولا تختلف معه في ذلك وإياك ثم إياك أن تتهمه بالخمول والبلادة فهو كما قلنا محترس ، جيد يقظ وإن ذهبت معه لمأتم فلا تطل الجلوس به في ذلك المأتم** وفي الطريق نصبّه أميراً وقائداً فاستشره وأشعره بمكانته وضع في حسابك أن أحاديث المال والطعام وطرق الوصول إليهما هي التي تستقطب الانتباه . هذا وآمل من القارئ أن يضع في اعتباره أمرين .

أ - إن الوجود الصرف لهذا النموذج حالة قليلة فلا يظن أن كل من زاد وزنه قليلاً عن الوزن العادي أنه كذلك .

ب - ليس من الضروري توافر كل هذه المواصفات في كل بدين بل أكثرها ستكون فيه .

٣- **الإنسان من النموذج النشيط** ويمكن تميزه من خلال الملامح الجسدية التالية :

طول معتدل ولا يشكو النشيط من قصر عن الشخص العادي ، هامة قوية وصدر عريض وقوي ، عضلات قوية ، وركان لهما عرض الكتفين غالباً ، البطن عادي وغير ظاهر اليدان والساقان طويلتان نسبياً الأصابع طويلة وعقدها بارزة وعن صفاته النفسية نقول : **يحب الحركة والنشاط والأعمال اليدوية والرياضية ويدأب على أي عمل يمارسه ، مقدام يحب المواجهة ولا يهوى البطالة ، يحب المغامرات ويهوى الدخول في السراديب والخلجان ، قوي الثقة بالنفس شديد الاعتداد بها ، ذو ذكاء عملي ونظري ويحسن أداء أعماله ويتقنها، اجتماعي طالما وجد الاحترام حريص على سمعته ، لديه عواطف كثيرة .**

وفي كل ناحية من نواحي الحياة يحب السيطرة والقيادة فلا تشعره بالتبعية ولا تتهمه بها ، **اتجاهه نحو الاعتقادات الدينية أحد أمرين ؟ قوي أو ضعيف ومؤجل . وعن السلوك المناسب في التعامل معه** فعلينا أن نكلفه بالأعمال الصعبة ونواجهه بها ولا نرجئها حتى نهاية الأعمال المطلوبة منه كما وعلينا أن نشعره بإمكانياته ونمدح صنيعه ونحترم عطاءه وإنتاجه ولا نشعره بالضعف والتردد وعدم الثقة بالنفس ونعترف بدوره الفعال والمنتج في الحياة ولا نتآمر عليه ولا ننكر خدماته كي لا ينزوي ويعيش بعزلة وعلينا **ألا نتهمه بالغرور وإن كانت ثقته بنفسه قد وصلت لما يقرب من هذه الدرجة ويجب ألا نزعجه لأنه يضرب بعاطفته عرض الحائط وينسى أية عاطفة حتى عاطفة الرحم والأمومة** فالنشيط ينساها إذا ما تألم أو أهين أو حتى إذا ما شعر بذلك فقد لا تجدي معه المثل والقيم الدينية في هذا الخصوص :

٤- **الإنسان من النموذج الحساس** : ويمكن تميزه من خلال الملامح الجسدية التالية :

قامة طويلة ، جسم هزيل وجه طويل ، ومتسع من الأعلى ويضيق في الأسفل عيناه واسعتان ، فم صغير جميل ، رقبة نحيفة وطويلة ومجوفة من الأمام عضلاته غير بارزة والكتفان هابطان مع انحناء بالظهر خصوصاً إذا لم ينتبه لمشيته ، الذراعان طويلتان ورقيقتان والساقان ممتلئان وقويتان ، الورك ضيق ، البطن أجوف والكف كبير والأصابع طويلة ، والقدمان كبيرتان وطويلتان . **وعن صفاته النفسية نذكر** الحذر واليقظة وشدة التأثر حتى أنه **يستخدم جميع حواسه** ، رقيق يحب الجمال ، لا يمشي **إلا بالاستعطاف ويكره التأنيب ويثور عليه** يحب الرفاهية والاستجمام ويبتعد عن الأعمال المجهدة ، **يحب المناورة وينجح بها لذلك أغلب هؤلاء سياسيون ناجحون عقليون يحبون التحليل بل لا يعيشون من دونه وينفع في التعامل مع هذا النموذج** الكلام الهادئ والمتزن والرقيق **ويضر بالعلاقة معه الكلام الفظ والصوت العالي المدوي يؤخذ بالرفق والاستعطاف ويرفض العنف** ولا يفكر بما سيأتي ، يحب الموسيقا والأعمال الفنية **وينفع معه الحذر والحرص والتحفظ** ويحب ألا تطالبه بأعمال فيها إقدام ومغامرة لأن ما ينقصهم الجرأة والشجاعة بل نكلفهم بأعمال تحتاج إلى المناورة أو ذكاء السياسة .

الباب الثاني

العقل

١ – تقديم

٢ – مفهوم العقل ما هو ؟

٣ – العقل مادياً ما هو ؟

٤ – ماهية العقل ما هي ؟

٥ – أقسام العقل .

٦ – وظائف العقل بشكل عام ما هي ؟

٧ – طاقة العقل .

٨ – الذكاء بين الوراثة والمحيط .

٩ – قياس العقل هل هو ممكن ؟ وكيف ؟

١٠ – العقل والقلب ما الفرق بينهما ؟

١١ – العقل والنفس ما الفرق بينهما ؟

١٢ – الحب ذلك الاتجاه العاطفي الرقيق أين مقره من الجسد ؟

١٣ – العقل والغريزة ما الفرق بينهما ؟

مقـدمة :

نظرة تأمل في **خلق الإنسان وفطرته** ، وفي خلقه وسلوكه كفيلـة بـأن ترينـا أمرين هامين متضاربين ظاهراً متفقين منسجمين باطناً هما :

الأمر الأول :

الإنسـان هـو المخلـوق الوحيـد في الكـون الـذي يتميز عـن غـيره مـن بقيـة المخلوقات **بثنائية** عجيبة تجمع بين متنافرين بالأصل هما الروح والمـادة **وازدواجيـة مذهلة** تجمع بين العقل والجسد .

الأمر الثاني :

في كل إنسان قوتان تسيّرانه : **القوة المطلقة** أو اللامحـدودة وهـي قـوة **الله** ، والقوة المحدودة واللامطلقة وهي قوة **العقل** وقد قلنا إنها محدودة لأنها تعمل بحـدود ما توردده لها الحواس ووفق تقدير الخالق .

فمن الجهة الأولى نلاحظ أن قدرة الله هي التي تسير الإنسـان بكـل مـا فيـه وهي التي تقدر عليه ، بل هي التي **تحيـط سلوكه** بكـل أشـكاله الحركيـة واللفظيـة والعقلية . فهي التي توجه كلمات اللسان وهي التي **تسيّر عمل العقل** وتجعله يدرك الصور المختلفة التي تأتيه على هيئة سيالات عصبيـة عـن طريـق الأعصـاب الحسـية السمعية والشمية والبصرية وغيرها فتعرضها عليه ويقوم هو **بترجمتها** إلى صور جميلة جذابة تشدّ الإنسان نحوها أو صور قميئة منفرة تبعده عنها ولا يكتفي بهذه الترجمة بل يعقبها بردود فعل حركية مادية تحمي الإنسان من الأخطار وتحمـي الجنـس مـن الانقراض بناء على ذلك فالعقل هو **الوسيط الذي تساءل عنه كاميل فـلا مريـون** عندما قال : ما الوسيط الـذي يتوسـط القـوى النفسـية في ترجمـة المعطيات المادية

ولكن ولقصورٍ فينا لا نرى التنسيق **والانسجام بين عمل العقل وعمـل الجسـد أو من بين الروح والمادة** وعوضاً عن ذلك فقد نرى التفاوت والتضارب في بعـض مـا خلقه الرحمن لدرجة أننا كثيراً ما نـترك الأمـر دون أن نبـت فيـه ولـو أعدنـا النظـر كرتين /كما قال تعالى/ لما رأينا ذلك التناقض .

وكيف نراه وقد نفاه الإله بقوله : ﴿ **ما ترى في خلـق الرحمـن مـن تفـاوت فارجع البصر هل ترى من فطور**﴾[1] .

ومن الجهة الثانية : نجد أن عقل الإنسان ، الذي هو وعي وفكر ، هو الذي يهدي صاحبه إذا ما عمـل بمبادئـه ويضلـه إذا مـا خالفـه واتبـع هـواه . فبـه يـدرك الإنسان العالم المحيط وبه يدرك عالمه الداخلي وما هو عليـه مـن ارتيـاح أو امتعـاض وفوق كل ذلك فبـه يـدرك أنـه يـدرك فيـوازن ويقـارن ويتخـذ القـرارات المناسـبة لسلوكه وتصرفاته سواء في مجال الدين والأخلاق أو في مجال الذوق والفن والجمال أو في مجال الحياة المادية والاقتصادية .

من هنا فقـد تميز الإنسـان بسببه عـن بقيـة المخلوقـات وفضـل علـى جميـع الكائنات . ومن هنا أيضاً فقد جعله رسول ا لله ﷺ مقياس التفـاضل بـين النـاس في الحياة الدنيا ففيما روته السيدة عائشة عـن رسـول ا لله ﷺ /**قلـت يـا رسـول الله بم يتفاضل الناس في الدنيا ؟ قال : بالعقل ، قلت ألا يجزون بأعمـالهم قـال : وهـل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل** . فبمقدار ما أعطوا منـه كـانت أعمـالهم وبمقدار ما عملوا يجزون/ .

---

[1] سورة الملك : الآية ٢ .

مفهوم العقل ما هو ؟

للبحث في هذا المفهوم سنتناوله من زاويتين :

أ) مفهوم العقل من المنطلق اللغوي .

ب) مفهوم العقل من المنطلق النفسي .

أ) مفهوم العقل من المنطلق اللغوي :

إن كلمة عقل هي اسم لآلة تقوم بفعل الإدراك والفهم في الإنسان وهي مشتقة من فعل « عقل » بمعنى أدرك الصحّ وسد أبواب الخطأ ومنع حصول الانسياب . ويقال لم أعد أفعل ذلك منذ أن **عقلت أي منذ أن قيدت سلوكي وفقاً لمبادئ عقلي** وكلنا قد سمع بقصة الأعرابي الذي دخل المسجد وترك ناقته سائبة وكيف أن رسول الله ﷺ طالبه بأن يعقلها فقد روى الترمذي عن أنس وقيل روى البيهقي وأبو نعيم وابن أبي الدنيا عن أنس أنه قال : قال رجل : يا رسول الله أوَ أطلقها وأتوكل ، قال : اعقلها وتوكل . يعني الناقة وقد رواه الطبراني عن أبي هريرة أرسل ناقتي وأتوكل ، قال اعقلها وتوكل .

ب) مفهوم العقل من المنطلق النفسي :

لقد قيل في تعريف العقل أقوال ذهبت **مذاهب شتى** سنورد بعضها ونخلص لتعريف العقل من وجهة نظرنا نحن .

١ً- قيل إن العقل هو **جمع بين الإحساس كمادة والشعور كعملية مجردة .**

٢ً- قيل إن العقل **جوهر مجرد عن المادة في ذاته مقارن لها في فعله**[1] .

---

[1] أبو بكر الرازي كتاب النفس والروح .

٣ً- العقل هو أساس **كل تصور** وكل فعل عقلي من إدراك وانتباه وتذكر وتخيل وهو الذي **يحلل** معطيات الحواس[١] .

٤ً- العقل باللغة الإنكليزية /**Reason**/ وتعني عقل أو مسبب والعقل هنا يعني الجهة من **الإنسان التي تدبّر الأمر وتحدثه وتفسّره وتعلل سبب حصوله أو هو مجموع العمليات العقلية العليا المساعدة في الإدراك كالانتباه والتذكر والتخيل**[٢] .

٥ً- العقل **هو ملك الحياة الإرادية** وبواسطته نختار بين الأشياء .

٦ً- إنه بمجموع الصور التي يتذهنها الدماغ أو هو **أفكار الدماغ** وهو المركز الذي تلتقي به جميع الإحساسات .

٧ً- ونقول نحن إن العقل هو مجموع العمليات النفسية العليا التي تتم في الدماغ وتحول الإحساس كمادة إلى شعور **كمعرفة تنعكس عند الإنسان على شكل لغة منطوقة تصبح أداة التواصل بين الناس أو سلوكاً حركياً موجهاً .**

ومن هنا قيل إنه **أفكار الدماغ** أو بمجموعة الصور التي يتذهنها الدماغ .

لاحظ أن الإحساس الباطن بالجوع الذي ينعكس عن تقلصات في المعدة /حين تكون فارغة/ وعن نقص في سكر الدم ينتقل إلى الدماغ ويفسر هناك ويتخذ الأخير قراراً بتناول كأس من الشاي يطفئ وهج الجوع بشكل مؤقت فيذهب الإنسان ويطلب كأساً من الشاي .

ولاحظ أيضاً أن الإحساس الكيماوي الخارجي برائحة واخزة يولّد سيالاً عصبياً ينطلق إلى الدماغ ويحلل هناك ويفسّر ويطلق الأمر الحركي إلى الأرجل

---

(١) الكندي ، بشيء من التصرف .

(٢) فاخر عاقل : « معجم علم النفس » بشيء من التصرف .

بالابتعاد عنه وإلى الأيدي بضرورة سد فتحات الشم /بشكل مؤقت/ وإلى اللسان بإطلاق كلمات التأفف تعبيراً عن الامتعاض .

فمن هذين المثالين يتضح لنا دور العقل من خلال عملياته المكوِّنة له كالتذكر والتصور والحكم في **تحويل مادة الإحساس إلى شعور ومعرفة** .

هنا نجد أنفسنا مضطرين لتعريف كل من الحكم والمحاكمة كمفهومين على علاقة وثيقة بالعقل **فالحكم العقلي** هو القول بوجود علاقة بين شيئين أو نفي هذه العلاقة .

أما المحاكمة العقلية /Reasoning/ : فهي تحكيم العقل في تفكير نظري لإيجاد مخرج من مأزق أو حل لمشكلة وذلك بدلاً من المحاولة الفعلية[1] .

---

[1] فاخر عاقل : « معجم علم النفس » .

العقل مادياً ما هو ؟

العقل مادياً هو الدماغ بما يشتمل عليه من مخ ومخيخ وأعصاب دماغية وغيرها أما إن كان يوجد من يحصره بالمخ فما ذلك إلا لأن أغلب الوظائف العقلية تتركز في المخ **ورأينا** نحن أن العقل مادياً هو الدماغ ، ولكي نتقصى الصح حول ذلك سنستعرض الوظائف العقلية لكل من المخ والمخيخ والأعصاب الدماغية .

آ – **الوظائف العقلية للمخ :**

يؤدي المخ وظائف عقلية جمة بل إن أغلب الوظائف العقلية تؤدى **من قبل المخ** وهذا ما يتضح من خلال ما يلي :

١ً– يعتبر المخ بمنزلة **لوحة القيادة المركزية** « السنترال » ففيها ومن خلالها يتم الاتصال مع البيئة الخارجية عن طريق الحواس الخمس « السمع والبصر واللمس والذوق والشم » إذ تشكل هذه الحواس خمس قنوات ترد من خلالها معطيات البيئة الخارجية إلى تلك اللوحة **ومن خلال هذه اللوحة وبها يتم الاتصال مع البيئة الداخلية** وما تحتوي من جهاز تنفس وهضم ودوران وغيرها .

لاحظ أن المخ يتلقى المعلومات عن البيئة الخارجية بواسطة الحواس فيقوم بتحليلها وتصنيفها ثم إعادة تركيبها واتخاذ القرارات المناسبة تجاهها **وإيفاد تلك القرارات عبر الأعصاب المصدرة** إلى الأجهزة الحركية كي تقوم بالسلوك المناسب.

وبناء على ذلك فالمخ أشبه ما يكون **بمكتب البريد يتلقى** الرسائل الخارجية من الحواس والداخلية من الأجهزة الحشوية وغيرها التي ترد المخ على هيئة

خواطر[1] **والإنسان كمدير لهذا المكتب** هو المسؤول عن أعمال مخه وعن تشغيل عقله في تلك الرسائل لهذا قال تعالى : ﴿ **إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً** ﴾[2] .

وهنا قد يتساءل القارئ عن **معدن** هذه اللوحة وعن **أساس** هذا المكتب وعن **بانيه ومصممه وواضع الحياة فيه** وفي الجواب نقول له : **إنه كتلة دهنية تتخللها أوردة وشرايين وقد كانت تلك الكتلة ميتة لا تنطق ولا تبدع فأحياها الله وجعلها النور الوحيد الذي يضيء للإنسان طريق الهداية** ثم وفّر لها سبل الحماية فحصنها ضمن تجويف عظمي آمن ترقد فيه قريرة العين وسط سائل مخي شوكي كان لها كالوسادة وفي ذلك قال الإله في محكم تنزيله : ﴿ أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس ﴾[3] . وفي مثل ذلك قال شوبنهور : « **كلما انحط الإنسان في القوة العقلية عمي عن نور الحق** وجمد تفكيره » .

إن ما يثبت صحة ما قلناه هو أن ثلاثة من أساتذة جامعة هارفاد وبعد تجارب لهم في المخ أثبتوا أن أي خلل يقع في المخ خصوصاً في الفص الصدغي منه يؤدي لضعف التحكم في النزوات والغرائز ، وقد ثبت من **تجارب في علم النفس الفيزيولوجي أن استئصال جهاز اللوزة من المخ يزيل سلوك العدوان عند الكلب بحيث يصبح على صداقة مع القط**[4] .

نخلص من كل ما سبق إلى القول : إن الحياة العقلية برمتها تكاد تتوقف على عمل المخ وسلامته وفي ذلك قال جالينوس منذ مرحلة ما قبل الميلاد « **إن المخ هو أساس العقل** ».

---

[1] الخواطر : هي كل ما يرد إلى المخ من الداخل على هيئة منبهات تستدعي التفكير ومصدرها ذات الإنسان أو الغيب .

[2] سورة الإسراء : الآية ٣٦ .

[3] سورة الأنعام : الآية ١٢٢ .

[4] مارك وآرفن : « المخ والعنف » .

٢ً- يقسم أو يتألف المخ من فصوص أربعة هي الفص الجبهي والفص الصدغي والفص القفوي والفص الجداري . ولو استعرضنا نشاط الفص الجبهي وحده لوجدناه مسؤولاً عن **العمليات العقلية العليا في الإنسان كالحكم والتقدير والتصميم ورسم الخطط** وهو المسؤول عن العمليات المنطقية بل إن الجزء الخلفي منه هو المسؤول عن الحركات الإرادية في الإنسان ففيه يتم انتخاب واختيار الحركات السلوكية المناسبة للمواقف الحياتية المختلفة لهذا كان نمو هذا الفص في الإنسان أرقى وأكثر تطوراً عن غيره من المخلوقات الفقارية ، أضف إلى ذلك أن أدنى إصابة يتعرض لها تنعكس سلباً /وبحسب حجم هذه الإصابة/ على الحياة العقلية والوجدانية والاجتماعية .

٣ً- في المخ مناطق تدعى مناطق الترابط يحدث من خلالها فهم وتفسير الأحاسيس المختلفة ومن ثم ترجمتها وتقدير قيمتها وربطها مع السيالات الحسية الأخرى ومقارنتها معها سواء أكانت هذه السيالات قد وردت معها في ذات الوقت من أجل التمييز بينها أم كانت قد وردت قبلها في أوقات سابقة وقد اتفق على أن تكون هذه المناطق هي المسؤولة عن التذكر بأشكاله المختلفة ، السمعي كتمييز صوت خالد عن **صوت** خلدون عندما لا أتمكن من رؤية المتكلم ، أو البصري كالقدرة على استعادة **صورة** سعد عندما كان يمازح زميله على شاطىء البحر ويقول علماء النفس الذين عملوا في ميدان التعلم إن هذه المناطق هي ما يميز الإنسان عن غيره من بقية المخلوقات فهي المسؤولة عن تذكر أشكال الحروف الكتابية وأسمائها وما يترتب عن اجتماعها من كلمات ومعانٍ في أثناء القراءة وهي المسؤولة عن تذكر اليمين أو الشمال أثناء المشي .

٤ً- في المخ شقوق عميقة تسمى الأخاديد يترتب عليها ثنيات مختلفة تسمى التلافيف **ويقال إن الذكاء البشري يرتبط بعمق هذه الشقوق وبخصائصها الأخرى** . لذلك على الرغم من تشابه صورتها في أمخاخ الناس جميعاً فإن

خصائصها تختلف من فرد لآخر وفي الشيخوخة تميل الأخاديد للاتساع والتلافيف للانكماش والتصلب **وهذا ما يبرر تراجع القدرات العقلية للإنسان في مرحلة الشيخوخة ومع التقدم بالسن .**

٥ً- يتألف المخ من مادة سنجابية رمادية ومادة بيضاء فالمادة الرمادية تقترب من السطح وتكوّن ما يعرف باللحاء الذي يميز الإنسان بذكاء يختلف فيه عن بقية المخلوقات الفقارية وقد ورد في كتاب علم النفس الفيزيولوجي للدكتور أحمد عكاشة أن قشرة المخ **هي التي تحول الأحاسيس المختلفة الواردة إليها إلى صور مألوفة ومفهومة تضفي عليها العقل والفهم وتدركها وفق القيم والقواعد الاجتماعية والأخلاقية .**

ب) الوظائف العقلية للمخيخ :

يلعب المخيخ دوراً هاماً في تأدية الوظائف العقلية المختلفة . لاحظ أنه المركز الأساسي **للتنسيق بين الحركات الإرادية** بحيث تغدو /بواسطته/ متوافقة لا تضارب بينها وعلاوة على ذلك فهو المسؤول عن الإتيان **بحركات متزنة حكيمة** إذ لولا المخيخ لكانت حركاتنا طائشة غليظة فيها الكثير من التخبط والاهتزاز والهمجية **ولأهميته في تنظيم الحركات الإرادية في الإنسان فقد قيل عنه المخ الصغير** ويساعد المخيخ في عمله مجموعة من الخلايا العصبية تدعى **العقد القاعدية** والتي ترتبط بالمخيخ ارتباطاً وثيقاً .

لاحظ أن المخيخ يستقبل الكثير من الإحساسات عن طريق دهليز الأذن **فيحقق لنا الإحساس العام بأننا جالسون أو واقفون أو ثانون جذوعنا ويعلمنا بالموقف النفسي المناسب لكل حالة .**

ج) الوظائف العقلية للأعصاب الدماغية :

يساعد الدماغ في تحقيق عمله العقلي بمجموعةٌ من الأعصاب الصادرة عن المخ

والتي تدعى الأعصاب الدماغية وعددها **/١٢/** ولكل منها **وظيفة عقلية** محددة ترتبط بناحية من نواحي الجسد **فالعصب الأول** مثلاً يصل بين الغشاء المخاطي والسطح السفلي للمخ **وللأجزاء الموجودة بالمخ منه** أهمية في السيطرة على العواطف وإخضاعها لحكم العقل كذلك **العصب البصري الثاني** يصل بين شبكتي العينين من جهة والفص القفوي للمخ من جهة ثانية وللجزء **الأخير** منه دور في مطابقة معطيات الشبكيتين وفق قرارات العمليات النفسية في الدماغ من ذاكرة وإدراك وحكم . هذا وإن بعض هذه الأعصاب **قد تقوم بوظيفة مزدوجة** حسية وحركية كالعصب الخامس الذي يقوم بوظيفة نقل الإحساسات الجلدية من الوجه ووظيفة تحريك عضلات المضغ والبلع والعصب التاسع والذي يسمى بالعصب اللساني فهو للذوق إذ عن طريق أجزائه المتصلة بالدماغ يمكن تمييز الطعوم المختلفة أما **العصب الحادي عشر** فهو عصب حركي ومهمته تحريك الرأس والأكتاف بما يوافق مبادئ العقل وتوجيهاته . **من هنا نجد سهولة** تغير عادة هز الرأس أثناء المشي كعادة حركية **وفق معطيات جديدة للعقل** الذي وجد في هذه الحركة مخالفة لنمط المشية المتزنة .

نخلص من كل ما سبق إلى القول : إن الإنسان يعقل بدماغه وأن الدماغ هو الآلة الحية والعجيبة التي تخلق الفكر وتبدع الوجدان وفق برمجة إلهية وأن العقل يكون راجحاً بقدر ما يكون الدماغ قادراً على الإرسال والاستقبال إذ يستقبل من البيئة الخارجية عن طريق الحواس ومن البيئة الداخلية عن طريق الحس المشترك . أما عن قدرة الدماغ على الإرسال فقد ثبت أن الدماغ يرسل لآلاف الكيلومترات ويستقبل كذلك مع بقاء الحكم العقلي مهيمناً على هذه المعطيات المرسلة والمستقبلة إلى حد كبير وإليك ما يؤيد صحة ذلك :

١ً- نشرت مجلة عالم المعرفة /١٤٨/ والذي كان تحت عنوان علم الأحياء والأيديولوجيا والطبيعة البشرية ما مفاده « **إن غير العاقلين هم الذين يصرون على**

الاستنتاجات الخاطئة وهؤلاء وكما دلت الأبحاث التجريبية يعانون من خلل فيزيولوجي في وظيفة المخ عندهم » .

٢ً- أشارت معطيات وأبحاث علم النفس الفيزيولوجي على أن مكان **التعلم هو الدماغ** والمسلّم به أنه لا تعلّم دون عقل يحكمه ويوجهه من هنا كان مكان العقل هو الدماغ القادر على القيام بالتذكر والاستفادة من الماضي ومن ثم التعلم وفي ذلك يقول القرآن : « **إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد** »[1] .

والقلب هنا جاء ليشير إلى العقل .

٣ً- ما يؤكد أن الدماغ هو مقر الفكر ما نشره الأستاذ أحمد عبد المنعم الحلواني في صحيفة منبر الشرق في الجمهورية العربية المصرية من أن **وظيفة الدماغ تعكس حياة الفكر وأن الدماغ هو عضو التعبير عن الفكر** .

٤ً- وجد في علم النفس التجريبي أن أي خلل دماغي يترافق باضطرابات فكرية سواء في **محتوى الأفكار أم في سياقها** وهذا ما يرافق المرض النفسي المعروف بالفصام ووجد أن هذا الخلل العقلي ينتج من توزع غير طبيعي للشحنات الكهربائية للخلايا العصبية في الدماغ مما يشير إلى دور هذه الآلة في العمل العقلي السليم .

٥ً- يقول **ديورنت** في كتابه مناهج الفلسفة : إن ما نسميه **بالعقل هو ما يكون بفعل عمل الجهاز العصبي المركزي أو المخ وإن الفكر هو الجهاز العصبي** المركزي وهذه حقيقة .

٦ً- إضافة لما سبق فقد أجمع العلماء على أن **الذكاء يرتبط طرداً** مع زيادة تعقيد الجهاز العصبي في الإنسان ونمو المادة السنجابية والقشرة الدماغية .

---

[1] سورة (ق) : الآية ٣٧ .

ماهية العقل ما هي .. وكيف ؟؟

نهدف من هذا العنوان إلى معرفة ما هو العقل كتكوين ومم يتألف ، وكيف يكون . إذ كثيراً ما نسمع أن العقل هو الآلة التي تكتسب تصورات معينة وتنقل انطباعات محددة عن الموضوعات المحسوسة شرط أن يحصل بين العقل وبين هذه المحسوسات انسجام وتفاعل .

فما هو معدن هذه الآلة ؟ وكيف لهذا المعدن أن يساعد هذه الآلة في تأدية عملها بهذه الطريقة أو تلك ؟ أخيراً ما الذي قيل عنه في هذا المجال ؟

يقال إن العقل هو الدماغ .. الدماغ وقد أدى أهم وظيفة له وهي القدرة على التصور المحدود وغير المحدود . فمن قبيل التصور المحدود (بحدود الزمان والمكان والنتيجة والمستقبل) **أن يتصور عقل الطبيب البشري** زيادة عدد الكريات البيض في الجسم عقب حصول أي التهاب فيه ومن قبيل التصور غير المحدود (في الزمان والمكان والنتيجة) **أن يعجز الفكر البشري عن تصور واجب الوجود (الله) ما شكله وكيف يكون** .. هنا لا يستطيع هذا الفكر أن يتذهن شكل الإله وصورته وإن كان قد تذهّن وعَقل وجوده وأنه المتصرف بكلّ مافي الكون لأن ا لله (خالق هذا الفكر) أغلق طريق التصور الحق في هذا المجال فقال : ﴿ **ليس كمثله شيء** وهو السميع البصير ﴾[1] وهنا وإن كان قد صرّح عن ذاته بأنه يبصر ويسمع ولكن كيف ؟ إن هذه من المعلومات الغيبية التي احتفظ بها الإله لذاته فقال : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾[2] ومنذ القديم قيل : كل ما خطر ببالك فالحق بخلاف ذلك .

---

[1] سورة الشورى : الآية ١ .

[2] سورة الجن : الآية ١٨ .

هذا ومما يجدر ذكره أن العقل يؤدي مهمة أخرى غير التصور هي **التسجيل والاستعادة والتذكر عند اللزوم** وكيف لا وأن ما يدوّن ويسجل في الذاكرة إنما يكون وفقاً لعملية الاصطفاء أو الانتقاء **إذاً الاتجاه العام أن العقل هو الوظائف النفسية للدماغ** وهو الممثل بالوجه المعنوي لمادة الدماغ ، هذا الجزء من الجهاز العصبي الذي يمتاز عن باقي أجزاء الجسد بتركيز عظيم للخلايا العصبية المسؤولة عن حصول الفكر كما ويمتاز **كذلك بتنظيم دقيق لأماكن تواجدها وتوضعها فيه** بحيث يبقى على اتصال أكيد مع كل أطراف الجسد أو ليبقى الجسد كله تحت إشرافه ، والمسلم به أن مادة الدماغ من نفس مادة الجسد وأن هذا الجزء يتغذى عن طريق الدم الذي يغذي باقي أجزاء الجسد وإن كان يحتاج إلى كمية أكبر من الأكسجين المنحل فيه .

وقد استقر العلماء الذين بحثوا في هذا السبيل على أن الدماغ هو **زعيم مملكة المادة وعنه يتولد العقل فقد رأوا أن الدماغ يستقبل الإحساسات المختلفة الواردة إليه من أعضاء الحواس ومن ثم يحولها إلى صور وعن هذه الصور (وكما أجمعوا) يتولد الفكر** ولكن يوجد من يقول غير ذلك فلقد رأى ابن القيم الجوزية في كتاب الروح أن القوة العقلية ليست جسدانية ولو كانت جسدانية لضعفت زمن الشيخوخة وهذا غير أكيد ونرى أن كلام ابن القيم غير دقيق علمياً وغير صحيح وإن كانت صحة نسبية تبدو من خلاله ذلك لأن ضعف القدرات العقلية أو ثبات قوتها في الشيخوخة يبقى بيد الإله فهو القائل ﴿ ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾[1] .

من ناحية ثانية فغالباً ما نجد أن ثبات الوضع العقلي يتزامن مع ثبات الوضع الجسدي بارتباط مقبول وأن ضعف القوة الجسدية ينعكس عن ضعف في القوة

---

[1] سورة الحج : الآية ٥ .

العقلية وأن ذلك يكون ظاهراً في بعض الحالات كما في حالة تصلب الشرايين وبعض أشكال الإصابة في جهاز كاما الليفي الذي يترافق مع الحناء في المشية وارتعاش في الأطراف وسرعة في الانفعال وضعف في السمع وتأخر في زمن الرجع /لتباطؤ القدرة على الفهم/ لكن البعض يخطئ في قياس القدرات العقلية فيقيسها من خلال القدرة على تذكر الأرقام القديمة جداً أو ما يماثل ذلك وينسى أن ذلك غير كاف .

وبالإضافة لابن القيم الذي يرى /وكما رأينا/ أن مادة العقل غير مادة الجسد نجد الدكتور جون - ج - تايلور الذي يرى في (مجلة عالم المعرفة العدد « ٩٢ » ، عقول المستقبل) أن قدرة العقل على تحريك الأشياء دون وساطة **كما في حالة التخاطر مثلاً هو دليل على وجود قوة لا مادية للعقل مختلفة** عن مادة الدماغ وتؤثر في السلوك ولكن تايلور يعود ليناقض نفسه في ذات العدد عندما يعلل هذه القوة فيقول إنها تعود إلى **نبضات من نوع ما تشع عن الدماغ** موجهة إلى تلك الأشياء وبالإضافة إلى ذلك فإن صاحبنا جون - ج - تايلور يعود في ذات العدد ليقول : **إن الظروف الكيماوية والجسمانية للمخ تحدد وبدرجة كبيرة أفكار وأفعال صاحبه وأن العمليات الفسيولوجية والكيماوية التي تجري في المخ هي المحددات الأولى للسلوك وهنا نجده قد أقر بأن وضع الدماغ فسيولوجياً هو الذي يحدد وضع العقل الذي ينعكس عنه ولكن بشوب آخر باطنه مادي فيزيولوجي وظاهره عقلي معنوي** بدليل أنه ذكر في آخر أقواله حول هذا الموضوع (إن هذا لا يعني أن العمليات العقلية المصاحبة لنشاط المخ الكيماوي والفسيولوجي لا قيمة لها فلا شك أن لها **اعتبارها عند الشخص الذي يخبرها ويجربها .**

بالنهاية وإذا ما نظرنا لعينة من الكهلة وكبار السن نجد أن البعض قد ضعف العقل عنده وبدأ يخرّف فيدرك بشكل خاطئ ويتكلم بالأوهام وهذا ما يؤكد الجانب الجسدي في العقل والبعض الآخر تبقى قدراته العقلية سليمة رغم انحطاط

وضعه الجسدي وهذا يؤكد وبشكل ما الجانب المعنوي غير الجسدي في العقل ومن ذلك نخلص للقول إن العقل البشري مادي وغير مادي ، محسوس وغير محسوس، محدود وغير محدود ، واقع وصورة يزول نوره مع البعض ويبقى مع البعض الآخر ولا يزول والأمر في ذلك يعود إلى الله فهو القائل ﴿ فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين ﴾[1] وهو القائل أيضاً ﴿ ومن يؤمن بالله يهد قلبه ﴾[2] .

---

[1] سورة يوسف : الآية ٦٤ .

[2] سورة التغابن : الآية ١١ .

أقسام العقل ما هي ؟

سبق لنا القول بأن مقر العقل هو الدماغ وأن العقل ليس إلا الوظائف النفسية للدماغ والثابت علمياً أن الأدمغة **متفاوتة** بين الناس سواء من حيث **الحجم** أم من حيث **نسبة** المادة السنجابية إلى المادة البيضاء أو من حيث **عمق** التلافيف والتجاعيد الدماغية أو من حيث **خصائص** أخرى لا مجال للخوض فيها ضمن هذا الكتاب وكل ما نريد قوله إن عقول البشر على **عدة أشكال** وقولنا هذا ينطلق مما يلي :

١- **درجة التطور** ومقدار النمو الذي بلغه العقل في تحقيق معقولاته .

٢- **خصائص الدماغ ونوعية الأعمال** التي تناسب هذه الخصائص .

١) أقسام العقل من حيث درجة التطور ومقدار النمو الذي بلغه العقل في تحقيق معقولاته :

لقد أجمعت الدراسات النفسية القديمة منها والحديثة على أن العقل البشري **يتطور وينمو ماراً بعدة مراحل** وأن خصائصه في كل مرحلة تختلف عنها في المرحلة السابقة فما الذي قيل في كل منها ؟ في الجواب : إن الذي قيل في كل منها كثير ولكن سنقطف بعضاً مما قيل في كل دراسة .

أولاً : أ - الدراسات النفسية القديمة :

لقد قسم العقل بحسب درجة نموه وارتقائه في هذه الدراسات إلى :

أ - العقل بالقوة كما يسميه أرسطو أو العقل الهيولاني كما يسميه ابن سينا ويمثل هذا النوع العقل الإنساني في طوره الأول وهو عقل يمتلك كل أشكال

الاستعداد لكي ينمو ويرتقي ويتحد بأي من أشكال العقول الأخرى في سن الرشد. بعد تجاوز مرحلة الطفولة **وهو عقل منبثق عن العقل الأول عقل الإله خالق هذا الكون** ولكنه ما يزال على الفطرة التي فطره الله عليها في الطور الخام غير المصنّع وفي ذلك يقول الرسول الكريم محمد ﷺ : « **يولد المولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه** » حقاً إن مثل هذا العقل لم يكتسب أياً من المبادئ التي سيدين بها لذلك قيل إنه عقل ابن الصحراء أو عقل ساكن القوارب في البحر الذي لم يعش حياة الحضارة أو المدنية وفي ذلك قال تعالى : ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾[1] .

ب – العقل بالفعل : وهو ما قال به كل من الكندي والفارابي وابن سينا والرازي وذلك رغم تباعد أزمانهم وتفاوت مناهجهم وفلسفاتهم وهو عقل أرقى من العقل الأول **إنه عقل نشيط فعّال لا يتكون إلا في سن الرشد وبعد المرور بمرحلة المراهقة** التي تشكل خطوة بناءة في سبيل ذلك رغم أن الأمر كله متعلقاً با لله إذ **بقدرته وهدايته ينتقل من العقل بالقوة إلى العقل بالفعل حيث المعرفة اليقينية بالله عز وجل كما يقول الكندي** .

من هنا فقد قيل في علم النفس : **المراهقة سن الإيمان العفوي بالله عز وجل** .

إذاً هو عقل نشيط خلاق مبدع إذ معه وبه تتبلور الاتجاهات والقيم لذلك أسماه كل من أرسطو والإسكندر **بالعقل الفعّال** .

ج – العقل بالمرتبة الثالثة وقد سمي بأسماء مختلفة فقيل إنه **العقل القدسي كما سماه الشيخ الرئيس ابن سينا** الذي رأى أنه عقل مميز خاص لا يعطى لكل الناس وهو من أرفع وأرقى أشكال العقول وقيل إنه **العقل المستفاد من عقل الإله**

---

[1] الروم : ٣٠ .

كما يرى الرازي إذ يدرك النظريات ويحفظها كمبادئ له في الذاكرة ولا تغيب عنه وقيل كذلك إنه **عقل بالملكة كما يرى أرسطو** إذ رأى أن هذا العقل القدرة على تعقل المدركات وفهمها متى شاء لأنه عقل أدرك نعم الله وآلاءه وأدى حقوق الله في هذه النعم ولا يكون للإنسان إلا في مرحلة الرشد إذ يمتلك الإنسان القدرة على التحكم بشؤون حياته بالدرجة المثلى لذلك لا يكون هذا العقل (وكما يرى أرسطو) لكل الناس لأنه أرقى درجات العقل وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ **فلما بلغ أشده وبلغ الأربعين سنة** قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين ﴾[1] .

ثانياً : الدراسات النفسية الحديثة :

في دراسة أقسام العقل بحسب مراحل النمو العقلي سنتعرض لمراحل التطور العقلي عند بياجيه فقد قال بعدة مراحل هي :

١ً- مرحلة الذكاء الحسي الحركي من الولادة حتى عمر سنتين :

في هذه المرحلة نجد أن الطفل يحس فيتحرك لاحظ معي **يحس بدفء الحليب وطعمه في فمه فيحرك عضلات فمه ولسانه ليمتصه** ويحس بعد فترة بتماس الثدي مع شفتيه فيحرك فمه حول الثدي إلى أن يلتقطه وبعد عملية الإحساس في الحالتين **نجد عقلاً يوجه الحركة** وإن كان ذلك ضمن الحدود الدنيا ورغم اعتقاد الناس بخلو هذه المرحلة من أي عمل عقلي **/إذ لا لغة لديه يعبر من خلالها/** فإن **بياجيه يرى أنها تمتاز بنشاط ذهني هام** ويقول إنها مرحلة تبدأ بالمنعكسات الآلية كصراخ الطفل لحظة انقطاع الكهرباء **وتنتهي باكتشاف وسائل جديدة تزيل** خوفه كلجوئه إلى أمه حال انقطاع التيار الكهربائي فمن خلال اكتسابه لهذه

---

[1] سورة الأحقاف : الآية ١٥ .

الوسائل نلمس عقلاً أو تفكيراً **ولكنه عقل بالقوة** كما سماه القدماء .

٢ً- مرحلة الذكاء الحدسي : ٣-٧

هنا وفي هذه المرحلة **تنمو اللغة** لدى الطفل وهذا يمكنه من التعبير عن حاجاته ولكنه يبقى عاجزاً عن فهم الآخرين أو فهم ما حوله لاحظ أنه ينظر إلى الجبل على أنه من صناعة رجال شجعان جبابرة ولا يفهم أو لا يقنع بدور العوامل الفيزيائية والتقلبات الجوية **الموجهة من قبل الله فاطر السموات والأرض في تشكيله** وأنه يفسر غروب الشمس بكرهها لنا بسبب طول لقائها بنا وسوء تعاملنا معها وهكذا فمن هذه الأمثلة **نستطيع القول إن هناك عقلاً ولكن ما يزال في طور الانتقال لما سماه القدماء بالعقل الفعلي**[1] .

٣ً- مرحلة الذكاء المحسوس : ٨-١٣ سنة .

في هذه المرحلة **يدرك الطفل عمله ويدرك علاقات هذا العمل مع أعمال الآخرين** وفي هذه المرحلة يستطيع أن يناقش **ويحاور ويقدم ما يثبت رأيه ووجهة نظره** وهذا يعني من وجهة نظر العلم أنه دخل في مرحلة المحاكمة العقلية أي أصبح بإمكانه أن يوازن بين أمرين ويقطع رأياً في أحدهما كل هذا دعا بعضهم لتسمية هذه المرحلة بمرحلة العقل أو الرشد ذلك لانحسار ضغوط البيئة ومثل هذه الخصائص نلمسها من **خلال فريق يلعب بكرة القدم ويحاسب كل لاعب نفسه على مبادئ متفق عليها .**

٤ً- مرحلة الذكاء المجرد من سن ١٢ فما فوق :

وفي هذه المرحلة **يتجاوز الطفل مرحلة الذكاء المحسوس إلى الذكاء المجرد** فبدلاً من الصراخ والعويل واللكم والضرب عندما يمانع سيره نجده يكتفي بالقول :

---

[1] لمزيد من المعلومات راجع كتاب تطور نمو الطفل لجان بياجيه ص٧٧ .

قيدت حريتي إذاً فهم معنى الحرية بعيداً عن المحسوس وبإمكانه أن يستخدمها في مواقف أخرى وكذلك الحال بالنسبة لمفهوم الحب والكرامة والفضيلة وغيرها وفي نهاية هذه المرحلة يبدأ باستخدام **كلمة ضمير** ويتابع الحوار والنقاش ولكن في أفكار روحية دينية وسياسية وبعمق أكبر إذ بإمكانه الآن أن يستقرئ القوانين بشكل عام نستطيع القول إن تفكير الطفل في هذه المرحلة يتصف بما يلي :

١ً- **القدرة على التعامل مع المفاهيم الافتراضية** كأن يحاكم في المحاكمة التالية فيقول أحمد طالب في الصف الثامن وسعد طالب في الصف السابع فأيهما أكبر ؟ يجيب بسرعة أحمد هو الأكبر فلا يمكن لمن هو في صف أعلى إلا أن يكون أكبر ممن كان في صف أدنى شرط ألا يكون صاحب الصف الأدنى قد تكرر رسوبه .

٢ً- العلاقات المتبادلة بين الأشياء كأن يقول كلما ازداد طول الإنسان ازداد تباعد المسافة بين خطواته خلال المشي وكلما ارتفعت الحرارة في الجو الخارجي ارتفع الزئبق في الميزان .

٢- أقسام العقل من حيث خصائص الدماغ ونوعية الأعمال التي تناسب هذه الخصائص. هنا وفي هذا المجال أو من هذا المنطلق نجد :

أ – **عقل عملي** : عقل لا يجد حياته إلا في البحث والتجريب ولا سيما في الأعمال الحركية ولكن هذا لا يعني أن صاحبه لا يملك خصائص تتعلق بالذكاء العام (كالقدرة على الاستبصار والتنبؤ بما وراء العالم المحسوس وكذلك القدرة على التخطيط) بل **تغلب على سلوك صاحبه أعمال ذات طابع عملي ميكانيكي .** ويمكن قياس ذكاء هذا العقل بمقاييس خاصة **كمقياس وكسلر** واختبارات أخرى سنأتي على ذكرها . وما يجدر ذكره الآن أن اختيار العمل أو المهنة يكون منطلقاً من نوع الذكاء فهل هو عملي أو نظري وهذا ما أكده كل من ألتون وميور في

تجاربهما مع بداية هذا القرن حيث رأيا أن علم النفس هو حليف أرباب العمل وأن الإنتاج يكون أفضل عندما يقوم على أساس نفسي[1] . من ناحية ثانية فقد وجد بنتائج دراسات في علم النفس الفيزيولوجي أن نشاط المخيخ عند الإنسان يؤهله للقيام بأعمال مهنية أدائية . حيث هو المسؤول عن التنسيق بين الحركات الإرادية كما سبق القول .

ب – عقل نظري : إنه فكر يغوص في بحر المجردات ويسبح في مياه المعنويات ، ويؤثر التعامل مع الأمور النظرية والأخلاقية . يستخدم وبكثرة البراهين التي تربط بين السبب والنتيجة يستند للمنطق ويتعامل مع الأشياء عن طريق التصور أولاً ثم يأتي التجريب في مرحلة لاحقة وقد أثبتت أبحاث علم النفس الفيزيولوجي أنه على علاقة أكيدة بالمادة السنجابية من المخ والفص الجبهي منه على الأخص حيث العمليات العقلية العليا كالحكم والمحاكمة . ويغلب هذا النوع من الفكر عند علماء **الأبحاث العلمية** العليا **كعلم الذرة والالكترون والطب.**

---

[1] علم النفس وميادينه من فرويد إلى لاكان ص٢٤٧ .

وظائف العقل بشكل عام ما هي ؟

بلا شك إنّ كل عمل يؤديه الإنسان بشكل حر وإرادي ، موجّه ومنظم ، فعال وهادف هو من أعمال ووظائف العقل وإذا أردنـا أن نبلـور هـذه الوظـائف ونزيل عنها صفة العمومية والغموض فعلينا أن نستعرض وظائف العقل كما جاءت في الدراسات القديمة وكذلك في الدراسات الحديثة .

أولاً : وظائف العقل في الدراسات القديمة :

١) ابن سينا : يرى ابن سينا أن للعقل ثلاث وظائف :

أ - **يعقل خالقه والقوة الـتي أوجدتـه وينشـأ عـن ذلـك الإيمـان بـالله عـز وجل.**

ب - **يعقل ذاته وضرورة استمراره في الوجود وينشـأ عـن ذلـك الحفـاظ على الجسد .**

جـ - **يعقل الجسد والعوامل الضرورية لاستمرار وجـوده فيكـون المعرفـة الكونية والظروف المحيطة بالإنسان .**

٢) ابن باجة : يرى ابن باجة أن وظائف العقل هي :

أ - **إدراك الصور الهيولانية (المادية)** الـتي تـدرك بـالحواس كـإدراك الجسـم ومكوناته مثلاً .

ب - **إدراك الصور الروحانية الموجودة بالحس المشترك والمرتسمة بالخيال والتي تفيض عن ذات الله** وتتوسط بين الصور الهيولانية والصـور الفكريـة وبذلـك تحصل المعرفة الميتافيزيقيـة والـتي هـي أعظـم وأسمـى غايـة ينشـدها العقـل الإنسـاني وبحصولها تتحقق أعظم سعادة ممكنة وأسماها .

ج – **إدراك الصور الذاتية الفكرية** الموجودة داخل العقل ذاته وهذا ما يحصل عن طريق البحث الفكري والمعرفة النظرية .

٣) الفارابي : يرى الفارابي أن من ضمن وظائف العقل تحويل المفاهيم من أوصافها المادية على مستوى الحواس إلى أوصافها المعنوية على مستوى الفكر لتبلغ أعلى درجات المعنوية والتجريد في معرفة الله وفي ذلك يقول الفيلسوف الألماني **ديهل : إن القوة العليا هي الله الذي أعطى الإنسان العقل ليميز بواسطته بين الخير والشر وليخلص المفاهيم المحسوسة من أدران المادة وسيطرتها ولا يتمكن العقل من ذلك إلا بالاتصال بهذه القوة العليا .**

٤) المعتزلة : يرى هؤلاء أن أهم وظيفة للعقل هي **التمييز بين الخير والشر ومن ثم إنارة درب الهداية وأن الإنسان لو استمع لعقله لهداه وأوصله لمعرفة الله** ويستشهدون على صحة كلامهم بقولهم : إن نبينا محمد ﷺ رفض عبادة الأوثان قبل أن ينزل الوحي عليه وما يثبت ذلك قوله تعالى : ﴿ **قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله** لما جاء في البينات وأمرت أن أسلم لرب العالمين ﴾[1].

وعن البينات التي أتته قال المفسرون وأجمعوا أنها تجلت في قوله تعالى : ﴿ **أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون** ﴾[2] .

ثانياً : وظائف العقل في الدراسات الحديثة :

إن ماقيل عن وظائف العقل في الدراسات الحديثة كان كثيراً وسنذكر منه مايلي :

١ً- تلقي رسائل الحواس بكل أشكالها السمعية والبصرية والذوقية وغيرها ثم تصنيفها وتبويبها وترجمة تلك الرسائل التي تكون على شكل سيالات

---

(١) سورة غافر : ٦٦ .

(٢) سورة الصافات : ٩٥-٩٦ .

عصبية إلى صور وإدراكات تأخذ معانياً مختلفة وتنتمي لمفاهيم محددة كأن أقول هذا من فصيلة **الثدييات** يتكاثر بالولادة وله آذان وأثداء وذاك من فصيلة الطيور يتكاثر بالبيض وله أجنحة وريش وغير ذلك .

٢ً- التعامل مع المفاهيم والرموز المجردة من خلال إعادة تصنيفها وتنظيمها بحيث تظهر من خلال استجابات عاقلة أو ذكية كأن يقول : إن العلاقة بين الفحم والخشب أن كليهما مادة قابلة للاحتراق أو أن يقول إن العلاقة بين الحرية والمسؤولية علاقة قوية فكل حر مسؤول ومن منع من حرية التصرف أعفي من المسؤولية لاحظ كيف أعاد العقل استخدام مفهوم الحرية ومفهوم المسؤولية بشكل جديد صاغه في قاعدة قانونية فقال : /من منع من حرية التصرف أعفي من المسؤولية/.

٣ً- إدراك الصفة الكلية أو الشمولية لأي مفهوم كأن أدرك شجاعة عمر من خلال الجرأة في قول الحق ، والسخاء في العطاء ، والامتناع عن الغيبة ، والقول الحسم ، وعدم التردد ، والصمود في مقارعة الأعداء أو أن **أدرك أن هذا الكون يدل على الخالق العظيم .**

٤ً- تمكين الإنسان من التعلم وتحقيق الانسجام بين الحركات ليكون السلوك متزناً(1) لاحظ حركات اللسان وأعضاء الكلام الأخرى فعندما تعمل بهدي العقل يأتي الكلام متوازناً والعكس بالعكس .

٥ً- يخزّن المعلومات في الذاكرة فيحقق الشعور والوعي والتعرف على الأشياء من جهة ثم اتخاذ الموقف الانفعالي المناسب تجاهها من جهة ثانية كالحب والإقبال أو الكره والإحجام .

٦ً- تمكين صاحبه من التنبؤ بواسطة التخيل والتصور فعن طريقهما يستطيع الإنسان أن يتوقع ما سيكون العالم عليه بعد /٢٠/ عاماً مثلاً .

---

(1) ديورنت : مناهج الفلسفة .

٧- استقبال رسائل الروح ومحاكمتها سواء أكانت في إنسان واحد أو كانت من روح أخرى عبر التخاطر كما سنأتي عليه بعد صفحات أو كانت من وحي وهدي رب العالمين ﴿ اتقوا الله **ويعلمكم الله** ﴾[1] .

٨- كبح جماح الدوافع والتحكم بسلوكها وإخضاعها لرقابة العقل من هنا يقول كارنيجي في كتاب دع القلق وابدأ الحياة « **لا تدع دوافعك تتغلب على عقلك** » .

بالخلاصة يتبين لنا أن العقل هو المحرك الأساسي في الشخصية وهو المدبر لشؤونها بل هو الأداة الرئيسية لتحقيق التلاؤم بين معطيات الحواس وتوجهات الدوافع لذلك قال ﷺ رداً على تساؤل عائشة في حديث سبق ذكره « ... وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم الله من العقل فبمقدار ما أعطوا منه كانت أعمالهم وبمقدار ما عملوا يجزون » .

---

[1] سبق ذكر مرجعها .

طاقة العقل

سبق لنا القول **بأن العقل /وكما رأى ابن رشد/ هو المحرك الأساسي في الشخصية وهو المدبّر لكل شؤونها** وسبق لنا القول أيضاً بأن من وظائف العقل التصور والتخيل لما هو غير محسوس والسؤال الذي يطرح ذاته أليس لهذا المحرك طاقة تنتهي عندها قدرته وإمكانيته .. أليس لوظيفة التصور هذه أفقٌ تقف عنده ولا تستطيع تجاوزه ؟ بمعنى آخر هل هناك محددات تحول دون امتداد التصور العقلي إلى ما لانهاية .. أخيراً هل تنمو طاقة العقل هذه وتتطور أم هي محددة منذ الولادة . ؟

أسئلة كهذه وأمثالها نأمل الإجابة عليها في الأسطر القليلة تحت هذا **العنوان المدهش .**

لقد أثبت العلم أن **للعقل البشري طاقة وقدرة تنمو وتتطور ولكن نموها وتطورها هذا يقف عند حد لا يمكن تجاوزه** قال العلماء إن ذلك يكون في عمر /١٦/ أو /١٨/ أو بين العقدين الثاني والثالث من الحياة ونرى أن تجاوز هذا الحد ممكن إذا شاء العليم العلام مدبر الأمر ، باسط الأرض ، رافع السماء الذي **(علم الإنسان ما لم يعلم)** انظر معي عزيزي القارئ أن **الكثير مما أوجده الله لم يكن يوماً ضمن دائرة العقل البشري أما اليوم وبعد سنين مرت به أصبح ضمن ساحة إدراكه** وجاءه ذلك عبر النوافذ المختلفة التي تورّد إليه لاحظ أن أُذُن الإنسان لم تكن قادرة على تميز الأصوات إلا ضمن ترددات محددة من /٢٠ إلى ٢٠٠٠٠/ ذبذبة في الثانية وكذلك العين فلم تكن تتأثر بالموجات الضوئية إلا إذا كان طولها /٣٨٠٠ إلى ٧٥٠٠/ أنغستروم[1] أما الآن فقد هدى الله عقولاً فأبدعت أجهزة

[1] الأنغستروم وحدة قياس الموجات الضوئية كما أن السايكل وحدة قياس الترددات الصوتية .

تلتقط الأصوات أو الموجات الضوئية من مسافات بعيدة وتضعها ضمن دائرة الإحساس السمعي أو البصري . ذات الكلام يقال عن الصعود إلى القمر فلم يكن ذلك في يومٍ من الأيام ضمن طاقة العقل البشري أما الآن فقد أصبح ذلك من صناعاته وإبداعه وهنا قد نجد أنفسنا مضطرين للتحدث عن مصادر المعرفة بالنسبة للعقل البشري وفي ذلك نقول : **إننا نتفق مع المتصوفين الذين يرونها محصورة في ثلاثة** طرق :

أ – العقل باستدلالاته وتخيلاته وتصوراته .

ب – الحواس وما تورده للعقل من مواد خام .

جـ – الحدس أو المعرفة المباشرة وهذا الطريق يشير إلى طاقة هائلة تستمد مددها من ذات الله فمن خلال ما سبق نستخلص أمرين :

١– محدودية قدرات العقل ضمن حدود الوراثة في حالات كثيرة .

٢– إمكانية نمو وتطور هذه القدرات بأمر الله وقدرته إذا شاء .

هنا قد يوجد من يقول : يرى المعتزلة أن العقل هو السلطان وهو القاضي ولو اعتمد الإنسان على عقله لهداه لاحظ أن سيد الخلق محمد ﷺ قد رفض عبادة الأصنام قبل أن يبعث رسولاً نبياً كما سبق وقلنا . إذاً للعقل قدرة كبيرة هائلة لا متناهية فبه يميز الإنسان بين الخير والشر ، بين الحق والباطل وعلى ذلك ينوب مناب الشرائع السماوية ولا حاجة لإرسال الرسل . هكذا يقولون فماذا يقول الكاتب .

في الإجابة نرى أن هؤلاء مع أقوالهم هذه يعترفون بل يقرون وبشكل غير مباشر بمحدودية طاقة العقل في بعض المواقف فهم يتكلمون عن عدم ثبات الإنسان أمام رؤية الله تبارك وتعالى فحتى إنّ **موسى رسول الله** قد خرّ على الأرض مصعوقاً عندما رأى الجبل يتحرك ويتفتت ويزول وكأنه لم يكن فأين طاقة عقله مع

أنه رسول مرسل ؟ وفي ذلك يقول الله عز وجل : ﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً** فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين ﴾[1] إذاً **فطاقة العقل محدودة أمام قدرة وعظمة رب العزة** فرغم أنها تستقرئ وتستكشف ولكن الإله وكلما اكتشف جديداً فاجأها بما هو أجدّ ولا تستطيع تجاوزه . لاحظ معي أن طاقة العقل ما تزال مسمّرة في مكانها على طريق اكتشاف علاج لبعض الأمراض كمرض **ابيضاض الدم بنوعيه اللمفاوي** والنقوي أي سرطان الدم الذي أصاب مصنع الكريات الحمراء أو الذي توضع في نقي العظام وأصاب الكريات البيضاء . نقول بذلك رغم قناعتنا بإمكانية العقل /وبهداية الله/ على اكتشاف هذا العلاج .

هنا **قد يخطر** ببال القارئ (وبما أن المعتزلة قالوا إن العقل قد ينوب مناب الشرائع السماوية) قد يخطر بباله أو يتساءل : هل نفهم من هذا أن القرآن قد جاء ليطابق العقل أم أنه جاء ليصقل العقل ويكيّفه وفق مبادئه ؟؟

في الجواب نقول : جاء القرآن ليصقل العقل ويكيفه وفق مبادئه ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ **إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون** ﴾[2] .

ولكن الكثير من الناس يعيش دون أن يعمل عقله ويحيا وفق عادات وتقاليد جاهلية هنا لا بد من إرسال رسل برسالات سماوية تهديه إلى الطريق القويم.

من جهة ثانية فإن العقل **ينمو ويتطور** وتتسع طاقته والأمر كله **متعلق بمشيئة الله** ونمو العقل يتجلى من خلال قدرته المعرفية وإمكانيته في اكتساب المعلومات وفي ذلك قال تعالى : ﴿ واتقوا الله **ويعلمكم الله** ﴾ .

---

[1] الأعراف : ١٤٣ .

[2] الرعد : ٤ .

فكلما ازدادت **التقوى** ازدادت الطاقة المعرفية للإنسان وازداد الاتزان الانفعالي لدرجة الثبات أمام رؤية الحق تبارك وتعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾[1] .

إذاً العقل يتطور وينمو إلى أن ينسجم مع الشريعة ومبادئ الحق وفي ذلك تكلم جان بياجيه في كتاب النمو العقلي وذكر مراحل لتطور نمو العقل وأنه يتأثر في نموه بعاملي الوراثة والبيئة فكلنا يلاحظ كيف أن الطفل الذي ينحدر من أبوين مثقفين في بيت تتوافر فيه كافة وسائل التثقيف يكون نموه العقلي أفضل ممن لا يمتلك مثل هذه البيئة فقد تبين من دراسة تمت على الأطفال الذين يصبحون أولاداً بالتبني أنه كلما طالت مدة الإقامة في البيت المعدّ خصيصاً لنمو هؤلاء الأطفال ازداد النمو العقلي وانعكس من خلال حاصل الذكاء الذي تقيسه روائز الذكاء وقد تبين أيضاً أن الطفل الذي يدخل مرحلة رياض الأطفال قبل دخوله المدرسة يكتسب نمواً عقلياً يستفيد منه حتى في المرحلة الجامعية . هنا لربما نصيب لو ذكرنا شروط تحقيق النمو العقلي وشروط إعاقته .

أ – الشروط المساعدة على تحقيق النمو العقلي السليم :

١– الإيمان بالله خالق الإنسان ومعلمه البيان كما قال في سورة الرحمن الآية ٣–٤ ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ والبعد عن التوتر والحياة الضنك التي تحرم العقل نموه وتطوره .

٢– ملاحظة الأشياء ملاحظة شاملة ومتأنية وعميقة .

٣– دراسة الأشياء دراسة منظمة هادفة واعتماد اللغة الرقمية الحسابية في ذلك /لغة الكم/ .

---

[1] القيامة : ٢٢–٢٣ .

٤- اعتياد الإنسان التفكير العلمي السليم .

ب - الشروط المعيقة لتحقيق النمو العقلي السوي :

١- البعد عن الإله والإعراض عن ذكره لأن هذا البعد وذاك الإعراض يحرم الإنسان من دخول البيئة النفسية المحققة للنمو العقلي .

٢- الاستسلام لبعض العادات وعدم استخدام العقل فيها .

٣- استخدام الآلات التي تعطي أجوبة جاهزة وسريعة وعدم استخدام العقل /كومبيوتر - آلة حاسبة/

٤- الإفراط في الطعام والشراب أو في الألعاب الرياضية وعدم تنشيط العقل .

٥- تناول المخدرات والمسكرات التي تحجب الوعي عن العقل الإنساني . من هنا جاءت الحكمة الإلهية في تحريمها . ذلك لأن هذه تغذي خلايا الدماغ بأغذية تحول دون تحقيق وظيفتها بالشكل الصحيح وتختصر زمن بقائها الفعال الذي تقوم فيه بوظائفها .

الذكاء بين الوراثة والمحيط

لعلنا لا نقدم جديداً لو قلنا إن الذكاء من أهم وأبرز معطيات الدماغ للإنسان وأنه الوسيلة الرئيسة في تكييف الإنسان مع البيئة وتكييفها معه بل **هو الوسيلة الوحيدة لتوجيه السلوك** الإنساني بكل أشكاله[1] ولأهميته في الحياة فقد استخدم في حالات كثيرة لينوب مناب العقل ولكن ما مصدره وما العامل الحاسم فيه . فهل هو من معطيات البيئة أو من معطيات الوراثة ؟؟ لقد اشتد النقش بل لقد احتدم الصراع بين أنصار البيئة الذين يرون فيه **آلة معدنها من العضوية ولكن حياتها في البيئة وطاقتها وقدرتها من الخبرة والتدريب في هذه البيئة فبمقدار ما يحاط الطفل ببيئة جديدة بمقدار ما يكون ذكياً** . وبين أنصار الوراثة الذين يرون فيه آلة حية ورثها الإنسان على شكل منحة جاءته من أبويه وأجداده وتخضع لقوانين الوراثة وهؤلاء **يرون أنه بقدر ما يكون الأبوان ذكيين بمقدار ما يكون الابن ذكياً** .

ولكن إلى أين انتهى هذا الصراع وما هو رأي المؤلف في ذلك ؟ لقد اشتد الصراع ولكن انتهى إلى **لا نتيجة تقريباً** فأنصار الوراثة رأوا أن الذكاء من أهم معطيات الوراثة وأدلوا **بحجج كثيرة حول ذلك** هي :

١- لقد توصل الطبيب الجراح **بروكا /P. Broca/** ١٨٨١/ لتحديد المنطقة المسؤولة عن استخدام اللغة واستطاع **ويرنيك /Vernick/** أن يحدد المنطقة المسؤولة عن فهم اللغة المنطوقة وكذلك المسموعة وبما أن هذه وتلك /وهما أساس الذكاء/ **مورثتان . إذاً الذكاء موروث** .

---

[1] سلوك لفظي وآخر حركي وثالث انفعالي ورابع عقلي بحت .

٢- يرى أنصار الوراثة أن **الذكاء النظري يرتبط ارتباطاً خاصاً بالمادة الرمادية من القشرة الدماغية وأن الذكاء بشكل عام يرتبط بعمق التجاعيد والتلافيف الدماغية** وبما أن هذه وتلك مورثتان إذاً فالذكاء موروث .

٣- يقول عالم النفس البريطاني **سيريل بيرت إن ٨٠ ٪ من الذكاء يخضع للوراثة** ويدعم كلامه بنتائج دراسات أجراها على توائم متماثلة ربيت في بيئات مختلفة فتبين ثبات الذكاء .

٤- يرى السير فرانسيس جالتون منذ عام ١٨٦٩ أن العبقرية والموهبة تورثان طبقاً لقوانين الوراثة وليؤكد رأيه أخذ عينة من العباقرة المشهورين في مجال الفن والموسيقا والأدب تتألف من /٩٧٧/ مشهوراً وأجرى الدراسة وفق منهج **تاريخ الحالة** فوجد بين أقربائهم /٥٣٥/ شخصا موهوباً أو عبقرياً **وكانوا آباء أو أبناء أوأمهات أو أخوة وحفداء أو أعمام** على حين لم يجد في عينة مماثلة من العاديين سوى /٤/ من المشاهير فقال إن العبقرية والموهبة تورثان وليزيد من صحة نتائجه استشهد بتفوق أسرة جوليان هكسلي بالعلم وأسرة سباسيبان باخ بالموسيقا.

٥- يرى الدكتور جبسين /وهو أستاذ في جامعة هارفارد/ أن تفاوت نسبة الذكاء بين البيض والسود ليرجح دور الوراثة في الذكاء .

أما أنصار البيئة فهؤلاء رأوا أن الذكاء مكتسب من البيئة عن طريق الخبرة والتدريب وطرق التربية المختلفة وإلا فلماذا المدارس ولماذا المعلمون ويؤيدون كلامهم **بالحجج التالية :**

١- صحيح أن المنطقة التي قال بها بروكا وكذلك التي قال بها ويرنيك هما المسؤولتان عن استخدام اللغة وفهمها ولكنهما تتأثران كيماوياً بالعقاقير والمنبهات فيحسن عملهما أو يسوء من هنا نجد تناول الطالب قبيل الامتحان لبعض العقاقير

المنشطة . من ناحية ثانية فقد أمكن تنبيه هاتين المنطقتين بتيار كهربائي فكل هذا يشير لأهمية البيئة الكيماوية أو الفيزيائية المادية في عمل هاتين المنطقتين وبالتالي فالدور غير محصور بالوراثة .

٢- إن أبحاث سيربل بيرت لم تكن نزيهة وأن نتائجها لم تكن أمينة فلقد طُعن بها مرات عديدة فعلى لسان الفر جيللي /Alver. gillie/ مراسل جريدة التايمز البريطانية أنه قد ظهر فيها المزيد من الأخطاء الإحصائية وكذلك قال هيرنشو /Hearnshow/ مؤرخ علم النفس الحديث .

٣- ورد في دراسة حديثة في مجلة عالم المعرفة العدد /٨٦/ أن **إغناء البيئة وتوجيهها الوجهة العقلية المثمرة من شأنه أن يرفع في نسبة الذكاء ٣٠ درجة** وهذا ما تبين من دراسة ميدانية تمت على أطفال عاشوا التوجيه الفكري المناسب والإثارة العقلية السليمة البعيدة عن الانفعال .

٤- يرى الدكتور **فاخر عاقل** في كتاب علم النفس دراسة في التكيف البشري أن التدريب والخبرة يحسنان الذكاء ولدرجة كبيرة وأنه عندما تتساوى الظروف والإمكانيات فإن الذين **يحتلون أسمى المراكز هم الذين يتهيأ لهم أفضل فرص التربية والتدريب** .

٥- **ونرى أن** في كثرة وتنوع مناهج التربية واكتساب الخبرة لدليلاً قوياً على دور البيئة في تنمية حاصل الذكاء . لاحظ معي : **الصينيون قالوا بغسيل الدماغ** والذي يعني محو الأفكار القديمة وزرع أفكار جديدة محلها و لم يلبث هذا الخط التدريبي الذي يؤدي إلى إعادة التربية أن انتشر في العالم . وفرانسيس **بيكون قال بمفهوم التطهير** الذي يأخذ ذات المعنى تقريباً والذي توصل إليه بعد بحث منهجي علمي تجريبي **وديكارت الذي قال بمنهج الشك الذي يوصل إلى اليقين** ويمكن العقل من اتخاذ القرار الصائب كل ذلك وغيره من مناهج التربية والتجريب والإرشاد النفسي والمهني ليشير إلى دور البيئة في تنمية الذكاء وتنشيط العقل . وما

يؤيد دور منهج الشك ويظهر أن الوراثة وحدها غير كافية قول **الغزالي : « من لم يشك لم ينظر ومن لم ينظر لم يبصر ومن لم يبصر لم يعرف ومن لم يعرف بقي في الحيرة والعمى »**[1] .

٦- **يرى إخوان الصفا** أن المعرفة تحصل في نفوس العقلاء ليس بالفطرة والوراثة **بل من خلال استقراء الأمور المحسوسة واحداً بعد واحد** فإذا وجد العقل صفة تجمع بينها حصل تكوين مفهوم جديد أضيف كمادة خام جديدة يستخدمها العقل .

من كل ما سبق نخلص للقول **إن كلا الفريقين على خطأ عندما يناقشان الموضوع من مبدأ كل شيء أو لا شيء** فإما للوراثة وإما للبيئة لأن أبحاثنا يجب أن توجه نحو **فهم طبيعة الذكاء وكيفية** تنميته وتطويره والاستفادة منه بحيث يستثمر الإنسان عقله على أفضل وجه **ونرى أن المحيط والوراثة متكاملان في تأثيرهما في موضوع الذكاء** وأن كل إنسان يمتلك إرثاً بيولوجياً منه ولكن **هذا الإرث بحاجة إلى بيئة اجتماعية مناسبة** وأن من الذكاء ما يتعلق بالبيئة ومنه ما يتعلق بالوراثة وهذا ما عبر عنه **الإمام الغزالي** عندما قال **بالعقل المستفاد** (من البيئة) **والعقل المطبوع** بالوراثة وأن كلمة عقل هنا مرادفة لكلمة ذكاء / بل مقصود به ذكاء/ كذلك فقد أشار الإمام علي كرم الله وجهه إلى وجود عقلين **موروث ومكتسب** عندما قال :

رأيت **العقل عقلين**	**فموروث ومطبوع**
ولا ينفع مطبوع	**إذا لم يك مسموع**
كما لا تنفع الشمس	وضوء العين ممنوع

إذاً لا بد **من العقلين معاً** ولقد عبر الإله عن دور البيئة في تنمية العقل عندما قال : ﴿ **وكأي من آية في السموات والأرض** يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾[2] .

---

[1] عالم تربوي إسلامي لقب بحجة الإسلام توفي سنة /٥٠٥ هـ/ ، /١١١١ م/ .

[2] سورة يوسف : الآية ١٠٥ .

قياس الذكاء هل هو ممكن . كيف ؟؟

يقول ألكسيس كاريل في كتاب « الإنسان ذلك المجهول » إن العقل مخبّأ داخل مادة حية ويهمله الفسيولوجيون إهمالاً تاماً ويكاد الأطباء لا يلاحظونه ومع ذلك **فإنه أعظم قوة في هذا العالم** .

فمن أين يأتي وكيف يكون هل هو كمادة الجلوكوجين أم هو نشاط لم يدرسه الأطباء بعد ؟ في الإجابة عن هذا التساؤل نقول : إن العقل ليس بمخبوء بل هو الوظائف النفسية للدماغ والتي تنعكس على شكل سلوك وتصرف يظهر في كلمات الإنسان وحركاته بل حتى في عاطفته وانفعالاته على ذلك **فهو أعظم ثروة للإنسان فكم هي وكيف نصل إلى ذلك وهل يمكن قياسها ؟**

بادئ ذي بدء نقول : إن الله قد وزع العقل بين عباده كما وزع الرزق بينهم وكما أنه يمكن قياس ثروة الرزق من خلال القدرة على الإنفاق والابتياع والشراء كذلك **يمكن قياس الثروة العقلية من خلال الوظائف التي يؤديها العقل مع الآخرين وما يظهر فيها من ذكاء** وقد كان للمربي **الفرنسي الفرد بينيه** (Alfred Benet) الفضل في إيجاد أول مقياس للذكاء هذا المربي الذي دهش لوجود فروق فردية بين التلاميذ في التحصيل فخاطب وزير التربية في ذلك فكلفه الأخير بالقيام بدراسة لقياس القدرة العقلية فوجد أن قياس هذه القدرة يجب أو **يمكن أن يكون من خلال وظيفة الذكاء التي يقوم بها العقل ليحصل التعلم** على ذلك وضع أول مقياس لقياس الذكاء وكان ذلك في عام ١٩٠٥ حيث عمل مع صديقه (سيمون) ووزع أسئلة الاختبار في مجموعات تتناسب كل مجموعة مع عمر محدد من عمر سنتين حتى مستوى راشد متفوق ووضع لكل سؤال قيمة محسوبة بالأشهر

بحيث إذا ما جمعنا الأشهر التي ينالها بعد إجاباته نصل إلى العمر الحقيقي للمفحوص وعند تقسيم العمر العقلي على العمر الزمني نصل إلى مستوي حاصل الذكاء وللتخلص من الكسور نضرب الناتج بـ (١٠٠) على ذلك يكون قانون حساب حاصل الذكاء كما يلي :

$$\text{حاصل الذكاء} = \frac{\text{العمر العقلي}}{\text{العمر الزمني}} \times ١٠٠ \quad \text{أو ح ذ} = \frac{\text{ع . ع}}{\text{ع . ز}} \times ١٠٠$$

هذا وليمكن حساب ذلك وضع بينيه جدولاً عُدِّل مرات عدة إلى أن أصبح بالشكل الأخير له كما هو مثبت في الشكل الذي سيعرض في الصفحة التالية ولكن وللتوضيح نسوق المسألة التالية :

طفل عمره الزمني ثماني سنوات اختبر في رائز ستانفورد بينيه فحل جميع بنود الاختبار المخصصة لعمره وحل خمسة بنود من عمر (٩) وثلاثة بنود من عمر (١٠) وسؤالين من عمر (١١) ولم يحل أياً من اختبارات عمر (١٢) فكم حاصل ذكائه ؟

الحل : قبل تطبيق القانون يجب أن نعرّف العمر الزمني والعمر العقلي وبعد ذلك نطبق القانون التالي :

$$\text{ح ذ} \frac{\text{ع . ع}}{\text{ع . ز}} \times ١٠٠$$

ع . ع = العمر العقلي ويعني مجموع قيم الاختبارات التي أجاب عليها الطفل وبالنسبة لطفل المسألة هو :

٥ × ٢ = ١٠ أشهر من عمر ٩

٣ × ٢ = ٦ أشهر من عمر ١٠

٢ × ٢ = ٤ أشهر من عمر ١١

٨ × ١٢ = ٩٦ شهراً من العمر الحقيقي على ما سبق

العمر العقلي = ١٠ + ٦ + ٤ + ٩٦ = ١١٦ شهراً

ع . ز = العمر الزمني أي مجموع الأشهر التي عاشها الطفل بالفعل على ذلك .

٨ × ١٢ = ٩٦ شهراً عمره الزمني

$$\text{ح . ذ} = \frac{\text{ع . ع}}{\text{ع . ز}} \times ١٠٠ = \frac{١١٦}{٩٦} \times ١٠٠ = ١٢١ \text{ تقريباً .}$$

هذا ولمعرفة كيفية الوصول إلى العمر العقلي بالشكل السابق نورد الجدول التالي كما ورد بعد التعديل الأخير في جامعة ستانفورد في الولايات المتحدة الأمريكية :

جدول رقم (١)

العمر بالسنين والشهور	عدد بنود الاختبار	قيمة كل بند بالأشهر
سنتان	٦	١
سنتان وستة أشهر	٦	١
ثلاث سنوات	٦	١
ثلاث سنوات وستة أشهر	٦	١
أربع سنوات	٦	١
أربع سنوات وستة أشهر	٦	١

تابع الجدول رقم (١)		
العمر بالسنين والشهور	عدد بنود الاختبار	قيمة كل بند بالأشهر
خمس سنوات	٦	١
ست سنوات	٦	٢
سبع سنوات	٦	٢
ثمان سنوات	٦	٢
تسع سنوات	٦	٢
عشر سنوات	٦	٢
إحدى عشر سنة	٦	٢
اثنتا عشر سنة	٦	٢
ثلاث عشرة سنة	٦	٢
أربع عشرة سنة	٦	٢
راشد متوسط	٨	٢
راشد متفوق /١/	٦	٤
راشد متفوق /٢/	٦	٥
راشد متفوق /٣/	٦	٦

وما يجدر ذكره أن مجموع قيمة هذه الاختبارات بالأشهر يساوي ٢٢ سنة و ١٠ شهور في حال اجتياز جميع الاختبارات .

وعن مدلول النتيجة السابقة /١٢١/ في المثال السابق نحن مضطرون للعودة إلى الجدول رقم /٢/ الذي يوضح ذلك وبموجبه يتبين أن /١٢١/ تعني لامع أو متفوق أول وبعد ذلك يتبين لنا أن هذا الطفل **متفوق من الدرجة الثانية ولامع بين أفراد المجتمع** .

جدول رقم /٢/

حاصل الذكاء	المستوى الاجتماعي	النسبة المئوية لوجوده بين أفراد المجتمع
٧٠ فما دون	متخلف عقلياً	٢,٢
٧٠ - ٧٩	بليد أو على هامش التخلف	٦,٧
٨٠ - ٨٩	بطيء التعلم أو أقل من المتوسط	١٦,١
٩٠ - ١٠٩	متوسط	٥٠
١١٠ - ١١٩	متفوق أول	١٦,١
١٢٠ - ١٢٩	متفوق ثاني ولامع	٦,٧
١٣٠ فما فوق	متفوق ثالث ولامع جداً	٢,٢

وهنا وإذا ما تساءل القارئ عن كيفية قياس شيء غير معروفة طبيعته بالدرجة المثلى نجيبه فنقول إن علماء الكهرباء قاسوا التيار الكهربائي ووضعوا له الفولت وحدة قياس رغم أن الكهرباء لم تُرَ حتى الآن ولكن من خلال آثارها وانعكاساتها أمكن ذلك وكذلك فعل علماء النفس فقد قاسوا آثار الذكاء وخرجوا بنتائج **كمية رقمية** ساهمت في وضع علم النفس في مصاف العلوم لأن فان دالين يقول : لا علم إلا بلغة الكم وأن ما فعلوه كان مطابقاً لما جاء في القرآن ﴿ وكل شيء عنده **بمقدار** ﴾[١] وقال أيضاً : ﴿ إنا كل شيء **خلقناه بقدر** ﴾[٢] .

فوائد قياس الذكاء ما هي ؟

في النهاية لا بد أن نستعرض **بعض فوائد قياس الذكاء ومنها** :

(١) الرعد : ٨ .

(٢) القمر : ٤٩ .

أ) **التوجيه التربوي :** وفيه يوجه كل طالب لفرع دراسي يناسبه ويصلح له /نظري أو عملي/ أدبي أو علمي/ وذلك بموجب ذكائه ودرجة ومقدار هذا الذكاء ومثل هذا ما يعتمده القبول الجامعي الآن الذي ينطلق من أن معدَّل العلامات التي حصلها الطالب دليل مباشر على نسبة ذكائه . ومثل هذا يفترض أن يقوم به الموجه في المرحلة الإعدادية والثانوية .

ب) **الاختيار التربوي :** وبموجبه نستخدم نتائج القياس في قبول الطالب أو رفضه في الفروع المختلفة للدراسة كما يحصل في فحوص القبول في المعاهد وغيرها وما تقوم به لجان المقابلة .

ج) **التوجيه المهني :** وفيه يوجه كل فرد لعمل يتناسب مع طبيعة ذكائه فصاحب الذكاء العملي يوجه لمهنة ميكانيك مثلاً وصاحب الذكاء النظري يوجه لمهنة في البحث العلمي وهكذا وبحسب القدرة الخاصة التي ينبغ فيها الفرد فإنه يوجه نحو ما يناسبها .

د) **في العيادات النفسية وتشخيص حالات الاضطراب النفسي .**

نخلص للقول إن قياس طاقة العقل أمر ممكن بل أصبح اليوم من المسلمات في علم النفس حتى لقد وجد فرع خاص تحت اسم علم القياس النفسي ولاسيما أن الذكاء الذي نقيسه يمثل أوضح سمة تميز العقل البشري بل من خلاله يحكم العوام على وجود عقل أو عدم وجوده وقد وضعت المقاييس الكثيرة اللفظية والعملية الأدائية ، الفردية والجمعية ، القدرة واحدة أو لعدة قدرات ، للكبار وللصغار وهكذا .

العقل والقلب ما الفرق بينهما ؟

يستخدم الناس مصطلح عقل وكذلك مصطلح قلب على أنهما **اسمان لآلتين تشتركان في تسيير وتوجيه سلوك الإنسان والحفاظ على حياته بكل أشكالها العقلية والسلوكية والانفعالية والبيولوجية** . فالعقل يساعد الإنسان على رسم وتصميم مخططات حياته وتوجيهها نحو غايات وطموحات سبق أن رأى الخير فيها والعقل هو الذي يختار من بين هذه الطموحات بناء على ذلك فالعقل هو الذي **يحقق الأمن والاستقرار وبالتالي هو الذي يطمئن القلب ويعيد التوازن إلى عمله وذلك يتضح من جهتين** .

أ - أثبتت دراسات علم النفس الفيزيولوجي أن عدد ضربات القلب تضطرب ارتفاعاً وانخفاضاً في حال القلق والتوتر أو الخوف والحزن وأن هذه الحالة أو تلك **مفتاحها بيد العقل** فهو الذي يأذن لها أو يغلق الباب أمامها بمعنى أن اتزان عمل القلب أو اضطرابه في هذه الحالة يتأثران بالعقل وقراراته .

ب - إن كلمات اللسان هي الباعث على القلق وهي الباعث على الاطمئنان . والعقل عندما يوجه الكلمات إنما يزيد من القلق أو يزيله ليغرس الاطمئنان مكانه فإذا ما **وجهه لذكر الله اطمأن القلب ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾**[1] وإذا ما وجهه لغير ذلك تعست حياة الإنسان وساءت معيشته **﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكى ﴾**[2] **وقد ثبت في علم نفس اللغة أن اللسان يعمل** بوحي العقل خصوصاً بالحالات العادية لحياة الإنسان حيث

---

[1] سورة الرعد : الآية ٢٨ .

[2] سورة طه : الآية ١٢٤ .

بإمكان العقل أن يستوعب إرسالات الروح كما سيأتي معنا في الفصل القادم أما القلب فهو تلك المضخة التي تضخ الدم لكافة أنحاء الجسد لتغذيها وتنميها وتؤمن لها البقاء بما في ذلك الدماغ الذي أقررنا بأنه العقل من المنطلق المادي . والكل يعلم بأن الدماغ يتغذى عن طريق الأكسجين المنحل في الدم **والذي لم يكن يصله إلا من خلال عمل القلب .**

فمن خلال هذه المقدمة نستخلص أن العقل يسيّر الإنسان في المجال النفسي والاجتماعي والانفعالي ويهيء الجو المناسب ليعمل القلب بشكل متوازن وبه وبسببه كان الإنسان مخيّراً على حين أن القلب يسير الإنسان في المجال البيولوجي والجسدي حتى إنه ليدعم العقل في عمله ويؤمن له الاستمرارية في العمل المتوازن فبه وبسببه قيل عن الإنسان **مسير** إذ لا يستطيع أن يقول يعمل قلبي اليوم على حين أوقفه ليستريح غدا وهنا وبعد هذا الاستعراض لمهمة العقل ومهمة القلب يخطر على قلبي الخواطر التالية :

١- هل هناك تنسيق بين عمل العقل وعمل القلب . بشكل آخر **هل يمكن للقلب أن ينوب مناب العقل ويؤدي وظائف مشابهة لبعض وظائفه ؟** إذا كانت الإجابة لا فلماذا ورد لفظ القلب في القرآن وقصد منه العقل[1] ... ثم إذا كانت الإجابة نعم يمكن للقلب أن يؤدي بعض وظائف العقل في حالات **فما هي هذه الحالات** .. وكيف يكون له ذلك ؟

٢- الحب ذلك الاتجاه العاطفي الرقيق .. الحب حيث كان اتجاهه أين مقره .. هل في القلب أم في العقل ؟

٣- أخيراً هل هناك علاقة بين القلب والعقل وما هي هذه العلاقة أو ما شكل هذه العلاقة حول الخاطر الأول : هل يمكن للقلب أن ينوب مكان العقل ؟

---

[1] يقول تعالى في سورة الأعراف الآية ١٧٩ : ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم **قلوب لا يفقهون بها** ولهم أعين لا يبصرون بها ... ﴾ إلى أن يقول : ﴿ أولئك كالأنعام **بل هم أضل أولئك هم الغافلون** ﴾ .

نرى أنه يمكن للقلب أن ينوب مناب العقل ويؤدي بعض وظائفه ذلك لأن القلب منطلق الروح إلى باقي أنحاء الجسم وأن للروح (وكما سنأتي عليه) جانباً من القدرة على الإدراك والتمييز والوعي وإن كان ذلك ضمن حدود ربما لا ينتبه إليها الإنسان ولا سيما الإنسان الذي انشغل بالدنيا وزاد تعلقه بها والتفت فقط لمعطيات حواسه الخارجية الظاهرة وأغفل **حواسه الباطنية كالقدرة على التأمل والاستبصار ورأينا أن تلك القدرة على المعرفة هذه تأتيه عن طريق الروح التي تسري بكل نواحي الجسد وترتشف المعارف وتشارك الدماغ في صنعها** ولكن وضوحها لدى بعض الناس ضعيف بالإضافة إلى أن العقل لا يستطيع إعطاء أوامره وتوزيعها إلا عن طريق الروح لهذا ورد لفظ القلب في القرآن وقصد منه العقل فقال تعالى : ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون** بها ﴾ وهنا قد يخطر ببال القارئ **الخاطر التالي** : كيف استدل المؤلف على أن المقصود بالقلب في هذه الآية العقل في الجواب نقول لو سرنا مع الآية لوجدنا أنها تكلمت عن العين والأذن وما هذه وتلك إلا **نوافذ للعقل** وما يؤكد ما ذهبنا إليه كلمات نهاية الآية فقد اعتبرت أولئك الذين كانوا كذلك بهائم والبهائم محرومون **من نعمة العقل** وفي مثل ذلك قال تعالى : ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله **بقلب سليم** ﴾[1] أي بعقل سديد رشيد خلا من الظنون والتفسيرات الخاطئة وهنا إذا ما تساءل القارئ لماذا سمى الإله العقل بالقلب نقول له إن الأسباب كثيرة ولا يحصي عددها وحقيقتها إلا الله ونرى أن من هذه الأسباب :

١- أهمية القلب بالنسبة للإنسان جسدياً ونفسياً فمن الناحية الجسدية إن المضخة المغذية لكل أعضاء الجسم وغالباً فإن توقفها يعني الموت . ومن الناحية النفسية إنه على علاقة أكيدة بالامتعاض والقلق وكذلك بالارتياح والسرور والسعادة لاحظ معي في حال الانفعال السلبي يضطرب عمل القلب وفي حصول

---

[1] سورة الشعراء : الآية ٨٨-٨٩ .

أي خلل فيه يغدو الإنسان متشائماً يائساً حزيناً كئيباً بلا عمل جدي أو بلا نشاط إيجابي وفي حال الصحة والارتياح والاسترخاء يؤمن السعادة بكل أشكالها ومعانيها للإنسان من هنا قال ﷺ : « إن في الجسد **مضغتين إن صلحتا صلح الجسد** كله وإن فسدتا فسد الجسد كله اللسان **والقلب** » .

٢- إن العقل لا يكون دون قلب **فمع توقف القلب يتوقف الدماغ عن العمل** وكيف لا وأن الخلايا المسؤولة عن الذكاء فيه تتغذى بالأكسجين المنحل في الدم الذي يصل عن طريق القلب كما سبق وبيّنا .

٣- ورد ذكر القلب و لم يرد ذكر العقل في مواقف يتصرف فيها الإنسان وكأن العقل غير موجود أي في مواقف يصبح فيها العقل كأية قطعة أو عضو في الجسد **وقد اختار الله القلب كبديل لفظي للعقل في هذه الأماكن لأن احتمال الهداية للقلب قائم على حين لا يكون لغيره من أعضاء الجسد قال تعالى :** ﴿ ومن يؤمن با لله **يهد قلبه** ﴾[1] وفي رأينا هذا انطلقنا من الآيات التالية : ﴿ كلا بل **ران على قلوبهم** ما كانوا يكسبون ﴾[2] وقوله : ﴿ فلما زاغوا **أزاغ الله قلوبهم** ﴾[3] وقوله : ﴿ **ختم الله على قلوبهم** وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ﴾[4] إذاً في كل هذه المواضع وغيرها تعطل عمل العقل فأصبح كالقلب واستقر تحت هذا الاسم أملاً بتصحيح التوجه وبلوغ الهداية . هنا قد يقول قائل ماذا تقول في الآية : ﴿ ألا بذكر ا لله تطمئن القلوب ﴾[5] والآية ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر ا لله وجلت قلوبهم ﴾[6] .

---

[1] سورة التغابن : الآية ١١ .

[2] سورة المطففين : الآية ١٤ .

[3] سورة الصف : الآية ٥ .

[4] سورة البقرة : الآية ٧ .

[5] سبق ذكرها .

[6] الأنفال : الآية ٢ .

في الإجابة نقول بالنسبة للآية الأولى الكلام ذاته فهي لم تخرج عن دائرة زيادة الإيمان با لله إذ إن القلب يطمئن ويسترخي أثناء ذكر ا لله ويحصل التأمل الذي هو أرقى وأينع ثمار العقل وبحصوله يحصل الخلق والإبداع أما بالنسبة للآية الثانية ﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر ا لله وجلت قلوبهم ﴾ فهي أيضاً لا تخرج عن دائرة زيادة الإيمان با لله وإن كانت تخص عضلة القلب بالذات **أفلا نرى أن القلب يرتعش وتزداد ضرباته عند حصول القلق والانفعال الحاد** هنا يلجأ الإنسان للتفكير والتأمل ليعود للاستقرار .

نخلص إلى أن القلب عند الكافر يبقى كقطعة الجسد التي تؤدي دورها البيولوجي وتحقق الاستمرار في الجانب المادي من الحياة وتمنع الجانب الروحي لذلك هو في عدم استقرار في منزله وفي عمله ومع زملائه أما عند المؤمن فالقلب ينوب مكان العقل ويؤدي وظيفته بالتنسيق معه وليس أدل على ذلك من قوله تعالى : ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وقد سبق أن قلنا بأن استقرار عمل القلب ينعكس عنه استقرار عمل العقل وما يؤيد ذلك قوله تعالى : ﴿ ومن يؤمن با لله **يهد قلبه** ﴾ **والسؤال كيف تكون الهداية للقلب : هل سيعمل بطريقة بيولوجية غير التي يعمل بها الآن أم أنه سيؤدي وظائف أخرى كان القلب يبحث عنها ويتطلع إليها فهداه خالقه إلى ذلك ؟ حتماً الإجابة الثانية هي القائمة وأن الله يهديه ليعين العقل في عمله ويؤدي وظائف عقلية تساعد في تسديد خطى الإنسان .**

وعن الخاطر الثاني والذي يقول الحب ذلك الاتجاه العاطفي الرقيق أين مقره ؟ هل في العقل أم في القلب .. ثم إن كان في الدماغ (العقل مادياً) فلماذا أجمع العالم على اعتبار القلب رمزاً للحب وإن كان في القلب فكيف ومتى وهل يمكن أن يكون موزعاً بين القلب والعقل .. أخيراً الحب البهيمي الغريزي الشهواني أين مقره ؟ خواطر كثيرة كهذه وتلك متعلقة بهذا الموضوع سنحاول الإجابة عنها

ولا يكون لنا ذلك إلا من خلال الحديث **عن أشكال الحب والتي نراها في التالي :**

١- حب صادق في الله ومن أجل الله .

٢- حب صادق ولكن لغير الله .

٣- حب غير صادق ومؤقت وبالمجاملة وهو حب لإرضاء غريزة جنسية أو شهوة بهيمية أو مصلحة مادية أو مثل ذلك .

١- حول الحب من النوع الأول والذي يكون في الله ومن أجل الله حيث يضحي المحب بماله ونفسه في سبيل الله ووفاءً لأمر الله فمثل هذا الحب **يبدأ بالعقل وينتهي بالقلب** فيغدو حباً عفوياً صادقاً يثأر فيه المحب ولكن لله لا لنفسه . شيء من هذا نجده لدى شخص اندفع بكل **عفوية ليؤنب شاباً شتم الإله** أو لدى شخص آخر يضحي بقسم من أمواله ليتصدق بها على أناس بعيدين عن الله وهو يأمل أن يأتي بهم إلى طريق الإيمان بالله[1] . **فمثل هذا سكن حب الله في قلبه وسرى في دمائه مسرى الكهرباء في الأسلاك الناقلة لها التي تعمل لأقل تنبيه أو إثارة** لذلك نرى أن من أحب الله ينبري يثأر له سواء بالكلام المعقول من خلال النقاش أم بالقوة الجسدية من خلال استخدام اليد كما قد يحصل مع بعض الشيوخ عندما يضربون بعض الأطفال انتقاماً لله وفي مثل هذا الحب قال تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهديهم سبلنا** وأن الله لمع المحسنين ﴾[2] وقال ﴿ والذين **آمنوا أشد حباً لله** ﴾[3] .

ومثل هذا الحب موطنه القلب بدليل أنه دائم وفي ازدياد لا ينقطع ولا ينتهي

---

[1] مثل هذا الشكل من التصدق وارد لتأليف القلوب حول ذكر الله وقد قال الله تعالى فيها : ﴿ إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها **والمؤلفة قلوبهم** وفي الرقاب ﴾ .

[2] سبق ذكر مرجعها .

[3] سورة العنكبوت : ٦٩ .

وهو حب لا يرتوي إلا بلقاء ا لله من هنا نرى **المتصوف يمضي ليله ونهاره طوال العمر في ذكر الله ولا يظمأ .**

٢) وحول الحب من الشكل الثاني فهو حب صادق أيضاً وفيه تضحية من قبل المحب بالمال والنفس ولكنها تضحية **حب في غير الله** ويعاقب عليها المحب ، بل تضاعف له العقوبة بسبب تضحيته ويعتبر من الذين ظلموا وعقابه **من مصدرين** :

أ - من قبل الإله وقد قال الإله في مثل ذلك : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله** والذين آمنوا أشد حباً لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعاً **وأن الله شديد العذاب** ﴾[1] .

ب - من قبل **الذات** التي أحبت في غير ا لله لأنها مفطورة على حب ا لله ومن أجل ا لله ومثل هذا العقاب يأتي من قبل **النفس اللوامة** التي ستلومه على إنفاقه في غير سبيل ا لله وستضعه في موقف الحسرة والندامة كما قال تعالى : ﴿ **فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون** ﴾[2] فما إن يتذكر /مثل هذا/ موقفه المقبل مع ا لله إلا ويقول يا ليتني لم أكن أنفقت .. ليتني لم أكن أضعت وقتي.. رب اغفر وارحم وأنت أرحم الراحمين . من هنا يحسن للمؤمن أن يقول قبل الطعام أو الشراب أو إرواء دافع الجنس **نويت ذلك ليساعدني على طاعة الله وليرزقني القوة في الله والولد الصالح .**

وعن مقر **مثل هذا الحب فهو متأرجح بين العقل والقلب** لهذا نجد مثل هؤلاء يرسمون شكلاً رمزياً لعضلة القلب عندما يتذكرون المحبوب واللحظات السعيدة معه والجوانب الإيجابية /من منظارهم/ في هذه اللحظات وما إن يتذكروا الإله إلا ويشوهون تلك الصورة ويسدلون ستار العمى والتضليل عليها وفي ذلك

[1] البقرة : ١٦٥ .

[2] الأنفال : ٣٦ .

شعور بالندم ومثل هذا الحب يعاقب عليه الإله لأنه يخالف الشرع فقد قال تعالى في مثل هذا الموقف ﴿ وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات **ولا متخذات أخدان** ﴾[1] .

هنا قد يقول قائل ألا يمكن أن يكون مثل هذا الحب صادقاً بكل وفاء وعندئذ يكون مقره القلب ؟!

في الجواب نقول : **إن كان ذلك ممكناً فهو ممكن لفترات قصيرة** ومن خلال علاقة القلب مع الغرائز والشهوات لا من خلال علاقة القلب مع العقل لأن القلب **يتقلب بين العقل والدين من جهة وبين الشهوات والغرائز** من جهة أخرى لهذا كان ﷺ يقول : « اللهم يا مثبت القلوب والأبصار **ثبت قلبي عى دينك والإيمان** بك » ويقول الشاعر :

ما سمي القلب **قلباً إلا من تقلبه** ولا الفؤاد فؤاداً **إلا إذا عقلا**

٣) وحول النوع الثالث من أنواع الحب فهو **حب غير ثابت ومؤقت وهو حب يحصل مجاملة فلا يعرف صاحبه الإخلاص** إنه حب لإرضاء شهوة لذلك فهو حب بهيمي جنسي حيواني ومقره ليس في العقل من حيث هو عقل رشيد سديد وليس في القلب **وإنما في المعدة والفم وأعضاء التناسل وجانب الخبث والخداع من العقل** لذلك نرى أن المحب من هذا النوع ما إن يقضِ شهوته من الطعام أو الجنس إلا وينقلب الحب الذي كان يدعيه إلى اشمئزاز أو كره أو ملل وهو حب مؤقت وليس دائماً يزول لمجرد **امتلاء المعدة أو ارتواء أعضاء التناسل** ورأينا في هؤلاء **أنهم لا يمارسون حباً إنسانياً بل نهماً حيوانياً** ومثل هؤلاء قال ا لله فيهم : **﴿ أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾**[2] .

---

[1] النساء : ٢٥ .

[2] الأعراف : ٧٩ .

نخلص للقول إن مقر الحب بحسب نوعه فهو في القلب إن كان حباً وفياً صادقاً مخلصاً في الله ومن أجل الله وهو بين العقل والقلب إن كان صادقاً ولكن في غير الله وهو في أعضاء الشهوة وتحسس اللذة كالفم والمعدة وأعضاء التناسل إن كان غير صادق بل لأجل إرضاء غريزة أو شهوة وأن الحب بكل أشكاله /بما فيها الشكل الثالث/ يمر بالعقل ولكن على أشكال ودرجات في التأثر والاكتساب من هذا المرور .

وعن الخاطر الثالث والعلاقة بين القلب والعقل نقول : هناك علاقة وهناك تنسيق وهناك تأثير متبادل وما يدل على ذلك ما يلي :

١- يقول الرازي : العقل نور يقذف في القلب وبواسطة هذا النور يعرف الإنسان الحق من الباطل وكيف لا وأن العقل هو الذي يشعل الضوء داخل القلب ليستخرج مكوناته وليعرف ما فيه وفي مثل ذلك قال الحارث بن أسد المحاسبي : « العقل نور يقذف في القلب فيستعدّ الأخير لإدراك الأشياء » .

٢- سئل المتصوف عبد القادر الجيلاني هل الإنسان يعقل بدماغه أم بقلبه فأجاب : العقل غواص في بحر القلب وهذا يشير إلى علاقة بين هذا البحر الكبير العميق وبين ذاك الغواص الماهر .

٣- سئل الغزالي عن إمكانية تشبيه العقل فأجاب إنه قبة لها أبواب خارجية وداخلية ، الخارجية هي الحواس والداخلية هي الخيالات والتصورات والشهوات ونضيف نحن والخواطر والمعروف أن الحواس وكما ثبت في كتب سيكولوجية الإدراك[1] هي نوافذ العقل وبما أن هذه النوافذ مشتركة بين العقل والقلب إذاً هناك علاقة في تلك الممرات والنوافذ وفي المواضيع التي تورّد إلى كل من العقل والدماغ.

---

(١) سيكولوجية علم نفس .

٤- أشارت مناهج العلاج النفسي التي تتم عن طريق الاسترخاء أن عمل القلب يتحسن وينشط في هذه الحالة وينعكس عن ذلك تروية دماغية كافية وبالتالي يتحسن عمل العقل وهذا يشير إلى علاقة بين العقل والقلب /علاقة بيولوجية/ .

٥- رأينا نحن أن العلاقة بين القلب والعقل قائمة سواء كانت معنوية عن طريق الروح التي تنطلق من مسكنها الأول في القلب مع الدم وتعود إليه وقد أمدت كل خلية بالغذاء والهواء عن طريق الأوكسجين المنحل فيه ونقطة التقاء القلب بالعقل من هذه الزاوية هي الخواطر التي تبدأ بالقلب وتنتهي بالعقل أو كانت تلك العلاقة مادية وظيفية على الصعيد الفيزيولوجي فدون عمل القلب لا تتحقق وظائف الدماغ وبتوقف الأول يتوقف الثاني عن العمل .

ونرى أن خير ما يشير إلى علاقة القلب بالعقل إجابة ابن عباس عن سؤال وجّه إليه ومفاده : بم أوتيت هذه المنزلة ؟ أجاب بلسان سؤول وقلب عقول والمعروف أن اللسان هو ترجمان العقل أما هنا فقد أصبح ترجمان القلب والعقل لذا يقول زيد بن ثابت إن القلب وعاء ينقاد له اللسان فإن كان ذلك اللسان على وفاق مع القلب جاء الكلام مطابقاً واعتدل القول وائتلف .

العقل والنفس ما الفرق بينهما ؟

يعرف العقل بشكل عام بأنه **مجموع الصور المنعكسة عن الدماغ أو مجموع الوظائف النفسية التي يؤديها الدماغ** سواء أكانت ضرورية لتأمين بقائه واستمراره كالانتباه والإدراك والتذكر وغير ذلك . أم كانت ضرورية لتحقيق وجوده **المعنوي الروحي** كالارتياح والتأمل والسباحة في عالم الغيب لكشف أسرار الخلق ومؤكدات الخالق وفي مثل ذلك يقول **أفلوطين** : « **إن العقل لا يكون عقلاً إلا إذا تلقى العلم من الله نوراً** » وهذا ما أكده الإله حين قال : ﴿ **ويهدي إلى صراط** العزيز الحميد ﴾[1] .

وتعرف النفس برأي ابن باجة بأنها **كمال أول لجسم طبيعي آلي حي** .

وتعرف برأي **أرسطا طاليس** بأنها جوهر بسيط بثّ وانتشر في كل ذي روح ليدبر أموره بواسطة هذا الجوهر وعندما عرفناها وتكلمنا عن **ماهيتها قلنا بأنها جوهر فيه من المادة بقدر ما فيه من الروح** فمن هذه التعاريف نلمس تداخلاً بين النفس والعقل . فالعقل فيه جانب مادي يشكل مادته الخام ومعدنه والمتمثل بالدماغ وفيه جانب معنوي بدليل تأثر العقل بالعواطف كأن يمضي شخص ساعات طويلة في التفكير بحادثة ضرب شاب لرجل كهل عجوز وإلقائه على الأرض وتهشيم متكئه عليه من هنا قال **أفلاطون محرك العقل هو الحب** .

وكذلك النفس ففيها من المادة لاحظ أنها لا تكون ولا تعرف دون جسد يعبر عنها وهي سكن كل خلية من خلايا الجسد وفيها كذلك من العقل بدليل أن كل من بحث في أقسام النفس قال بالنفس الناطقة العاقلة لهذا /ومن هنا/ كان قولنا

---

[1] سورة سبأ : الآية ٦ .

تتوسط النفس بين العقل والروح في نفس الوقت الذي تتوسط فيه بين الروح والجسد ذلك لأن العقل من مادة الجسد وتعبر **عن هذا التصور من خلال عملية التأمل** والتي تحوي من العقل المعرفة والاستدلال والفهم ومن الروح معلومات **روحانية غيبية** تجتنيها عندما تدور في ملكوت الله وفي ذلك قالت اليهودية : ليس التأمل تلك السيطرة العارضة والتائهة في الفراغ بل إنه نشاط واع فيه من الفطنة بقدر ما فيه من المعرفة من هنا حض **رسول الله ﷺ** على التأمل فقال : « **تأمل ساعة** خير من عبادة ستين سنة » هذا وهناك أدلة أخرى تشير إلى التداخل بين العقل والنفس نذكر منها :

١- لو استعرضنا مهمة العقل كما سبق وذكرنا لوجدناها **محصورة في تحويل الإحساس إلى إدراك يتضح من خلال صورة تنعكس عن هذا الإحساس وتتناسب معه من خلال تكيّف سلبي أو إيجابي تشارك النفس فيه من خلال سلوك ظاهر سواء بالرضا كالابتسامة وارتياح البدن وكلمات الاستحسان أم بالغضب والامتعاض والتوتر وكلمات الانزعاج وللتوضيح نسوق المثال التالي :**

يريد شاب أن يأتي بمادة مقننة من المجمع الاستهلاكي ويعرف أن ازدحاماً وكثافة في أعداد المحتاجين إليها وأن أيام التوزيع محددة /أو كمية المادة كذلك/ فما الذي يحصل ؟ يذهب إلى المجمّع /وهو بين المصمم على الاستمرار أو العازف عنه/ وما إن يرى رتلاً طويلاً من الأفراد يصطفون منتظرين قضاء حاجاتهم ويسمع الصراخ والعويل إلا ويفرض عليه أحد موقفين :

أ – يقف بنظام ويصطف منتظراً وقت قضاء حاجته واضعاً بحسابه بعض التجاوزات وهنا يكون قد تكيف تكيفاً إيجابياً يظهر من خلال التكيف النفسي وكلمات اللامبالاة أمام كل تجاوز يلاحظه .

ب – يرجع للبيت من حيث أتى رافضاً /بعد قرار عقلي/ الوقوف متوتراً ممتعضاً وهو يقذف بالقسيمة التي سيحصل من خلالها على تلك المادة أرضاً ويتلفظ

بكلمات الغضب والاشمئزاز وهنا يكون قد تكيف تكيفاً سلبياً وظهر ذلك /وفي كلتا الحالتين/ من خلال **أحكام مشتركة بين العقل الذي تصور الموقف والنفس التي ارتضت أو امتعضت** من هذا التصور .

٢- إن ما يشير إلى التداخل بين العقل والنفس قول الرازي بأن العقل هو قوة للنفس الناطقة ، وقول أفلاطون بأن النفس العاقلة هي من أقسام النفس أو أن القوة العاقلة هي من القوى التي تمتلكها النفس .

٣- إن العلاقة بين النفس والعقل قائمة ولولا ذلك لما نصحت كل القوانين الأخلاقية في العالم القاضي بأن لا يحكم وهو غاضب ومن هنا قيل : أول الجنون غضب وآخره ندم وفي مثل ذلك يقول ابن دريد :

وآفة العقل الهوى فمن علا   على **هواه عقله فقد نجا**

نستخلص من الدليل الثالث أن العلاقة بين العقل والنفس في أغلب الحالات وبحسب قوى النفس[1] المشتركة في هذه العلاقة هي علاقة صراع دائم بينهما فتارة يتغلب العقل على النفس الشهوانية كما هو الحال لدى شاب لم يطع شهوته ولم يستسلم لها رغم حداثة سلاحها وفي هذه الحالة تتغلب مبادئ العقل ذات المنشأ الديني الإلهي على أهواء النفس وترفض تلبية مشهد جنسي مغرٍ عرض عليه ، فمثل هذا الشاب سيظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله كما ورد عن رسول الله محمد ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله ... » ومن بينهم « **رجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله رب العالمين** » وتارة تتغلب النفس الشهوانية بأحد جوانبها السلبية على مبادئ العقل رغم نضج الأخير وتقدم السن

---

(١) قوى النفس وهي وكما سبق القوة العاقلة الناطقة والقوة الناقدة اللوامة والتي مهمتها تقويم الأعمال والقوة الغاضبة والقوة الشهوانية ، والقوة المطمئنة الراضية والمرضية وعلاقة العقل مع كل هذه القوى هي علاقة صراع وجدال إلا مع القوة العاقلة الناطقة فعلاقة تنسيق .

فيه كما هو الحال لدى مثقف وعالم دين يخطب في الناس فيسبل إزاره كبرياء أو يصعّر خدَّه للناس عجباً أو إرضاءً لحب الظهور فيفعل ذلك وهو يعلم أنه سيكون بين ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة كما قال محمد رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم /قلنا/ من هم يا رسول الله فقد خابوا وخسروا قال : **المنان والمسبل إزاره** والمنفق **سلعته** بالحلف الكاذب » . ويعلم أيضاً أن تلك المشية محرّمة كما نص عليه كتاب الله حين قال تعالى : ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحاً** إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾[1] وكما نص في موضع آخر حيث قال : ﴿ **ولا تصعّر خدك** للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾[2] .

وبعد شرح هذا التداخل بين النفس والعقل نخلص (وهذا رأينا) للقول : إن العلاقة بين النفس والعقل تأخذ **أحد شكلين** .

أ - تتوسط النفس بين العقل والروح فمن العقل تحمل إدراكاً وفهماً (والفهم وكما قيل شعاع العقل) ومن الروح صفاءً ومودة وحباً وإخلاصاً لهذا نجد البعض يطير مرة فيحلّق في عالم الفيض الإلهي ويجتني ما لا يصح للملائكة ومثل ذلك يحصل لبعض الناس في بعض مواقف الصفاء والتأمل من هنا **جاء جبران خليل جبران ليقول : النفس جواد والعقل فارسها يقودها حيث شاء .**

ب - تتوحد النفس مع العقل ويتوحد العقل مع النفس خصوصاً مع القوة الناطقة العاملة من بين قوى النفس لأن النفس الناطقة والعقل وجهان لشخص واحد ودونهما لا وجود له بشكله المعهود إلا بشكل آخر . **لاحظ النفس بلا عقل بهيمة بكماء والعقل بلا نفس ناطقة لا يفصح عن ذاته ولا يعبر عن مجوهراته** وما يدل على ذلك هو تخربهما معاً أو عملهما معاً لهذا يقول الرسول

---

[1] سورة الإسراء : الآية ٣٧ .

[2] سورة لقمان : الآية ١٨ .

محمد ﷺ عندما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر فقال وعزتي وجلالي ما خلقت أشرف منك فيك آخذ وفيك أعطي **والمقصود هنا بالعقل الإنسان بكليته نفساً وعقلاً** وإلا فكيف يقبل ويدبر ودليل ذلك أن التكريم نفسه قد خص بني آدم نفساً وعقلاً فقال تعالى : ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾[٣] . وفي مثل ما ذهبنا إليه رأى بعض الفلاسفة أن العقل والنفس والذهن قد تكون تسميات ثلاثة لشيء واحد ولكن يسمى عقلاً عندما يدرك ويسمى نفساً عندما يتصرف ويسمى ذهناً عندما يستعد للإدراك . نقول بذلك رغم قناعتنا بأن العقل والنفس كلاهما على اتصال بالمادة ولكن النفس في بعض الأحيان تتحرر من قيود المادة فتحلّق في العالم المعنوي بمعنى أنه قد يكون للنفس وجود فعّال بلا مادة على حين أنه لا وجود للعقل بلا مادة رغم قولنا بأن العقل هو الصور والأفكار المنعكسة عن المادة ولكن من دون هذه المادة لا تكون تلك الصور .

وخلاصة ما نختم به رأينا في هذا الموضوع أن نكرر مع خليل جبران بأن العلاقة بين النفس والعقل هي أشبه بالعلاقة بين الجواد وفارسه فالعقل /ذلك الفارس/ يقود النفس /ذلك الجواد/ وينتقل بها حيث شاء ومن خلالها يثبت وجوده ويظهر ما عنده .

---

[٣] سورة الإسراء : الآية ٧ .

العقل والغريزة ما الفرق بينهما ؟

يعرف العقل كما سبق وبيَّنا بأنه الوظائف النفسية التي يؤديها الدماغ وقد نظمت ووجهت بشكل تتحقق معه الحياة السلوكية للإنسان وتعرف الغريزة بأنها **استجابة فطرية غير متعلمة** فما الفرق بينهما ... ما دور كل منهما في صناعة السلوك وتوجيهه ... ما علاقة كل منهما بالدماغ ... وهل صحيح ما يقال بأن المعدة ومواطن الشهوة بالإنسان كالفم والأعضاء التناسلية هي منشأ الغرائز... أخيراً هل بين العقل والغريزة تنسيق وتعاون ... ؟؟

هذه أسئلة سنحاول الإجابة عنها خلال هذه السطور .

عن الفرق بين العقل والغريزة نقول :

١- العقل هو المبدع والمنشئ للأشكال المختلفة من السلوك في الإنسان .
انظر الأشكال المختلفة من السلوك التي يبدعها لتحصيل لقمة العيش أو لجمع المال.
أما الغريزة فهي السلوك الأعمى الذي يخلو من أي شكل من أشكال التجديد .

انظر شكل بيوت العنكبوت في كل أصقاع الأرض ترها واحدة منذ أن خلقها الله وحتى الآن رغم دقة هندستها بحيث لو أراد الإنسان نسجها لاحتاج لقوانين رياضية وهندسية متطورة .

٢- العقل هو ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات الحية ومكانه **القشرة الدماغية من الجملة العصبية ، وإن كانت مساهمة ثانوية تبديها بعض الأقسام الأخرى** منه وبه يتمكن الإنسان من النطق . أما الغريزة فهي ما يطبع السلوك الحيواني البهيمي بطابع **النمطية وعدم التحديد ومكانها اللحاء ، وإن كانت مساهمة ثانوية يبديها النخاع الشوكي** ، من هنا قال عالم النفس الإنكليزي

ماكدوكال إن الغرائز غير موجودة لدى الإنسان وتكاد تقتصر على الحيوانات الدنيا وإن وجد ما يعنيها عند الإنسان **فتسمى دوافع فطرية** ذلك لأنها **تخضع لأوامر العقل** وتعمل تحت إشرافه .

٣- الغريزة مجموعة استجابات غير متعلمة تحصل عند الحيوان سواء أشاهد غيره يؤديها أم لم يشاهد فالنحل سيبني بيوتاً سداسية لتكون مساكن له ومخازن لصناعته سواء وجد في البادية وحده أم وجد في الخلية ضمن مملكة النحل أما العقل فهو مجموعة مبادئ وأسس تنظم عملية التعلم وتستفيد من معطيات البيئة فتوظف بشكل **أفضل** وتتطور . من هنا وجد ما يسمى بعلم النفس التطوري ومن هنا كانت المؤلفات الكثيرة حول تطور العقل البشري .

٤- العقل يرضي مبادئه ويصل لأهدافه من خلال التبصر واتباع مراحل البحث العلمي واضعاً الفرضية ومجرباً للتأكد من هذه الفرضية ومستخلصاً للحلول أما الغريزة فتحقق أنماط استجاباتها من خلال استجابات محددة وعمياء وقد يتبع الحيوان **طريقة المحاولة والخطأ** فيحاول ويخطئ ويكرر المحاولة إلى أن يحاول فيصيب وهذا ما تبين **لثورندايك** الذي أجرى تجارب على القطط والكلاب وللعالم **كولر** عندما كان يختبر ذكاء القردة وإن كان الأخير قد قال بإمكان حصول التبصر عند القرود وضمن الحدود الدنيا .

٥- العقل واع لأهدافه ويغير في مخططات الوصول إليها على ضوء تغيرات البيئة بعكس الحيوان الغريزي الذي يسير بخط مستقيم ولا يغير في سلوكه مهما تغيرت الظروف المحيطة بهذا السلوك .

من هنا رأى **بافلوف أن النشاط العصبي العقلي أو النشاط العصبي الغريزي يتأثر بشكل الوجود** الذي يكون للكائنات الحية ويتغير بتغير هذا الوجود **فهو عقلي معنوي لدى الإنسان وهو تبصر يتأثر بالتعلم لدى القرود وهو سلوك نمطي غريزي محدد لدى الديدان والخنافس** . وفي هذا المجال رب خاطر يراود

ذهن القارئ مفاده : ما دام السلوك الغريزي أعمى فكيف يصل هذا السلوك إلى هدفه ومن أين له هذه الدقة[1] ؟؟

في الإجابة نقول إن الأمر في ذلك **يعود إلى الله وبوحي منه يكون فهو** القائل : .. **وأوحى ربك إلى النحل** أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات **فاسلكي سبل ربك ذُلُلاً** يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾[2] .

وإذا ما راود ذهن القارئ سؤال مماثل ما هو مصدر الحكمة والعقل ؟ نقول أيضاً الأمر **من الله فهو القائل : ﴿ يؤت الحكمة من يشاء ومن يؤت** الحكمة **فقد** أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب ﴾[3] .

هنا وفي هذا المقام يخطر ببالي السؤال التالي : الكافر الذي يخالف في سلوكه طريق الهداية هل يسير معتمداً على عقله أو غريزته ؟ بلا شك يسير الكافر منقاداً وراء غرائزه ونزواته التي أفلتت من رقابة العقل لأنه لو اعتمد على عقله لهداه ﴿ إن في ذلك **لآيات لأولي النهى** ﴾[4] ومن أين للكافر العقل ونوافذ هذا العقل عنده مغلقة كما أخبر القرآن : ﴿ مثل الذين كفروا كمثل الذي **ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون** ﴾[5] .

وعن مكان العقل من الناحية المادية نكرر قولنا بأن القشرة الدماغية هي المسكن الرئيسي له ومكان الغريزة فهو اللحاء من الجملة العصبية . أما ما يقال

---

[1] عودة إلى عمل كل فرد في مملكة النحل نجد أن الملكة مهمتها وضع البيوض فقط وأن العاملات نصفان : نصف للحراسة ونصف لجمع الرحيق والتبادل بين الفوجين قائم وينتج من هذا عمل متناسق يكوّن خير طعام أخرج للناس وفيه شفاء لكثير من الأمراض فمن أين أتت هذه الدقة ؟

[2] سورة النحل : الآية ٦٩ .

[3] سورة البقرة : الآية ٢٦٩ .

[4] سورة طه : الآية ١٢٨ .

[5] البقرة : ١٧١ .

بأن المعدة أو اعضاء التناسل أو الفم هي مراكز انبعاث الغرائز فهذا غير صحيح وما هذه وتلك سوى أسلحة لإشباع الغرائز .

أخيراً بقي أن نجيب عن السؤال الأخير المتعلق **بوجـود تنسيق وتعـاون** بـين القشرة الدماغية وبين اللحاء أي بين العقل والغريزة **بمعنى هل أن ذلك قائم ؟؟**

في الجواب نقول طبيعي أن يحصـل مثـل هـذا التنسيق وبدرجـة عاليـة لـدى الإنسان لأن العقل لا يكون إلا من خلال التناغم الإيجابي بين العقل والغريزة وربمـا يكون منه لدى الحيوان البهيمي ولكن بدرجة أقل وضمـن حـدود دنيـا ففـي مجال الإنسان نجد أن هذا الكائن يسير بحياتين معاً **شـعورية واعيـة ولا شـعورية عفويـة وقد** أثبتت الدراسات وجود أشكال لا تحصى بين مركزي هاتين الحياتين / القشرة الدماغية والمهاد / **ولدى البهائم فهذا التناسق موجود وعلى مراتب بحسب درجة التطور التي بلغتها هذه المخلوقات** هذا ما نجده لدى كلب يعلـن ولاءه وخضوعـه أمام صاحبه كي يشبع غريزة الطعام عنده .

من كل ما سبق نخلص للقول : إن الجملة العصبية بما تحوي من قشرة دماغية ومهاد وأعصاب دماغية ومخيخ ونخاع شوكي وغيرهـا هـي الحيـاة العقليـة للإنسـان والغريزة للحيوان ولعل نسبة عالية من صحة كلامنا لو قلنا إن القشرة الدماغية هـي مركز العقل الإنساني وإن المهاد هو مركـز الغرائـز الحيوانيـة البهيميـة وبـين هذيـن المكوّنين علاقات متعددة وتنسيق كبير وتعاون مثمر فعـال وَلِمَ لا يكـون ذلـك وأن القشرة الدماغية هي المراقب وهي المنظم لعمل المهـاد حيـث الانفعـالات الضروريـة للحياة من هنا يقول كازينجي في كتاب (دع القلق وأبدأ الحياة) **لا تـدع دوافعـك تتغلب على عقلك** . وأن هذا التنسيق يأخذ أفضل شكل لـه عنـد الإنسـان وأدنـاه عند الحيوان وهنا قد يوجد من يقول : كيف يقول المؤلف أدناه لـدى الحيـوان وأن الببغاء يقلد لغة الإنسان وينطق قريباً منه ؟ هل يمكن أن يكون ذلك بلا تنسـيق مـع القشرة الدماغية بدرجة عالية ؟ في الجواب نقول نعم هذا ينجم عـن تنسيق ولكـن

ليس عالياً إذ هو تقليد وليس إنشاء كلام أو ترجمة لمعطيات دماغ كما هو لدى الإنسان وشتان بين إبداع وتكرار لاحظ معي لو احتاج هذا الببغاء إلى طعام هل يستطيع أن يطلب ذلك من سائسه رغم أن بإمكانه أن يقلد ذلك وربما يكون قد قلد ذلك من قبل .

بكلام آخر **هل يستطيع القول لسائسه اسقني وأطعمني أو قدّم لي الأنثى فأنا بحاجة ؟؟**

الجواب بكل تأكيدلا يستطيع ذلك من هنا قال أحد علماء النفس : لو أضيف **ذكاء القردة إلى تقليد الببغاء** لحصلنا على إنسان بدائي .. ولكن هل هذا ممكن ؟ أبداً الإجابة بالنفي فخلق الإنسان **بيد الله وإبداعه كما** أخبر الإله حين قال ﴿ الرحمن علم القرآن **خلق الإنسان** علمه البيان »[1] (كما أن الصورة المثلى التي سيكون عليها هي من صنع الله البارئ المصور الذي قال في محكم تنزيله وبيانه ﴿ يا أيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم **الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك** ﴾[2] .

---

[1] سورة الرحمن : الآية ١-٤ .

[2] سورة الانفطار : الآية ٦-٨ .

الباب الثالث

الروح

١- مقدمة .

٢ - الروح ذلك السّر الإلهي هل يجوز البحث فيه .

٣ - حول طبيعة الروح .

٤ - الروح في القرآن ماذا تعني ؟

٥ - الروح قبل الخلق اين كانت .. ثم أيهما أسبق الروح أم الجسد ؟

٦ - الروح هي المسيّر لشؤون الإنسان ككل والمدبر لأموره ولكن كيف؟

٧ - الروح والجسد .

٨ - الروح والمعرفة .

٩ - الروح والفلاسفة .

١٠ - الروح والعلم الحديث .

١١ - قل الروح من أمر ربي .

١٢ - هل تموت الروح بموت الجسد أم ترحل إلى عالم آخر وإلى أين ؟

١٣ - تحضيرالأرواح كيف - ما رأي الدين فيه ؟

١٤ - الروح والنفس ماالفرق بينهما ؟

١٥ - الضمير ما هو ؟ في الإنسان أين هو ؟ علاقته بالنفس كيف ؟ هل يمكن تربيته ؟؟؟

مقـدمـة :

الروح ذلك **السرّ الخفي** الذي أعجز العقول عن تصور معدنه أو ماهيتـه بـل حتى عن – مجرد – تذهنه أعجزها رغم أن آثاره في السلوك واضحة ، بل دونـه لا حياة لأي مخلوق .. الروح ذلك السرّ الذي **تحدى البشـرية منـذ بدايـة خلقهـا إلى الآن .**

هل يمكن إماطة اللثام عن كنهـه وجوهـر ماهيتـه بعـد أن تـرك القـرآن أمـره غامضاً (وإن كان قد أخبر عن قليل من العلم قد أوتيه الإنســان ..)[1] .. ثـم هـل يمكـن **لتنبـؤات أنـابيب الاختبـار** وعلمـاء الوراثـة أن تقـدم معرفــة جديـدة عـن حقيقته ؟؟

لقد تحـدى الإلـه البشـرية جمعـاء . مؤمنهـا وكافرهـا ، غربيهـا وشـرقيها .. تحداهم بهذا السرّ ، **وبرأينا سيبقى هذا التحدي قائمـاً إلى أن يقـوم النـاس لـرب العالمين .**

لاحظ أيها القارئ : لقد تحدى الإله البشرية بهذا السرّ رغم أنه أطلعهم على مكونات الخلق البشري وكذلك فقد عرَّفهم على مراحل هذا الخلـق[2] ومـع ذلـك هل يستطيع أي إنسان أن يخلق روحاً تنعم بالحياة المنظمة والحركة الواعية الهادفة .. لتكن طريقة الجمع ما تكون وليكن صهر المكونـات الـتي يتـألف منهـا الإنسـان مـا يكون فهل يمكن تشكيل هذه الروح ؟؟!

الجواب حتماً بالنفي – بل مستحيل أن يكون وما يـدل علـى ذلـك كـثرة الدراسات البيولوجية التي يقوم بها علماء الحياة والدراسات النفسية والفلسفية الــتي

---

[1] قال تعالى في محكم تنزيله : (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) سورة الإسراء : ٨٥ .

[2] يقول تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة **من طين** ثم جعلناه **نطفة** في قرار مكين ثـم خلقنـا النطفـة **علقة** فخلقنا العلقة **مضغة** فخلقنا المضغة **عظاماً** فكسونا **العظام لحماً** ثم أنشأناه **خلقاً آخر** فتبـارك الله أحسـن الخالقين ﴾ المؤمنون من ١٢-١٤ .

تبحث في هذا الموضوع وكلها لم تنته إلى نتيجة فعلى سبيل المثال نجد علم النفس قد بحث في هذا الموضوع واتبع في بحثه طريقين :

أ – اعتمد **أولاً طريق التجريب** فانطلق من انعكاسات الروح في السلوك الإنساني **القابلة للملاحظة** والحكم منطلقاً من أن هذا منطلق علمي في البحث لأنه قائم على التجريب والعالم فان دالين في كتاب أسس البحث العلمي في العلوم السلوكية يقول : (**لا علم إلا بالتجريب**) ورغم ذلك فما الذي حصل وإلى ماذا انتهى هذا الطريق ؟ الجواب لم يصل إلى كثير و لم ينته إلا لبعض **الافتراضات والتكهنات** فماذا فعل .. أو ما الذي كان بعد ذلك ؟

الجواب : الذي كان من علم النفس أنه اتبع الطريق الثاني المتمثل في النهج /ب/ فما الذي كان فيه ؟

ب – درس علماء النفس **الروح في ذاتها وعن طريق التخيل والتصور والافتراض** فرأوا أن هذا **منهج فلسفي** فتركوا البحث في هذا الموضوع للفلاسفة معتبرين أن هذا منهج غير علمي لا يوافق منهج علم النفس القائم على الملاحظة والفرضية والتجريب والذي يكون بنتيجة هذه المراحل (**ملاحظة – فرضية – تجريب**) **وحين تثبت صحته ينقلب إلى نظرية أو قانون** .

أما الفلاسفة فقد تميزوا في بحثهم ثلاثة أصناف

آ – **الماديون** : وهؤلاء بحثوا عن الروح من خلال الجسد ونسوا أن الروح ليست بمادة أوليست بجسد .

ب – الرومانيون : وهؤلاء بحثوا في الروح بعد تجريدها عن المادة **ونسوا أن الجسد هو بيتها أو مسكنها وأن جوارحه هي ترجمانها ولسانها .**

ج – **الإزدواجيون** : وهؤلاء رأوا الإنطلاق في أبحاثهم من الجمع بين الروح والجسد ورأوا أن الإنسان لا يكون ولا يمكن **أن يكون بروح دون جسد ولا**

بجسد دون روح بل بهما معاً في كلٍّ متكامل ولكن يبقى السؤال إلى ماذا وصلوا؟؟ لقد وقفوا حائرين في معرفة السرِّ الذي جمع بين **متناقضين غير متشابهين، بل جمع بينهما جمعاً أحدث تفاعلاً إيجابياً مثمراً نتج منه إنسان في أحسن تقويم أقام الكون وعمّره** إلا أن هؤلاء قالوا بأنصاف الحلول واكتفوا بالحديث عن الفكر وخصائصه ، وعن الطاقة الفاعلة في الإنسان ، وعن الفيض الإلهي . من هنا **كان بحثنا في الروح متبعاً الخط الوسط بين التجريب تارة والافتراض والتسليم أخرى** مارين بالتصوّر والتفكير وذلك لتحقيق عدة أغراض منها .

١- أردنا الوصول **إلى معرفة حول السرِّ الكامن وراء استمرار** الإنسان في الحياة أو انقطاعه عنها .. أردنا ذلك رغم **اعتقادنا بل إقرارنا بأن القدرة على تذهن هذا السرِّ ما تزال ضئيلة بل ربما معدومة .**

٢- أردنا أن ننتقل بالإنسان من حقل التفكير بالمادة - خصوصاً بعد أن انغمس فيها - **إلى التفكير بما وراء المادة** .. بل على ذاك السرِّ **الذي وضعه الإله وسيطاً بينه وبين هذه المادة لتحريكها** .. أردنا أن نسير به في عالم روحي يصعد من خلاله في معارج القدس حيث الصفاء والنقاء ومنبع الطاقة الروحية حيث الفيض الإلهي .

٣- **أردنا أن نبصِّر الإنسان بأعمق ما تكنّه نفسه** بل بأقوى سرٍّ موجود فيه ألا وهو الروح عملاً بقوله تعالى : ﴿ وفي أنفسكم **أفلا تبصرون** ﴾[1] .

أردنا كل ذلك فما الذي كان ؟ هل أن ما كان هو مجرد أضغاث أحلام ، وضلال أوهام ، واستغراق خيال أو كان غير ذلك . **نترك الحكم للقارئ لأن رأيه هو الفيصل في ذلك** شرط أن يحكم العقل ويبتعد عن الذاتية ويكون موضوعياً والله من وراء القصد .

---

[1] الذاريات ٢١ .

الروح ذلك السرّ الإلهي هل يجوز البحث فيه ؟؟

الروح ذلك **السرّ** في الإنسان ومنبع الحركة فيه .. الروح ذلك **اللغز** الذي حارت العقول في تفسيره وعجز العلم عن فتح أقفاله أو عن الدخول إلى عميق كنهه وآفاقه .. الروح تلك **المعجزة الإلهية** في خلق الحياة بالإنسان **هل يجوز البحث فيها** بعد أن اكتفى القرآن بالقول : (**قل الروح من أمر ربي**) ؟؟ بداية نقول هذه **مسألة أثارت العقول** ، **وأدهشت أولي النهى** منذ بداية الحياة على سطح الأرض وإلى الآن وربما (وهذا رأينا) إلى قيام الساعة إذ لم تصل كل الأبحاث التي تمت في هذا المضمار إلا إلى **التسليم** - بشكل مباشر أو غير مباشر - بقوله تعالى : ﴿ **قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ ولا شك بأن هذه النتيجة أمر طبيعي لأن الروح سرّ إلهي ولغز صعب فك أقفاله . **وبرأينا أن الصعوبة التي تكتنف هذا السرّ هي السبب الذي دعا البعض إلى القول بعدم جواز البحث في الروح** بل إلى القول بأن من يبحث في ذلك يكون قد ارتكب **محرَّماً** . ولكن - و لله الحمد - فقد قيّض الإله من بين صفوة خلقه من بحث في هذا المفهوم وهدى الله **الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود ليرى أن من يحرم البحث في الروح يكون قد وقع في خطأين عظيمين كما سيمر** .

نعود لنتساءل ما هو الصح في ذلك هل يجوز البحث في الروح أو لا يجوز .. ثم ما هو رأي المؤلف وما هي الحدود التي يرى جواز البحث فيها بما يخص هذا المفهوم ؟؟

عن السؤال الأول وحول جواز البحث في الروح أو عدم جوازه فهناك طائفتان .

الأولى : تقف موقفاً سلبياً من البحث في الروح وتقول بعدم جواز البحث وتدعم موقفها هذا بعدة حجج وبراهين .

الثانية : وتقف موقفاً إيجابياً من البحث في هذا المفهوم وترى جواز البحث فيه وتدعم موقفها أيضاً بعدة حجج وبراهين .

وعن الفئة الأولى نقول : إن أنصار هذا الاتجاه يرون أن الروح شيء قد استأثر الله تعالى بعلمه و لم يطلع عليه أحداً من خلقه ولا يجوز لعباده البحث في أكثر من أنها موجودة ويدعم هؤلاء موقفهم بالدلائل التالية :

١- يقول تعالى : (**ولا تقف** ما ليس لك به علم)[١] ويقول أيضاً : (**ألا له الخلق** والأمر)[٢] ويرون وبالاستناد لهاتين الآيتين عدم جواز البحث في الروح .

٢- يدعي هؤلاء أنه لو كان البحث فيها جائزاً لكان ذلك لرسول الله الذي هو أحق به . ولكن هذا لم يكن بدليل أنه عندما **سئل من قبل اليهود عن الروح** التزم الصمت إلى أن أتاه الوحي بقوله تعالى : (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) .

٣- يؤكد هؤلاء موقفهم بالقول لو كان البحث فيها جائزاً لأجاب عن سؤالهم أو لأوحى الله إليه بالإجابة كما أخبر تعالى عندما قال : (**ويسألونك** عن ذي القرنين) فكان الرد (**قل سأتلو** عليكم منه ذكراً)[٣] في حين عندما سئل عن الروح أجاب قل الروح من أمر ربي ...

هنا ومما يجدر ذكره أن بين من وقف هذا الموقف من السلف الجنيد وابن عباس وبعض الخلف من بعدهم أمثال ، الدكتور عزالدين إسماعيل في كتابه

---

[١] الإسراء : الآية ٣٦ .

[٢] سورة الأعراف : الآية ٥٤ .

[٣] سورة الكهف : الآية ٨٣ .

(نصوص قرآنية في النفس الإنسانية ص٣١) والشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري عندما قال :

الروح شيء لطيف **ليس يدركه** **عقل** ويسكن من جسم الفتى حرجاً

أما الفئة الثانية فقد ارتأت جواز وإمكانية البحث في الروح بل قالت بذلك وحضّت عليه وأيّدت موقفها بعدة حجج منها :

١- يرى العالم العلامة الشيخ الجليل الأستاذ عبد الله سراج الدين الحلبي السوري - أطال الله بقاءه - أن كل ما خلقه الله يكون موزعاً بين عالمين .

آ - **عالم الأمر أو عالم الملكوت** : وهذا العالم يشمل كل ما خلقه الله وكونه بأمر منه **وبالفعل (كُنْ) ولكن دون أن يستخدم مادة أو أن يستهلك مدة** وأن الروح من مخلوقات هذا العالم (عالم الملكوت) الذي حضّ الإله على النظر **فيه** فقال : ﴿ **أو لم ينظروا في ملكوت** السموات والأرض وما خلق الله من **شيء** ﴾[1] **ونضيف نحن** فنقول : بل تعجب الإله من عدم التطلع والبحث والتنقيب في هذا العالم . **بل في مخلوقات** هذا العالم ودل على ذلك أداة التعجب التي وردت في بداية الآية ﴿ **أولم** ينظروا في ...

من ناحية ثانية نتساءل **أليست الروح من الأشياء التي خلقها الله** والتي شملتها الآية ﴿ وما خلق الله من شيء ﴾ .. أليس من واجب الإنسان ، وكما يرى الأستاذ **الشيخ عبد الله سراج الدين ، أن يبحث وينقب ويتطلع في أمرها ليتبصر عظمة خالقها** .. ثم إن فعل ذلك ألا يكون قد التزام بخط **الآية : وفي أنفسكم أفلا تبصرون** .. أليست الروح من أهم ما حوت النفس البشرية ؟! نعم إن من أهم مقاصد الآية ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ ضرورة البحث والتنقيب والاعتبار

---

(1) سورة الأعراف : الآية ١٨٥ .

بأحوال الروح التي هي من أهم ما شملته الآية السابقة الذكر ﴿ **أولم ينظروا في ملكوت ... وما خلق الله من شيء** ﴾ .

وأن البحث فيها واجب وليس جائزاً لأن هذا يقود إلى التفكّر والتدبر والاعتبار .

وهنا رب خاطر يراود الفكر ومؤداه : هل بإمكان كل مخلوق أن يطلع على عالم الملكوت ؟؟

في الجواب نقول لا ، لا يكون ذلك إلا لمن اصطفاه الإله واختصه برحمته وهذا ما كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام الذي قال فيه ربه : ﴿ **وكذلك نري إبراهيم** ملكوت السموات والأرض وليكونن من الموقنين ﴾[1] وكذلك ما كان لرسول الله نبينا محمد (ﷺ) عندما ذكر مخبراً فقال (فتجلى**لي كل شيء**) ثم قرأ الآية ﴿ وكذلك نري إبراهيم ملكوت ... ﴾ .

ب - **عالم الخلق أو عالم الملك** ويشمل كل ما خلقه الله **من مادة وخلال مدة وهو** ما أخبر عنه الإله عندما قال مخبراً ﴿ ومن آياته أن **خلقكم من تراب ثم إذا أنتم** تنتشرون ﴾[2] وقال أيضاً ﴿ وخلق الجان **من مارج من نار** ﴾[3] وقال في آية ثالثة : ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾[4] .

وقد روى الشيخان عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه **أربعين يوماً نطفة** ثم يكون في ذلك **علقة** مثل ذلك ثم يكون في ذلك **مضغة** مثل ذلك ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح .

---

[1] سورة الأنعام : الآية ٧٥ .

[2] سورة الروم : الآية ٢٠ .

[3] سورة الرحمن : الآية ١٥ .

[4] سورة الأعراف : الآية ١١ .

فمن خلال ما سبق يتضح أن كل ما ينتمي إلى عالم الخلق من إنسان أو حيوان أو سماء قد خلق من مادة واستهلك خلقه مدة وقد حث على النظر فيه فقال : ﴿ **أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى** السماء كيف رفعت وإلى الأرض كيف سطحت ﴾[1] .

٢- يرى الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر أن البحث في الروح جائز **ومباح بل إن من يحرمه يكون قد وقع في خطأين عظيمين هما .**

آ - إن من يفعل ذلك يكون **قد جهل قدر وكرامة أولياء الله** وخواص خلقه من أهل المكاشفة قد تنكّر إلى أن بإمكان هؤلاء أن يجنوا معارف لدنية ربانية غيبية وأن هؤلاء هم الذين قصدهم الإله بقوله : ﴿ **واتقوا الله ويعلمكم الله** ﴾[2].

ب - إن من يرى عدم جواز البحث في ماهية الروح يكون **قد ظن بربه خطأ وارتكب إثماً بهذا الظن** .. ثم كيف يجوز لشخص أن يحرم البحث في أمر قد صرح الإله بقليل من العلم حوله وحضّ على البحث في كثير من المعلومات المتبقية.

٣- يرى المؤلف أن البحث في موضوع الروح ممكن عقلاً ومباح شرعاً وأن من لا يتدبر في أمر الروح يكون قد وقع في موضع العتاب والخطاب من رب العالمين الوارد في الآية : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[3].

ولو عدنا لشرح كلمة يتدبرون لوجدنا أنها تعني **يتأملون معاني آياته ويتبصرون ما فيها** والروح هي مما ورد في آيات القرآن في أكثر من موقع ومنها :

---

[1] سورة الغاشية : الآية ١٧ .

[2] سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

[3] سورة محمد : الآية ٢٤ .

١- قوله تعالى في سورة الواقعة : ﴿ **فلولا إذا بلغت الحلقوم** وأنتم حينئذ تنظرون ﴾[١] .

٢- قوله تعالى في السورة نفسها : ﴿ فلولا إن كنتم غير مدينين **ترجعونها** إن كنتم صادقين ﴾[٢] .

٣- قوله تعالى في سورة القيامة : ﴿ كلا **إذا بلغت التراقي** ﴾[٣] .

إذاً البحث في أمر الروح وارد بل التفكر والتدبر في هذا اللغز واجب على كل مسلم وأن من يبحث سيصل إلى ما شاء له أن يصل عملاً بقوله تعالى : ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾[٤] ثم تعهد ووعد بتبيان معاني آياته فقال : ﴿ **ثم إن علينا بيانه** ﴾[٥] ولكن الإنسان وكعادته يريد أن يصل بسرعة وإن لم يصل يبحث عن مبررات لعدم الدراسة والبحث كما قال تعالى : ﴿ **كلا بل تحبون العاجلة** ﴾[٦] .

وهنا قد يتساءل القارئ عن **الحدود** التي سيكون البحث ضمنها في هذا المفهوم ؟ في الجواب نقول : سنبحث في **مصدرها الذي شعت عنه وفي سرّ علاقتها بالجسد وكيفية هذه العلاقة وقليلاً** وضمن **ما أفصح عنه القرآن في ماهيتها أو في ما هي عليه .**

أما عن ردنا على من قال لا يجوز واحتج بالآية ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾ الآية ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ واتخذ الآيتين السابق ذكرهما دليلاً على

---

(١) سورة الواقعة : الآية ٨٣-٨٤ .

(٢) سورة الواقعة : الآية ٨٧ .

(٣) سورة القيامة : الآية ٢٦ .

(٤) سورة القيامة : الآية ١٨ .

(٥) سورة القيامة : الآية ١٩ .

(٦) سورة القيامة : الآية ٢٠ .

صحة ما يدعيه فنرى أن المقصود غير ذلك ، فمن الآية الأولى ﴿ ولا تقف ما ليس ... ﴾ قصد منها عدم **التسوع بالحكم** أو بإطلاق الأحكام على مواقف لا يمتلك الإنسان معلومات حولها ومن الآية الثانية ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ قصد منها **أن الإحاطة المطلقة** كلها وفي كل أمر تعود بالنهاية إلى الله سبحانه .

هذا خطنا في البحث ونسأل الله العون ، وذاك رأينا والله من وراء القصد .

حول طبيعة الروح

الروح بالتعريف هي سرٌّ الحياة في المادة أو قـل إذا شئت طاقة الحياة في الجسد . إنها اللغز القائم وراء استمرار الإنسان في الحياة وبقائه متفاعلاً مع المحيط. فما هي هذه الروح .. ماذا عن معدنها ؟ .. من أي شيء خلقت ؟! من الجسد في أي عضو تكون !! أخيراً ما هي صفاتها ؟؟.

حول الشق الأول من هذه التساؤلات نقول : هذه ألغاز لم نستطع نحن و لم يستطع أحد قبلنا أن يفكك أقفالها أو يتعرف على أسرارها . بمعنى لم نستطع نحن ولا من بحث قبلنا **أن يعطي أجوبة حاسمة** فيها.

فمنذ القديم **ذكر الفيلسوف الطبيب فخر الدين الرازي أن الروح مخلوق له أول وليس له** آخر وكأني به يقصد أن معلومات الإنسان عن الروح موجودة وأنها من روح الله أما عن نهاية المطاف في طاقاتها وكنهها وأين تتوضع فتلك معلومات غيبية **احتفظ بها الإله لذاته** لأنها من عالم الأمر أما عن السؤال الأخير **ما صفاتها ؟** فهذا ما سنحاول استقراءه كما سيأتي :

ولكن بداية سنجيب القارئ حول تساؤله لماذا كان العنوان « حول طبيعة الروح » ولم يكن « طبيعة الروح » في الجواب نقول رأينا أن يكون العنوان كذلك لسببين اثنين هما :

آ – لم نجد في كل ما تيسرت لنا قراءته حتى الآن ، وبما يخص موضوع الروح ، ما وصل إلى درجة القول الفصل والقرارات الحاسمة ، بل إن كل ما قيل ويقال كان يدور حول طبيعة الروح ناهيك عن القول إن ما قيل **كان مجرد وجهات نظر** .

ب – قلنا بهذا العنوان « حول طبيعة الروح » و لم نشأ القول « طبيعة الروح » لقناعاتنا بأن الروح سرٌّ خفي لم يعلم الإنسان عنه **إلا ضمن حدود القليل** الذي صرَّح الإله بوجوده عندما قال : ﴿ ويسألونك عن الروح ... وما أوتيتم من العلم **إلا قليلاً** ﴾ من هنا فلم يكن بحثنا في هذه الطبيعة / وللمرة **الثانية نقول / إلا من باب التدبر** في قضايا القرآن والتبصر في شؤون النفس البشرية وما حوت اعتقاداً منا بأن أهم مرامي الآية القرآنية ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾[1] النظر والتبصر في موضوع الروح التي هي من أقوى ألغاز وأسرار ما حوى الجسد البشري فماذا عن ماهية هذه الروح وماذا عن صفاتها :

أولاً : ماهية الروح ما هي ؟

عزيزي القارئ لعل أسئلة كثيرة تكون قد خامرت عقلك وتتعلق بالجوهر الذي وجدت منه الروح ... ومم يتكون هذا الجوهر ... ثم أين هو من الجسد و لم لا تدركه الحواس ؟؟

هذه أسئلة نأمل الإجابة عنها تحت هذا العنوان لقناعتنا بأن هذا هو ما **تحتضنه كلمة ماهية** وللوصول إلى ذلك سنستعرض ما يلي :

آ – ما قيل قديماً حول هذا الموضوع **مع بعض التصرف والتعليق** .

ب – ما قيل حديثاً حول هذا الموضوع **مع بعض التصرف والتعليق** .

ج – النتيجة ورأي الكاتب .

آ – ما قيل قديماً :

لقد قيل في ذلك الكثير حول هذا الموضوع وسنستعرض منه ما يلي :

---

[1] سورة الذاريات : الآية ٢١ سبق ذكرها .

١- قيل إنها في **الدم الصافي وإنهـا متفاعلـة** معـه لدرجـة لا تظهـر كـذات مستقلة بتكوين مميز .

٢- قيل إنها **الغدة الصنوبرية** أو غيرها مـن الغـدد الصـم وأن هـذه مصـانع صغيرة الحجم عظيمة الإنتـاج ، اسـتراتيجية الموقـع بالنسبة لاسـتمرار الحيـاة ، بـل دونها لا حياة . وفي **تعليقنا** على هذا نسأل أصحابـه : لِـمَ قلتـم بـالغدة الصنوبريـة وأهملتم الغدة النخامية رغم أن آلات عدة بحجم ١٠٠/م^3 لا تكفي للقيام بدورهـا . وكل إنتاجها ضروري للحياة لاحظ أنها تنتج هرمون النمو الطولي والنمو بشكل عام وأنها تنتج الهرمون الخاص بالأمومة والحضانة ودونـه لا تحنـو الأم علـى طفلهـا وأنها تفرز هرمون الطلق المساعد على خروج الجنين مـن رحـم أمـه سـليماً معـافىً وتفرز هرمـون الجنس الـذي دونـه لا تكـون الحيـاة الجنسـية ولا يكـون تكـاثر أو استمرار الجنس البشري[1] كما تفرز هرمونات أخرى لقيام وظائف حياتيـه أخـرى لا مجال لذكرها الآن .

٣- قيل إنها سجينة الجسد دون أن تحدد إقامتها في هذا الجسد ونرى أنها موجودة في كل خلية حية من خلايا الجسد ولولا ذلك لما قـامت الحيـاة في هـذه الخلية .

٤- **قيل إنّها في القلب** ومنه وعن طريقه تقيـم الحيـاة في هـذا الجسـد ، بـل تنقل الحياة إلى سائر أرجاء الجسد وتبقى كذلك إلى أن يصل القلب لدرجـة يعجـز معها على استضافة هذا السرِّ الرباني وتأمين متطلباته في نشر الحياة إلى كـل أرجـاء الجسد حينئذ تغادره إلى حيث جاءت . ومـن بـين مـن قـالوا بذلـك نجد حي بـن يقظان الذي ربّته الغزالة ورضع عنها كما تذكر الأقوال والروايـات وعندمـا مـاتت

---

[1] للمزيد من المعلومات حول الغدة النخامية والغدد الصم راجع كتاب علم النفس الفسيولوجي للدكتور أحمد عكاشة بحث الغدد الصم ص١٢٠-١٤٨ .

قام بتشريحها ووصل إلى القلب فخرج منه بخار فاعتبر **أن هذا البخار من بقايا الروح** وأن القلب هو مسكن هذه الروح .

هنا ومن جهتنا نحن **فإننا** نسأل حي بن يقظان وكل من وافقه على **قوله** أو قال معه بأن القلب هو مسكن الروح . **نسأله السؤالين التاليين :**

آ - إذا كانت الروح تستمد حركتها من حركة القلب **فمم يستمد القلب حركته ؟!**

ب - **ماذا تقولون الآن عن الذين يستبدلون قلوبهم** المريضة بقلوب سليمة في عمليات جراحية عمت شهرتها الأرجاء .. **أين ستبقى** الروح في لحظات الاستبدال **وكيف تنتقل إلى** القلب الجديد ؟؟

٥- قيل إنها في جهاز **التنفس في الصدر** بدليل انقطاع التنفس مع انقطاع الحياة .

٦- **يقول الأشعري : الروح عرض مادي وهي جسم كأي جسم مادي يحيا بنفسه** وبدورنا نقول للأشعري ليس من جسم مادي يحيا بنفسه ، بل تأتيه الحياة من الروح بشكل ما . لاحظ أن القلب كجسم مادي لا يعمل إلا بعد أن تأتيه الحركة من الروح وأن الدماغ كعقل لا ينتج الأفكار إلا بعد أن تأتيه الحياة والحركة من الروح بل حتى الآلة الصماء لا تعمل إلا **بطاقة من العقل** التي تكون بدورها من الروح ويبقى التساؤل : من أين تأتي الحركة أو الحياة للروح ؟؟ .

٧- يرى أبو الهزيل أن الروح جسم وأن الحياة عرض من أعراضه ولكن أين يكون هذا الجسم وكيف تكون الحركة والحياة عرضاً من أعراضه **فهذا مالم يجب عليه .**

٨- قيل إن الروح قوة الحياة في المادة وأن المادة لا يمكن أن تحيا إلا بها وأن قوة الحياة **هذه من وضع الإله** فينا . **وبرأينا** وبرغم أن هذا الكلام النثري يروق للقارئ وينشرح صدره له إلا أنه لا يقدم جديداً **ويبقى الأمر كما هو .**

٩- **يقول الغزالي الروح جوهر مشرق على ظاهر البدن وباطنه فإن انقطع الإشراق عن الظاهر كان النوم وإن انقطع عن الظاهر والباطن كان الموت .**

١٠ - قيل إنها ذلك الجسم النوراني الذي صدر عن عالم الغيب الذي لايدرك كنهه إلا الله وفي مثل ذلك قالوا إنها قبضة الفيض السامي من ظواهر العالم العلوي .

١١- قيل إنها سرٌ من أسرار الغيب المطلق التي احتفظ بها الإله لذاته و لم يطلع أحداً من خلقه على كيفية خلقه ولا من أين هو أو مم هو ويستشهدون على ذلك بقوله تعالى : ﴿ **ما أشهدتم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم** وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾[1] .

ب - ما قيل حديثاً :

١- أجرى **الطبيب البشري الإنكليزي جيمس** تجارب عديدة في مشفى سان برنابيه في ضواحي لندن . وكان هدفه التعرف على ماهية الروح . ثم خرج ليقول : **الروح طيف نوراني مضيء لا يرى بالعين المجردة** ، ويدعى أنه رآه عن طريق أشعة فوق بنفسجية سلطها عليه عندما كان يراقب إنساناً وهو في سكرات الموت وكيف **أنه جمع هذا** الطيف في كرة زجاجية قابلة للإقفال وصلها بناقوس زجاجي **وضعه فوق الجسد عندما كانت** الروح تفارق هذا الجسد / وهذا ما سنأتي عليه مفصلاً وتحت عنوان مستقل / ومثل هذا أكده الدكتور ريمون أمودي في كتابه / حياة بعد حياة / صفحة ٨٣ عندما قال : إنها خصلة تشبه قوس قزح .

٢- قيل إنها ذلك الجسم النوراني الذي دخل البدن عن مصدر علوي ونفذ في الأنسجة والعضلات وسار فيها **مسرى الكهرباء في الأسلاك** وكما أنه لا يمكن رؤية الكهرباء كذلك لا يمكن رؤية الروح . من ناحية ثانية فكما أننا نقر بالكهرباء دون أن نراها كذلك الروح نقربها دون أن نراها .

---

(١) سورة الكهف : الآية ٥١ .

٣- قيل إنها **إشعاع أو وهج نوراني** نتج عن ذرات ذات سرعة عالية وبسبب هذا النوع من السرعة لا نستطيع رؤية هذا الوهج ولكننا نرى المخلوق الذي حل فيه وتحرك بواسطته وهذا الحال يشبه حال الصور السينمائية التي نراها ثابتة وكأن السلوك عادي في حين أنها تكون متحركة بسرعة مذهلة .

٤- الروح مخلوق لله يتحرك بسرعة عالية بحيث لا يمكن لأبصارنا أن تدركه بل حتى لا يمكن لمقاييسنا أن تقيس سرعة حركته ولا يمكن لعقولنا أن تتذهنه رغم أنها تشعر بوجوده .

٥- لقد عرَّف المسلمون ، في الآونة الأخيرة ، الروح بالقول إنها ذات مجردة عن المادة وهي جسم نوراني علوي حيّ يغاير الجسم المادي الذي حل فيه ولكنه يسري فيه سريان الماء في العود اليابس والدسم في السمسم ولا يقبل التحليل والانقسام **ويفيض على الجسم** ما دام الجسم متقبلاً لهذه الفيوض ذات الصلة الإلهية.

ج- خلاصة ورأي :

مما سبق نخلص للقول : الروح سرٌّ من أسرار الإله في الإنسان ونور من الله فيه طبعه الله في القلب فبدأ القلب يتحرك ومع حركة القلب عبر الشرايين إلى الدماغ والجملة العصبية المركزية ومن الدماغ إلى الجملة العصبية المحيطة وباقي أجزاء الجسم وهنا تكون العظام قد تكونت واكتست لحماً ويكون الدماغ قد بدأ عمله بالإرسال والاستقبال على المستوى البيولوجي العضوي في أغلب أعماله[1] وتكون الروح قد وصلت إلى كل خلية من خلايا البدن فعمرَّتها بالحياة والحركة .

---

[1] في هذه المرحلة بل حتى في كل المرحلة الجنينية لا نكاد نلمس أعمالاً فكرية عقلية للدماغ رغم ما قيل في هذا المجال .

وشأن سريان الروح بالجسد كشأن سريان الكهرباء بالأسلاك وكما أننا لا نرى الكهرباء إلا من خلال الضوء الذي ظهرت من خلاله كذلك لا نرى الروح إلا من خلال الجسد الذي عمرته وأوجدت الحياة والحركة فيه . وهنا قد يتساءل سائل : **لماذا شاء الإله أن يظهر الروح من خلال الغير لا أن يظهرها بالذات .** بمعنى **لماذا لم تظهر إلا من خلال حركة وحرارة الجسد ؟! الجواب : ليبقى الإعجاز الإلهي قائماً والتحدي مستمراً ولم لا وتلك أهم آية من آيات الله في النفس البشرية** . واستمراراً في تحدي الإله لمخلوقاته في هذا السرِّ يستوفي منهم هذه الروح وبوجود أقاربهم وأمام أعينهم وعلى مرأى منهم وكلما غادرت طرفاً من أطراف الجسد سحبت منه الحركة والحرارة فنراه يبرد[1] . وهكذا إلى أن **تبلغ الحلقوم ثم** تخرج مغادرة الجسد ولكن نحن لا نبصر ذلك ونعود للقول لماذا حجب الإله هذه الرؤية عن الإنسان ؟ الجواب : الله أعلم وكل ما نعلمه في هذا المجال أنه تحدٍّ ومصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ فلولا إذا **بلغت الحلقوم** وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه **منكم ولكن لا تبصرون** ﴾[2] ثم كيف يبصر الإنسان الروح وهي من روح الله والإنسان لا يستطيع أن يدرك ذات الله فكيف به يستطيع أن يدرك جزءاً من هذه الذات بل .. كيف به يدرك روحه وقد عجز عن إدراك ذاته ﴿ **لا تدركه الأبصار** وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾[3] **ثم كيف يدرك الإنسان روحه وقد عجز حتى الآن عن إدراك بعض ماديات جسده**[4] . ثم

---

[1] إن مراقبة بسيطة لأي متوفى وقبل أن يتوفى وهو في حالة الاحتضار ترينا برودة في الأقدام وسحب الحركة منها ثم في الساقين ثم إلى الأعلى إلى أن تغادر الروح البدن إلى خالقها فيغدو هذا المخلوق جثة هامدة لا حركة فيها .

[2] سورة الواقعة : الآية ٨٢-٨٥ .

[3] سورة الأنعام : الآية ١٠٣ .

[4] هناك أمراض كثيرة لم يستطع الإنسان حتى الآن اكتشاف أسبابها .

كيف يدرك الإنسان الروح وهي من عالم الأمر والملكوت وقد تكونت بفعل الأمر (**كُنْ**) **ثم** أخذت ديمومتها واستمراريتها من ديمومة الله وسرمديته وأنها تدخل الجسد لوقت معلوم حيث يغدو الجسد غير قادر على التفاعل مع الروح وتلبية مطالبها ويقترب موعد رحيلها كما يقول ابن سينا :

حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع

وكيف لا تعود وهي **طيف من نور الله** شعَّت عنه وستعود إليه عندما يقدِّر ذلك . نعم إنها من نور الله بدليل قوله ﷺ : « إن الله خلق خلقه في ظلمة[1] ثم **ألقى عليهم من نوره** » .

وعن مكانها من الجسد فنحن نكرر مع الأشعري عن أرسطاطاليس بأن الروح ليست جسماً وليست عرضاً لجسم ، ليست مباينة لجسم وليست مخالفة له ، وليس لها مكان محدد بل **وبرأينا** إنها في كل خلية من خلاياه وفي كل طرف من أطرافه وإن كان وجودها في عضو أقوى من وجودها وأهم منه في عضو آخر فهذا أمر طبيعي وعادي لأنه يعود إلى تقدير الإله في خلقه وكيف لا وهو القائل ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾[2] وقال في موضع آخر ﴿ فقدرنا فنعم القادرون ﴾[3] من هنا وفي مثل ذلك قال أحدهم **الروح فراغ نرى كل ما فيه ولا نرى حدوده ولا يصل الإحساس إليه** . وفي تشبيه الروح بنور الكهرباء يقول الشيخ علي عقل إمام مسجد المواساة بالاسكندرية :

والنـــور في الأرواح مثل **الكهرباء** لمن تصوب

يدني البعيد ويجعل الذ بحم المحلق منــك أقـــرب

---

(1) ظلمة : الرحم .

(2) سورة القمر : الآية ٤٩ .

(3) سورة المرسلات : الآية ٢٣ .

ويقول ابن سينا :

فكأنها بدر تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

وعن علاقة الروح بالجسد فهي علاقة تدبير لشؤونه وهذا ما سنمر عليه بعد قليل تحت عنوان مستقل .

ثانياً : صفات الروح ما هي ؟

صفات الروح ما هي ؟ سؤال يطرح ويجد جواباً بسرعة دون أن يستهلك ذلك وقتاً . ورغم أن هذه الصفات معروفة ولا جديد فيها إلا أنه ومن باب التأكيد سنأتي على ذكرها فما هي إذاً :

١- **إنها ذات قوة مطلقة وساعد طويل وإحاطة قوية** وكيف لا وهي من روح الله . وبسببها كُرِّم الإنسان فسجدت له الملائكة بل قبلها لم يكن السجود مصداق ذلك قول بني الهدى سيدنا محمد (ﷺ) « من سجد لغير الله فقد أشرك » أما عندما دخلت الروح في الجسد وكان الخلق الأول أمر الله الملائكة بالسجود لذلك الخلق فقال : ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم أجمعون ﴾[1] .

٢- الروح البشرية الإنسانية **عالية القدر** ، **عزيزة الجانب** ، كريمة على حين أن الروح الحيوانية البهمية ليس كذلك . لاحظ معي عزيزي القارئ الحقيقة التالية:

كانت الروح البشرية وحدها **السبب في وقوع الإنسان موضع خطاب رب العالمين في مواضع كثيرة** على حين أن ذلك لم يكن لغيره من المخلوقات رغم

---

[1] سورة الحجر : الآية ٢٨-٣٠ .

أنها جميعاً بأرواح تمكنها من الاستمرار والبقاء . لاحظ يقول تعالى مشيراً إلى تكريم الإنسان ﴿ **ولقد كرمنا بني آدم** ﴾[1] وقال في الآية نفسها ﴿ **وفضلناهم** على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ .

ويقول مشيراً إلى خطابه له : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم الذي **خلقك فسواك فعدلك** ﴾[2] .

٣- إنها **سابقة لوجود الجسد** بدليل قول رسول الله سيدنا محمد ﷺ : « إن الله خلق أرواح العباد **قبل أن يخلق العباد بألفي عام فما** تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف » ولن نتوسع في عرض هذه الصفة لأننا سنفرد لها عنواناً مستقلاً .

٤- إن لها قدرة على الاستقبال والإرسال من مسافات بعيدة ولمسافات بعيدة وأن هذه القدرة قابلة للنمو والزيادة وكيف لا يكون لها ذلك وأن هذه الروح على علاقة بالروح الإلهية وتأخذ بقاءها من بقائه وسرمديته ولكن نموها أو حتى اتصالها **مرهون بأمرين** .

آ - **مشيئة الإله** وإرادته كما قال تعالى : ﴿ **يزيد في الخلق ما يشاء** ﴾[3].

ب - **صفاؤها ، ونقاؤها ، وطهارتها وصدق يقينها بالله** وإطاعتها له فالله سبحانه يقول في الحديث القدسي . (أنا أصل من وصلني) . نقول بذلك لأن دخولها الجسد قد يعكر صفاءها ويدنس طهارتها .

٥- إنها خالدة ، سرمدية ، دائمة البقاء ولا تموت . ثم كيف تموت وهي من روح الله كما ذكر الإله حيث قال : ﴿ **فإذا سويته ونفخت فيه من روحي**

---

[1] سورة الإسراء : ٧٠ .

[2] سورة الانفطار : الآيات ٥-٦-٧ .

[3] سورة فاطر : الآية ١ .

فقعوا له ساجدين﴾[1] . وقد توصل إلى هذه الحقيقة الطبيب الإنكليزي جيمس الذي أجرى أبحاثاً مستفيضة عن الروح عندما تساءل مع صديقه أندريه مورا فقال: **هل تموت الروح بموت البدن يا صديقي** ؟ ثم أجاب نفسه فقال : لا أفرض أن جهازاً قد استطاع من جديد أن يعيد تشغيل الدورة الدموية وأن يعيد الإنسان للحياةفهل سيعود بروح جديدة ؟! هنا أجاب نفسه وقال : لا لن يعود بروح جديدة بل سيعود **بنفس الروح وهذا** يشير إلى أن الروح لا تموت وأن الموت حياة ثانية . وهذا ما أكده كتاب حياة بعد حياة ص٤٧-٤٨ المشار إليه سابقاً .

٦- **إنها القائد المسيّر لشؤون الجسم ، المدبر لأموره** ، بل هي المسؤولة عن استمراره بالحياة وهذا ما سيمر معنا تحت عنوان مستقل .

٧- **إنها ليست بجسم وليست بعرض ، لا يمكن أن تدرك بالحواس لأنها ليست مادية الشأن بل هي من طبع خامس غير الطباع المعروفة** (الماء ، الهواء ، التراب ، النار) .

٨- **إنها تتصف بإمكانية واسعة في التفاعل مع المادة وتحويل الإحساس إلى شعور** وهذا ما سنفرد له عنواناً مستقلاً في الصفحات القادمة (الروح والمعرفة).

---

[1] سورة الحجر : الآية ٢٩ سبق ذكرها .

الروح في القرآن ماذا تعني ؟

عزيزي القارئ : لعل سؤالاً قد خامر عقلك غير مرة ومفاده : الروح ذلك اللغز ورد في القرآن عدة مرات وأخذ أكثر من معنى فكم عدد هذه المرات وما هي هذه المعاني ؟؟

في الجواب نقول **لقد وردت كلمة الروح في القرآن ما يزيد على تسع عشرة مرة** . وكان ذلك عبر سياقات مختلفة أخذ معاني مختلفة كان من **أهمها** :

١- الروح : هي تلك **اللطيفة الربانية النورانية** التي تنفذ في جواهر الأعضاء وتسري فيها كما يسري الماء في الورد وبها يحيا الجسد . بل دونها لا حياة لأي إنسان وهي المقصودة بقوله تعالى : ﴿ **ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾[1] .

نقول بذلك رغم علمنا بأن البعض يرى أن الروح الإنسانية **لم يرد ذكرها صريحة** في القرآن بل جاءت مقصودة تحت كلمة نفس أكثر من مرة ومن بينها قوله تعالى : ﴿ ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم **أخرجوا أنفسكم** اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تعلمون ﴾[2] .

٢- الروح مصطلح أطلق وقصد به **الملك جبريل** وأن السبب في هذه التسمية السرعة الفائقة في تأثيراته وتنقلاته وهذا ما كان جلياً في قوله تعالى : ﴿ قل نزّله **روح القدس** من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى

---

[1] سورة الإسراء : ٨٥ سبق ذكرها .

[2] سورة الأنعام : الآية ٩٣ .

للمسلمين ﴾[1] . وقوله أيضاً : ﴿ نزل به **الروح الأمين** على قلبك لتكون من المنذرين ﴾[2] .

٣- الروح كلمة ترددت في بعض الآيات وقصد منها **الوحي الإلهي** الذي ينزل على الأنبياء والرسل وهذا ما يتجلى في قوله : ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش **يلقي الروح** من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق ﴾[3] وقوله أيضاً : ﴿ كذلك أوحينا إليك **روحاً من أمرنا** ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ﴾[4].

٤- الروح هي كلمة أطلقت وقصد منها تلك **القوة والنصرة والمؤازرة من رب العالمين** وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ أولئك كتب في قلوبهم الإيمان **وأيدهم بروح** منه ﴾[5] .

---

(١) سورة النحل : الآية ١٠٢ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ١٩٣-١٩٤ .

(٣) سورة غافر : الآية ١٥ .

(٤) سورة الشورى : الآية ٥٢ .

(٥) سورة المجادلة : الآية ٢٢ .

الروح قبل الخلق أين كانت ..
ثم أيهما أسبق الروح أم الجسد ؟؟

بادئ ذي بدء فإننا نرى **أن أزلية الروح مستمدة من أزلية الله** وكيف لا وأنها من روحه كما عبر القرآن عن ذلك بشكل صريح حيث قال : ﴿ ثم سواه **ونفخ فيه من روحه** ﴾[1] ونقصد من كلامنا أن الروح مخلوقة من قبل ا لله منذ أن فطر السموات والأرض بمعنى أنها **سابقة لخلق الجسد** وهنا يطرح السؤال الملح : بما أنها موجودة قبل الجسد فأين تكون إذاً[2] ومتى تحل في الجسد .. ثم ما دلائل قدمها ؟؟ في الإجابة على هذه التساؤلات نقول :

تكون الروح قبل حلولها في الجسد **في السماء الدنيا وعلى جوار أبينا آدم** فمما روي عن رسول ا لله ﷺ في حديث المعراج أنه قال : « فلما فتح لي خازن السماء الدنيا الباب رأيت شيخاً حسن الوجه ، حسن الثياب ، جالساً على كرسي من نور وعن يمينه أسودة وعن يساره أسودة . إذا نظر عن يمينه ضحك واستبشر وإذا نظر عن شماله بكى فقلت من هذا يا أخي يا جبريل فقال هذا أبوك آدم **وهذه الأسودة هي أنسمة بني آدم**[3] **فأما الأسودة التي عن يمينه هي أرواح المؤمنين وأما التي عن شماله فهي أرواح الكفار** » .

---

(1) سورة السجدة : الآية ٨ .

(2) لا عجب من تساؤلنا فمنذ القديم تساءل الشعراء عن مثل ذلك فقالوا :

يحرك روحي الجسم وهي تحِلّه ... فمن ذا لهذه الروح فيَّ يحرك

وقبل وجودي اين كان مكانه ... فهذا هو الشيء الذي لست أدرك .

(3) أنسمة : أرواح .

إذاً مكانها في السماء الدنيا إلى جانبي نبي ا لله آدم .

هنا قد نجد معترضاً يقول ما دليل المؤلف على أن هـذه الأنسـمة أو الأسـودة هي أرواح **من لم يخلق بعد** ..لماذا لا تكون أرواح الأموات من البشر ؟ .

في الرد على هذا الإعتراض نقول : إنك علـى خطـأ يـا صـاحبي وأن هـذه هي أرواح من لم يخلق من البشـر بدليـل أن رسـول ا لله ﷺ أخـبر عـن الأنسمة أو الأرواح التي على اليمين بأنها أرواح المؤمنين والأنسمة التي على اليسار بأنها أرواح الكفار .

وهذه الأخيرة إذا كانت أرواح موتى فلا تدخل السماء كما أخـبر تعـالى حـين قـال : ﴿ إن الذيـن كذبـوا بآياتنـا واسـتكبروا عنهـا لا تفتـح لهـم أبـواب السماء ﴾[1] .

إذاً لو كانت هذه أرواح الموتى لكان ﷺ قـد رأى أرواح المؤمنـين فقـط لأن أرواح الكفـار لا تدخـل السـماء بـل يُعـاد بهـا إلى الأرض **إلى سـجين في أسـفل الأرض.**

وفي الإجابة عن السؤال الثاني متى تحل في الجسد نقـول : إن ذلـك يكـون في أواخر **الشهر الرابع** من الحمل حين يأمر ا لله الملك فيـأتي بـالروح **وينفخهـا في الجنين** فتحمل في هذا الجنين حياة من نوع آخر غير حياة النمو التي كانت فيه والتي أشبه ما تكون بحياة النمو في الزروع وما يؤيد هذا الاتجاه .

آ – يقول رسول ا لله ﷺ فيما رواه عبد ا لله بن مسعود : إن أحدكـم يجمـع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة في مثل ذلـك ثـم يكـون مضغـة مثل ذلك ثم يرسل ا لله تعالى الملك **فينفخ فيه الروح** ويؤمر بأربع كلمات . بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ؟

---

[1] سورة الأعراف : ٤٠ .

إذاً يكون نفخ الروح بعد ثلاثة أطوار وكل طور يستغرق ٤٠ يوماً أي ما يعادل (١٢٠) يوماً أو أربعة أشهر .

ب – يذكر الدكتور محمود ناظم النسيمي في كتاب الطب النبوي وفي الصفحة ٣٤٩ منه ما مفاده : ينشأ الجنين خلقاً آخر في الأسبوع السابع ثم ينمو وينشأ خلقاً آخر عندما ينفخ الملك فيه الروح . نعم وكما قال تعالى : ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم **خلقاً بعد خلق في** ظلمات ثلاث ذلكم ا لله ربكم له الملك لا إله إلا هو **فأنى تصرفون** ﴾[1] .

بقي أن نجيب عن السؤال الثالث ما دلائل قدمها ؟ وفي الجواب نقول : الدلائل هي التالية :

١- يقول ا لله تعالى : ﴿ وإذ أخذ ربك من بني آدم **من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم** على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين ﴾[2] وقد جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي بن كعب أنه قال في تفسير هذه الآية إن ا لله **خلق العباد أرواحاً ثم صورهم واستنطقهم وهم في عالم الذّرّ** فأخذ منهم العهد على انفسهم قائلاً ، ألست بربكم قالوا بلى فأشهد عليهم السموات السبع والأراضين السبع وأبيهم آدم . فمن هذا نجد أن **الأرواح خلقت قبل الأجساد .**

٢- يقول ا لله تعالى : ﴿ يا أيتها النفس المطمئنة **ارجعي** إلى ربك راضية مرضية ﴾[3] .

وكلمة ارجعي تشير إلى أنها **كانت عنده ولها مكان خاص في ملكوته وستعود إليه .**

---

[1] سورة الزمر : الآية ٦ .

[2] سورة الأعراف : الآية ١٧٢ .

[3] سورة الفجر : ٢٧-٢٨ .

٣- يقول نبينا محمد ﷺ : **إن ا لله قد خلق أرواح العباد قبل أن يخلق العباد بألفي عام** فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف .

٤- يرى أفلاطون ومن بعده تلميذه أرسطو أن للنفس طبيعة روحية مفارقة وأن لها **حياتها قبل حلولها** في الجسد وحياتها بعد مفارقة الجسد .

٥- يرى الطبيب الإنكليزي جيمس وفي الأربعينات من هذا القرن أن الروح هي تلك القوة الحيوية التي تنظم الخلايا المنقسمة وتُنَشّط انقساماتها وهذا يعني أن الروح قبل البدن لأن نتائج هذه الانقسامات تشكل البدن فيما بعد .

الروح هي المسيِّر لشؤون الإنسان ككل والمدبر لأموره ولكن كيف ؟

يحكى أن راحلاً في صحراء كان يشدُّ ناقته في تجارة ، وفجـأة وقعت الناقة أرضاً واسترخت إذا **بها جثة هامدة لا حياة فيها** . فجلس عندها يبكي ولما لحق به القوم ووجدوه كذلك تعجبوا منه وسألوه لماذا تبكي فحمل ناقتك نتوزعه والناقـة ذاتها نستبدلك إياها بناقة خير منها وطلبوا منه أن يـترك البكـاء وأن ينهـض ليتـابع المسير من خلالهم فقال الرجل يا قوم إنني لا أبكي لهذا أو ذاك **ولكن أبكي لأنني لا أعرف مالذي كان يسيرها والآن غادرها وتخلى عنها ورحل** .. يا قوم لم أرَ شيئاً نقصها أو تطاير منها فعلى هذا أبكي فتعجب القوم معه ، ودهشـوا لكلامـه . هـذا على صعيد الحيوان وهو ابكم فكيف يكون الأمر عند الإنسان حيث **العقل والفكر والمحاكمة والخيال والحكم** ؟!

الأمر ذاته عند الإنسان ولكن المفارقة أدهى وأمر والآثار الناجمة عن ذلـك أوضح . لاحظ يا عزيزي القـارئ أن الإنسـان عنـد النـوم جثـة بحركـة مـع بعـض النشاط النفسي على شكل أحلام وعند الموت جثة هامدة بلا حركة ولا نشاط بـل دون أي تأثير . فبعد أن كانت تزرع الأرض حركـة ونشـاطاً ، وتمـلأ العـالم خلقـاً وإبداعاً أصبحت الآن كتلة لا حياة فيها فما الذي نقصها .. هل أن ما نقصهـا هـو بعض من الميليغرام من السيال الحيوي كما أسماه جيمس الطبيـب الـذي أشـرنا إليـه قبل قليل ؟! في الجـواب نقـول : **لا إن الـذي نقصهـا وغادرهـا هـو روح** كـانت مسؤولة عن الحياة البيولوجية والعقلية والوجدانية والسلوكية والاجتماعيـة في تلـك الجثة . من هنا فقد رأى كل من أبي بكر الرازي والغـزالي والأصفهـاني أن اتصـال

الروح بالبدن اتصال تدبير لشؤون البدن . بل جاء من ذهب أبعد من ذلك فقال تتصل الروح بالجسد لتكون **دليلة إلى الحياة الآخرة** بل قال البعض الثالث إن الروح الإنسانية هي من روح الله وهي **همزة الوصل بينه وبين الجسد وأنها تكون فاعلة بالبدن منفعلة في الذات الإلهية . أما الدماغ فهو آلة مسخرة لخدمة الروح** ، وتستمد حياتها وتوجيهها منها وتشترك معها في تأمين الحياة المعرفية والبيولوجية للإنسان ؟

نقول بذلك رغم قناعتنا بأن الدماغ هو كومبيوتر الجسد والمترجم لمدخلاته المادية التي تأتيه من الحواس الخارجية كالسمع والبصر وما إلى ذلك من الحواس ، تأتيه على هيئة سيالات عصبية ، كذلك فهو المترجم للمعطيات الداخلية أو المعنوية التي تأتيه من الروح والإحساس الباطن على هيئة مواد خام مجهولة الطابع ، وإن كانت قريبة من المشاعر والأحاسيس ، يترجمها إلى صور وأفكار وسلوك ينعكس عن تلك الصور والأفكار لذا على الإنسان أن يحفظ الفؤاد[1] كحفظه لباقي الحواس لأنه سيسأل عنه كما قال تعالى : ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾[2] وإذا تساءلت عزيزي القارئ عن المقصود بكلمة فؤاد الوارده في هذه الآية لوجدت الإجابة بأن كلمة فؤاد لفظ أطلقه الإله ويعني **المصب أو المنتهى** الذي تنتهي إليه جميع الواردات الآتية من الحواس والبيئة والخارجية أو **من الإحساس المشترك** والحسّ الباطني .

هنا فمن الطبيعي أن يتساءل القارئ ، وللمرة الثانية قائلاً : كيف يمكن للروح أن ترعى الحياة الوجدانية والعقلية والسلوكية للإنسان ؟ في الجواب نقول : تنطلق الروح من مسكنها الأول ومركز انطلاقها الأساسي في القلب

---

(1) الفؤاد : هو الدماغ وما حوى لأنه ملتقى جميع الواردات الداخلية والخارجية .

(2) سورة الإسراء : ٣٦ .

لتتصل بالدماغ متخذة من حركة القلب ومن نبضات إطلاقه مطية لها سالكة طريق الشرايين ومرسلة إلى الدماغ نبضات الإطلاق الأولى معلنة بذلك بدء عمله لأداء وظائفه والدماغ وكما هو معروف مركز الإرسال والاستقبال في الإنسان وما إن تتصل به إلا وتغذيه بالأوامر المعنوية المختلفة وببعض من معطيات الحواس ذلك لأن الروح منتشرة بكل مراكز الجسم . وبعد أن ينطلق الدماغ في عمله يقوم بترجمة هذه المعطيات إلى أوامر حركية تنقل إلى الأيدي والأرجل واللسان وبقية الجوارح وبذلك يكون السلوك المطابق لهذه الأوامر من هنا كانت الأيدي والأرجل بمنزلة شهود على الإنسان في موقف الحساب . هنا قد يقول قائل إذاً الروح هي المسؤولة عن اقتراف الذنوب وهي المسؤولة عن انحراف الإنسان وإذا ما حصل انحراف فلم لا تعذب ؟؟ في الجواب نقول إن هذه مسألة صعبة الحل والقول الحاسم فيها أصعب وأن مثل الروح والدماغ الذي يوجه سلوك الإنسان كمثل جهاز تغذية أو محرك تغذية وجهاز رادار يعمل بعد أن يتلقى هذه التغذية . فجهاز التغذية يمد الرادار بنبضات الإنطلاق وكذلك بما يستقبله من الفضاء الخارجي والكونيأما جهاز الرادار فيختار (ومن خلال دائرة الانتخاب فيه) معطيات يحللها ويفسرها ويترجمها علىترددات وشيفرات ذات معنى كأن يقول : هذا هدف معادٍ لاحقوه وصوبوا نحوه وأسقطوه أما هذا فهو هدف تجاري يؤدي مهمة إنسانية أو يقول عن هدف ثالث هذا صديق ساعدوه . فجهاز التغذية والإطلاق هو الروح وجهاز الرادار هو الدماغ فمن المسؤول ؟ أو من الذي يقع عليه الحساب ؟ نعتقد أن الجواب الطبيعي في ذلك أن المسؤول هو الدماغ وأن الحساب يجب أن يقع عليه فمنطق العدالة ومنطق القانون يقول : كل حر هو مسؤول .

ولتوضيح آلية عمل الروح مع الدماغ في الجسد البشري نسوق المثال التالي :

يخطر ببالك عزيزي القارئ أن **تلتقي من أحببت** (والحب كما هو معروف عمل روحي معنوي بالدرجة الأولى) فتقوم الروح بالتعامل مع هذا الخاطر **وتترجمه إلى صيغة أمر معنوي** يصل الدماغ عن طريق الجهاز الباراسبمتاوي الذي يعمل بشكل لاإداري . هنا في الدماغ يقوم الفص الجبهي باستقبال ذلك الخاطر ليوازنه ويحاكمه وهنا **يستنفر الدماغ – ولأداء هذه الموازنة – جنوده** فتقوم المتخيلة[1] بتخيل صورة تخص هذا الموضوع وتستفيد من عون المصورة في ذلك وهنا تحصل الموازنة والمحاكمة لاتخاذ القرارولكن في حالات كثيرة تتدخل المتوهمة كما يقول المعلم الثاني ، الأستاذ المربي ، الفيلسوف الإسلامي الفارابي أبو نصر محمد ابن محمد بن طرخان الفارابي فتعوق المحاكمة الصحيحة وتلغي الخاطر في خطواته الأولى ولكن في حالات تستنفر الروح قواها **ويزداد الميل للالتقاء وتنهمر صادرات الروح على الدماغ لدرجة قد يعجز معها الأخير عن استقبال هذه الأوامر أو عن مواكبة عمل الروح والتنسيق معها وهنا يتحرر اللسان من سلطان العقل أي من سلطان الدماغ**[2] **وينطلق مردداً – ودون وعي – اسم المحبوب الذي انهمرت أوامر الروح نحوه مستمداً حركته هذه من أوامر الروح مباشرة ومستفيداً مما بقي في الذاكرة** والتي هي من أقوى جنود الدماغ ذلك لأنها تبقى في حالة استنفار دائم طوال فترة تعامل الدماغ مع ذاك الخاطر من هنا وفي مثل ذلك يقول برجسون في كتابه الطاقة الروحية وفي الصفحة ٤٢ منه : إن حياة الروح **تضغى على حياة المادة** وهذا ما حصل أمامي ، ولأكثر من مرة ، عندما ردد بعض المحبين الهائمين العشاق اسم الهاجس الروحي الذي أقلق صاحبه فأخذ اللسان ودون أوامر العقل بل بعد عصيان هذه الأوامر يردد ا لله .. ا لله .. ا لله أو أي اسم آخر هام المرء في حبه .

---

[1] زاوية من زوايا العمل النفسي في الدماغ ذكرها الفارابي الذي لقب بالمعلم الثاني بعد أرسطو في أملية غير منشورة في كلية التربية بجامعة دمشق تحت عنوان تاريخ التربية وعلم النفس عند العرب وذكر فيها المصورة والمتوهمة والذاكرة ...

[2] العقل مادياً هو الدماغ وقد سبق أن ذكرنا ذلك في باب العقل من هذا الكتاب .

الروح والجسد

أولاً : علاقة الروح بالجسد كيف ؟؟

رأينا أن نخصص لتلك العلاقة عنواناً مستقلاً رغم أننا قد مررنا على ما يعنيها في العنوان السابق (الروح هي المسيّر لشؤون الإنسان ككل فكيف) عندما تكلمنا عن علاقة الروح بالدماغ .. رأينا ذلك لقناعتنا بأهمية هذه العلاقة ودورها في الكشف عن ماهية الروح ذلك لأن تلك الماهية تكمن وتعرف من خلال هذه العلاقة وكلامنا هذا ليس بجديد ولا مدهش فمنذ القديم **قال ديكارت إن العلاقات الرياضية بين الحوادث هي ماهية هذه الحوادث وقال أفلاطون : لو كانت العين حيواناً لكان البصر روحه** . فماذا عن هذه العلاقة وكيف تكون ؟

لقد بحث برجسون في كتاب الطاقة الروحية وكذلك في كتاب المادة والذاكرة علاقة الروح بالجسد فاعتمد في هذه العلاقة الذاكرة وما يصدر عنها من ذكريات منطلقاً لأبحاثه وخلص للقول : رغم أن الذاكرة تلعب دوراً مادياً فيزيائياً تارة ودوراً مثالياً روحانياً تارة أخرى فإن الجسم يبقى مجرد آلة عمل فقط[1] وليس هذا شأن برجسون وحده بل إن أغلب الأبحاث النفسية التي دارت حول ذلك خلصت للقول : **يبقى الجسم أداة للروح وليس العكس** وهذا ما انطلقنا منه عندما ألمحنا لهذه العلاقة في العنوان السابق حيث قلنا : **إن الروح حياة الجسد كما أن البصر حياة العين** ومن دونها يغدو الجسم مجرد مادة جامدة لا حياة فيها ولتوضيح هذه العلاقة سنعمد إلى تشبيهها بعلاقة **معسكر متكامل التخصصات**

---

(١) كتاب المادة والذاكرة علاقة الجسم بالروح – برجسون ص٢٣٥ .

(ويعمل بشكل متوازن[1] من أجل تأدية مهمة قتال / جهاد / أنيطت به وبها ومن خلالها يبقى في الحياة ويستمر في العيش الحر الكريم) وبين قائد لهذا المعسكر قد اختار من بين الجنود أبعدهم نظراً وأرشدهم حكماً ، معاوناً له يساعده في تسيير شؤون هذا المعسكر وقد منح هذا المعاون صلاحيات واسعة تمكنه من تدبير شؤون هذا المعسكر . فأما قائد هذا المعسكر فهو الروح وأما المعاون فهو الدماغ بكل أسلحته من تذكر وتصور وتخيل وحكم ومما هو جدير بالذكر هنا أننا اختلفنا مع برجسون الذي رأى بأن الذاكرة تكفي لبحث علاقة الروح بالجسد لأننا نرى أن عمل الذاكرة لا يكون موفقاً وانتاجها لا يظهر للوجود إن لم تؤازر من قبل المتخيلة والمصورة والمحاكمة بل حتى وإن عملت وحدها فتكون معطياتها جزئية إذاً لا بد من التنسيق والتعاون مع بقية أسلحة الدماغ بل دون أخواتها لا وجود فعالاً لها . هنا ، ومن الطبيعي القول ، بأن هذا المعاون يعمل وفق أوامر القائد التي يتلقاها كمادة خام ومعلومات عامة ثم يضعهاهو في ميدان الواقع والسلوك ولكن مع بعض التصرف ولا يكون له ذلك إلا لأنه قد نال ثقة القائد (الروح) وموافقته بدليل أن الروح أو القائد تعود لتتصرف متى أرادت متجاوزة بذلك آراء المعاون ولا غية لوجوده . إذ تتصرف وكأن ذاك المعاون قد كبا وهذا ما كنا قد دللنا عليه من زاويتين :

آ – أوامر الروح تتغلب على أعمال العقل أو ضوابط العقل . وهذا ما كنا قد ألمحنا إليه من قبل عندما ذكرنا أن الميل الروحي يزداد لدرجة تشل عندها حرية الدماغ وحركته الموجهة فينطلق اللسان بتوجيه من الروح مباشرة لا من الدماغ أو العقل فينطلق بألفاظ مستمدة من الفضاء الكوني الأوسع الذي تسبح

---

[1] يقول تعالى : ﴿ ذلك عالم الغيب والشهادة العزيز الرحيم . الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ سورة السجدة : الآية ٦-٧ .

فيه الروح **وكذا الحال بالنسبة لباقي الجوارح كالأيدي والأرجل والجذع** وهذا ما نجده أو وجدناه شخصياً في سلوك بعض المتصوّفين في إحدى جلسات الذكر وفي لحظة من لحظات الصفاء الروحي .

ب - **قول برجسون في مرجع سبق ذكره بأن حياة الروح تطغى على حياة الدماغ من هنا كان قولنا إن الدماغ هو عضو الانتباه إلى الحياة والمساعدة على استمرارها بشكل متوازن أما الروح فهي أساس الحياة .**

وهنا ومما يجدر ذكره بأن تلك العلاقة الناضجة (المشار إليها) والمحكمة التنسيق لا تكون لمجرد دخول الروح في الجسد بل تستهلك زمناً **وتمر بعدة أطوار** فما هي هذه الأطوار :

١- طور بدء الحياة :

ويكون هذا الطور من خلال حياة النمو في البويضة الملقحة وحياة النمو هذه أشبه ما تكون بحياة النمو في الزروع والغراس إذا لا عقل ولا إدراك والحياة هذه وفي هذا الطور هي مما تشملها الآية ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ فمم كانت أو كيف بدأت فهذه أسرار احتفظ بها الإله لذاته و لم يطلع أحداً من خلقه عليه فقال : ﴿ **ما أشهدتم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم** وما كنت متخذ المضلين عضداً ﴾[1] .

٢- طور التسوية :

يكون هذا الطور بعد الخلق الأول حيث تنفخ الروح في الجسد وعندها تكون النفس التي هي من هبات الروح للجسد وهنا وبعد تسوية النفس يأتي الملك

---

[1] سورة الكهف : ٥١

ويكتب أربع كلمات[1] من ضمنها شقي أو سعيد من هنا يقول تعالى : ﴿ ونفس وما سواها **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾[2] .

ومما قيل عن هذه المرحلة إن الله يخلق **هيكلاً نورانياً على صورة الجسد** ويأمر الملك فينفخ فيه الروح من هنا رأى الإمام مالك أحد أقطاب المذاهب الأربعة[3] صحة هذا الاتجاه فقال :

لمالك هي في صورة الجسد — فحسبك النص بهذا السند

وقد ذهب **أفلاطون وأرسطو** في هذا الاتجاه عندما قالا : النفس هي كمال أول لجسم حي : أي الجسم بعد أن دخلت الروح فيه لأنه لا حياة بلا روح .

٣- **طور الحركة** حيث الترجمة المحسوسة لوجود الروح بالجسد وهذا ما **يكون** في الشهر الرابع

٤- **طور العقل والفكر والنطق** وفيه تكون آخر مراحل التسوية والتعديل . بل آخر مراحل التصوير الإلهي للإنسان وفي ذلك يقول تعالى : ﴿ يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك ﴾[4] هنا وفي هذه المرحلة يكون **العقل ويكون الفكر** ويكون التميز بين معطيات الحواس وتكون الترجمة السلوكية الميدانية لهذه المعطيات كما ويكون التعبير اللغوي ذو المعنى أو الغرض للمدركات .

هنا رب خاطر يكون قد خامر ذهن القارئ مفاده هل يفهم من كلام المؤلف أنه قد مرت مرحلة على الإنسان **كانت الروح فيها وحدها وكان الجسد**

---

[1] يكتب الملك عمره ، رزقه ، أجله ، شقي أو سعيد .

[2] سورة الشمس : الآية ٧-٨- سبق ذكر ذلك .

[3] المذهب الشافعي ، والمذهب الحنفي ، والمذهب الحنبلي ، والمذهب المالكي .

[4] سورة الانفطار : الآية ٦-٧-٨ .

وحده ؟ في الجواب نقول نعم وهذا ما كنا قد تعرضنا لذكره عندما ذكرنا الحديث (إن الله قد خلق أرواح العباد قبل أن يخلق العباد بألفي عام ...) وذلك تحت عنوان (الروح والجسد أيهما أسبق) ويؤيد ما نذهب إليه :

١- قول الله عز وجل في محكم تنزيله : ﴿ ما لكم لا ترجون لله وقاراً . وقد **خلقكم أطواراً** ﴾[1] .

٢- رد رسول الله ، نبي الهدى ، معلم البشرية ، على سؤال طرح عليه : متى كنت نبياً يا رسول الله ؟ فأجاب وآدم **بين الروح والجسد** أي قبل اتحاد الروح بالجسد حيث كل لوحده .

٣- قول الدكتور محمود ناظم النسيمي في كتاب الطب النبوي الصفحة (٣٤٥) ينشأ الجنين في الأسبوع السابع من تناميه ، ثم ينشأ مرة أخرى أو خلقاً آخر عندما ينفخ فيه الملك الروح ، بعدها ينشأ خلقاً آخر عندما ينمو نفسياً وعقلياً وهنا في هذه المرحلة يكون قد استعد لتقبل التجليات الإلهية وفي مثل ذلك يقول تعالى : ﴿ يخلقكم في بطون أمهاتكم **خلقاً بعد خلق في** ظلمات ثلاث ﴾[2] .

هنا وفي عودة إلى ذاك المعسكر **يخطر ببالي السؤال التالي : هل يمكن لقائد هذا المعسكر (أي هل يمكن للروح) أن يهرب** منه في حال شعر بضرورة مغادرة معسكره . كأن يشعر باحتمال هزيمة كل الجند وتواطئهم فيما ينقاد هؤلاء الجنود لرأي جندي عصى أوامر القائد أو كما قد يحصل لو اتبع الإنسان أهواء الجانب السلبي من النفس الشهوانية . فارتكب المحرمات وخالف مبادئ الروح ؟ .

في الجواب نقول : إن ذلك **مرهون بالمشيئة الإلهية ولا سيما أن لانتهاء خدمات هذا القائد في معسكره أجلاً ومدة ووقتاً معلوماً** كما قال تعالى : ﴿ **ولكل أمة أجل** فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾[3] .

---

[1] سورة نوح : الآية ١٣-١٤ .

[2] سورة الزمر : الآية ٥ .

[3] سورة الأعراف : الآية ٣٤ .

وهنا قد نجد معترضاً يقول : ألا يمكن لهذا القائد أن يقتل وبشكل جماعي جميع جنوده ، كما قد يحصل ذلك في حالة الانتحار ؟

في الجواب نقول لذلك المعترض أنت على خطأ في تحديد هوية القاتل .. فالقاتل ليست الروح .. لأن القتل ينافي ويعارض مفهومها ومعناها ووظيفتها التي أناطها الله بها ألا وهي إضفاء الحياة على الجسد . بل إنه (القاتل) أحد جنود الجانب السلبي من النفس الشهوانية وأنه سيلقى العقاب والحساب كما أخبر نبي الله محمد ﷺ عندما قال من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها بطنه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً .. »[1] .

أخيراً نعتقد / وهذا طبيعي / أن يكون قد ألح على ذهن القارئ **السؤال التالي :** في حال حصول ذلك الذنب الفظيع وارتكاب جريمة الانتحار . أو في حال حصول أي ذنب **آخر فمن المسؤول الروح أم الجسد ؟؟**

للجواب نروي الحديث التالي :

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ **ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح** الجسد فيقول الروح يارب أنا كنت روحاً منك خلقتني ودخل فيَّ هذا الجسد فلا ذنب لي . ويقول الجسد : يارب كنت جسداً خلقتني ودخل فيَّ هذا الروح مثل النار . فبه كنت أقوم وبه كنت أقعد وبه أذهب وبه أجيء لا ذنب لي قال فيقول الرب أنا أقضي بينكما : أخبراني عن أعمى ومقعد دخلا حائطاً فقال المقعد للأعمى إنني أرى ثمراً فلو كانت لي رجلان لتناولت : فقال الأعمى أنا أحملك على رقبتي فحمله فتناول من الثمر فأكلا جميعاً. فعلى من الذنب ؟!

قالا عليهما جميعاً فقال **قضيتما على أنفسكما .**

---

[1] الكبائر – شمس الدين الذهبي – الكبيرة التاسعة والعشرون .

ثانياً : الاستدلال على الروح في الإنسان كيف .. وماذا

يمكن الاستدلال على أي شيء من خلال **انعكاسات هذا الشيء ومظـاهره السلوكية في العالم الخارجي** . على ذلك نتعرف على المادة مـن خـلال خصائصهـا كـالوزن والحجـم ، ونتعـرف علـى العقـل مـن خـلال الوصـوف اللفظيـة والنطـق وإمكانية الاختيار بين أمرين (ذهابٌ في رحلة اتُخِذَ قرار مسبق بها أو التزامٌ بجـانب قريب مرضه مزمن ومنذ وقت طويل) ونتعرف على **وجود الروح في الإنسان مـن خلال استمرارية الحركة والحياة في هذا المخلوق العجيب فهل ذلـك يمكـن** ؟ أو أن حركة الإنسان واستمراريته تعـودان إلى تفـاعل بـين ذرات هـذا الجسـد[1] ؟ في الإجابة عن ذلك سنستعرض دلائل وجود الروح في الإنسان في عدة اتجاهات هي:

أولاً : من حيث تكوين هذا الإنسان إذ نجد إنه يتكون مـن طبيعـة مزدوجـة ففيه مادة وفيه روح وفيه نفس تتوسط بين المادة والروح .

آ - فمن حيث **الاستدلال علـى الجـانب المـادي** فذلـك ممكـن مـن خـلال الجسد وما يحتوي من عظام وعضلات وأنسجة فيها حركة وفيها حياة بل فيها نمـو يسير بمعدلات مختلفة وتشهد على ذلـك أسـلحة الطـب الحديثـة كـأجهزة التصويـر والتخطيط والتحليل .

ب - **ومن حيث الاستدلال على الجانب النفسي** فهذا ممكـن ومـن خـلال الجانب الانفعالي والوجداني كالهيجان والعاطفة أو كالغضب والحب . وتشهد على ذلك أسلحة علم النفس والقياس النفسي كالروائز والاختبارات وغيرها من أدوات القياس :

هنا ومما يجدر ذكره أنه في هذا الجـانب يلتقـي الإنسـان والحيـوان وإن كـان ذلك أوضح عند الإنسان .

---

[1] يرى ماركس أن الحركة نتيجة تفاعل بين ذرات الجسـد بـل إن حركـة الدمـاغ رغـم دقتهـا تكـون نتيجـة تفاعل بين ذراته وفق نظام دقيق إلا أن نتائج علم النفس التجريبي دحضت صحة هذه المزاعم .

ج - **أما من حيث الاستدلال على الجانب الروحي** فهذا ممكن ويعرف من خلال آمال وتطلعات الإنسان وتفاؤله وشعوره بالديمومة ، كذلك من خلال طيران الروح في فضاء خالقها واتصالها بالروح التي شعت عنها وتلقيها من الفيوض الإلهية ما شاء الله لها أن تتلقّى . نقول بذلك علماً بأن ذلك لا يحصل إلا لبعض الناس وفي بعض الأوقات وبأشكال مختلفة . هنا قد يخطر ببال القارئ أن يقول : **كيف التناسق والتناغم بين هذه المكونات ؟ ومن هو القائد بينها ؟**

في الجواب نقول : **إن الروح هي القائد والمدبر** في هذا المخلوق وأن جوارح الجسد هي الأدوات المنفذة أما العقل (الدماغ مادياً) **فهو المعاون الوفيّ** الذي يعمل وفق توجيهات الروح **ولكن يتوسط بين الروح والجسد نفسٌ** فيها من الجانبين وتنشط بحسب الجانب المنتصر في هذا المخلوق .

ولنؤكد أن الجانب الروحي هو الأقوى نسوق الوقائع التالية :

آ - يرفض شخص الطعام ولأيام إذا كان ذلك يناقض مبادئ الجانب الروحي وسلامته .

ب - يرفض شخص آخر إشباع دافع الجنس رغم إمكانية هذا الإشباع في بعض المواقف لا لشيء إلا لأن ذلك يناقض أوامر الروح (يقول عليه السلام ، سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل ... ... ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال : إني أخاف الله رب العالمين) .

ج - يرفض ثالث جمع الثروة والمال ورابع المنصب والجاه ، وخامس الاستجمام والاستمتاع في رحلة لا لشيء إلا لأن ذلك يخالف قوانين نموّ الجانب الروحي في الجسد (وبحسب قواعد الكسب هذه إذا لم تكن مشروعة) .

هنا رب سائل يسأل أين أصبح الجانب النفسي ؟؟ في الجواب نقول : **لقد وقف مسمّراً خاشعاً** أمام عظمة الروح وسلطانها فأرجأ شهواته وتنازل عن لحظات لذاته وهذا ما نجده في إحدى الحالات التالية :

- شخص كهل مدمن على شرب السيجارة ومع ذلك يرجئ التعامل معها إلى لحظات لا تناقض مبادئ الروح .

- شاب دعته إمرأة ذات منصب وجمال فامتنع وقال إنـي أخاف ا لله رب العالمين .

- فقير يرفض مبدأ السرقة حتى وإن كان ذلك من أموال أبيه وأمه رغم الحاجة الملحة إلى ذلك ... ... حالات كثيرة وكثيرة وتلك **تتغلب فيها مبادئ الروح على أهواء النفس .**

هنا قد نجد معترضاً يقول هناك أشخاص كثيرون يخالفون مبادئ الروح وتتغلب عندهم النفس الشهوانية إلى عدو وخصم عنيد للروح .. بل إلى عدو ينتصر على مبادئ الروح ويسخّر جوارح الجسد لصالحه . شيء من هذا نجده عند من يرفض الصيام بل يفرض على غيره الإفطار ونجده كذلك عند من يتعاطى الزنا رغم فقر الإمكانات المادية المساعدة في ذلك ونجده ثالثاً عند سارق بل عند قاطع طريق يغتصب أموال الآخرين وسيطر عليها تحت ضغط السلاح والقتل فأين أصبحت مبادئ الروح ؟!

في الرد نقول إن مثل هذه الحالات والوقائع أمر كائن ولكن وجوده يعني خرقاً لهذه السيادة وحالة استثنائية بدليل أن الصيام مفروض في كل الديانات وإن اختلفت اشكاله[1] وأن السرقة مرفوضة في كل المذاهب وأن القانون يعاقب على كل حالة امتلاك لأي من ممتلكات الآخرين وكذا الحال بالنسبة إلى الزنا أو الانحراف الجنسي .

إضافة لما سبق والأغرب من ذلك كله أن الإنسان قد سلك طريقاً منحرفاً في العبادة فعبد الشمس وعبد الصنم وعبد القمر بل عبد الإنسان نفسه لا لشيء إلا ليشبع الجانب الروحي .

---

[1] (يا أيها اللذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) سورة البقرة : الآية ١٨٣ .

ثانياً : ومن حيث الجانب الفلسفي وطريقة الاستنتاج نجد ضالتنا من خلال المثال التالي :

إننا لا ندرك حركة القمر إلا من خلال وجودنا بعيدين عنه ولا نستطيع إدراك حركة الطائرة إلا من خلال وجودنا خارجها أو من خلال هبوطها على المدرج ونفس الكلام يقال عن إدراك حركة الزمن وتتابع لحظاته إذ لا يمكن إدراك ذلك إلا من خلال حركة الروح ذلك العامل الحاسم في استمرار الإنسان بالحياة والذي لا يكبر ولا يهرم ولا يشيب ولا ينصرم وسيعود إلى الخلود بعد خروجه من الجسد ، وأن هذا العامل الخالد لا يدرك إلا من خلال الحركة الموجهة بل من خلال القدرة على إحداث تغيير في العالم المحيط وهذه القدرة وتلك الحركة موجودة فينا **فإن لم تكونا من الروح فمن أين هما إذاً ؟! في الإجابة لا شك أنهما من الروح بدليل عدم وجودهما في الجمادات كالخشب أو البلاستيك .**

ثالثاً : لو نظر الإنسان إلى ذاته ومواصفاته **لوجد أنه حر فيما يختار** ويتصرف فمن أين أتته هذه الحرية ؟ لا شك **أنها من الروح** ذلك لأن الجسد الإنساني مقيد بقوانين الحركة المادية الفيزيائية والتي تلغي كل أمل في الحرية . لاحظ معي أن لسان الإنسان هو كتلة مادية مقيد بقوانين المادة المحددة بشكل دقيق ومع ذلك فإنه يتجاوز هذه الحركة وهذه الحدود بحيث ينتج من الحركات المختلفة كلمات مختلفة . كذلك الدماغ الإنساني هو كتلة من الخلايا الدهنية السنجابية والبيضاء الموجود أمثالها في الشاة والكلب والحصان مع بعض الاختلافات ولكنها في الإنسان تتميز بالقدرة على المحاكمة والموازنة والترجمة والفهم ومن ثم إعطاء الأوامر إلى اللسان أو الأيدي أو غير ذلك من الجوارح والسؤال المحيِّر من أين أتت تلك الأعضاء هذه القدرات ؟ **لا شك أنها من الروح الإنسانية المكرمة والمعظمة القدر .**

فما هي هذه الروح .. ما معدنها الذي منحها هذه القدرات ... كيف استطاعت أن تحقق هذا النوع من الاتصال ؟ هذه أسئلة لا يعلمها إلا الله وأن ما أوتيه الإنسان من معلومات حولها يبقى ضمن القليل القليل جداً الذي أشار إليه القرآن حيث قال : ﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ .

رابعاً : ومن حيث الدين نجد أن القرآن وسائر الكتب السماوية قد أشارت إلى وجود الروح بالإنسان وأشارت إلى أن هذه الروح من روح الله ومن أمر الله وعن طريق ملك ينفخها في الجنين في طور من أطوار نموه فعن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل إليه **الملك فينفخ فيه الروح** ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وعمله وأجله وشقي أم سعيد[1] .

بالخلاصة نرى نحن ويرى غيرنا أن الروح هي أصل الحياة وأصل الحركة في الإنسان ولكن الأبحاث التي تمت حولها لم تصل **إلى كثير لسببين** :

آ – **الروح هي سبب** الحياة في الإنسان وسرّ خلق الحركة فيه وقد احتفظ الإله بهذا السرّ لذاته و لم يطلع أحداً من خلقه عليه فقال : ﴿ **ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت** متخذ المضلين عضداً ﴾[2] وكل ما أخبر عنه أنه قال : ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ .

ب – السبب الثاني ويكمن في خطأ النهج الذي اتبعوه . إذ أنهم اتبعوا فقط طريقاً مادياً لبلوغ ما هو روحي لاحظ معي : إن الطبيب البشري الإنكليزي جيمس قال : إن ذلك الوزن من السيال الحيوي الذي يغادر الجسم بعد الموت

---

(1) سبب ذكر هذا الحديث مرات وتكراره هنا من قبيل التوظيف الضروري والتأكيد .

(2) سورة الكهف : الآية ٥١ .

والذي لا يزيد وزنه على ١٧٪ من المليغرام هو ما يدعى بالروح . إلا أن هذا العالم قد اعترف صراحة ببطلان استنتاجاته عندما قال : إنني لا أبحث عن الروح بل عن نوع من الطاقة إذا ما اتصل بالمادة منحها تلك الخاصة المجهولة القدرة على الاستمرار بالحياة (وعن هذه الطاقة قال : **إن كل جسم لا يكون كذلك إلا إذا وصلته قوة مجهولة الطبيعة**) .

كذلك فإن أبحاث مسمر وألبارون دي ريشنباخ وكروكس فشلت لأنها سلكت الطريق نفسه وكان مما استطعنا الوصول إليه أن مجلة إنكليزية نشرت وخلال الحرب العالمية الأولى بأن كروكس قام بتجارب على أناس ماتوا لتوه خلص منها للقول : **إن الروح هي سائل يغادر الجسد بعد الموت** وعلى مراحل أقصاها ٢,٣٥ أي ساعتان وخمس وثلاثون دقيقة بعد الوفاة وأن وزن هذا السائل لا يتجاوز بعضاً من الميلغرام .

ولكن وفي تعليق المجلة على كلام كروكس هذا قالت : **إن كروكس مجنون مخبول** وأن ما قاله يبقى من لغو الكلام .

في نهاية البحث في هذا العنوان نقول إن البحث في شيء يعني وجوده ولولا أن كان موجوداً لما كثرت الأبحاث حوله وحار الناس في أمره وأن العلم الحديث لم يصل إلى قول فصل يحسم النقاش في أمره **وانتهى لما أخبر به القرآن (قل الروح من أمر ربي)** .

الروح والمعرفة

عودة إلى قوله تعالى في الآية ٢٨ و ٢٩ من سورة الحجر ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً **من صلصال من حمأ مسنون فإذا** سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ .. عودة إلى هذه الآيات ترينا أن الإنسان ، وقبل حلول الروح فيه ، ليس إلا **صورة مجوفة من الطين المصوَّر على هيئة إنسان** وبعد ولوج الروح فيه كُرِّم هذا الإنسان . بل بسبب ولوج هذا السرِّ الإلهي فيه وجب سجود الملائكة لهذا الإنسان ولو تساءل القارئ لماذا كان السجود لهذا المخلوق و لم يكن لغيره من المخلوقات التي تنعم بالحياة وفيها روح ؟ لوجدنا الإجابة / وهذا رأينا / أنه بسبب العقل **المشمول ضمناً أو المحتوى أصلاً ضمن هذه الروح** كان ذلك إذ إن غياب العقل من تلك المخلوقات يضعها في مصاف الدواب التي قال فيها : ﴿ **إن شر الدواب عند ا لله الصم البكم الذين لا يعقلون** ﴾(١) .

إذاً بسبب **العقل** الذي يميز الإنسان عن بقية المخلوقات والذي يكون مع الروح الإنسانية دون غيرها من أرواح المخلوقات كان التقدير وكان سجود الملائكة بدليل ما قاله رسول ا لله ﷺ حيث ذكر أنه عندما خلق ا لله العقل قال له **أقبل فأقبل ثم قاله له أدبر فأدبر فقال : وعزتي وجلالي ما خلقت أشرف منك فيك آخذ وفيك أعطي** . وهذا ما كنا قد كررناه أكثر من مرة .

من ناحية ثانية فإن **الدماغ والجهاز العصبي ليعتبران من أولى أجهزة الجسم** نمواً وبعد دخول الروح إلى الجسد تغدو أكثر تطوراً بحيث تكون خلايا الجهاز العصبي ووصلاته العصبيّة كاملة عند الولادة(٢) .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٢٢ .

(٢) كتاب علم نفس النمو : تأليف الدكتور حامد زهران ص١٠٨ .

من ناحية ثالثة فإنه مع نمو الدماغ والجهاز العصبي تنمو القدرة على اكتساب المعرفة ويكون الفهم والعلم وليس غريباً ذلك فقد أثبتت أبحاث علم نفس النمو أن نمو الذكاء يكون طرداً مع نمو الدماغ بل يتوقف أو يكاد يتوقف مع اكتمال نمو الدماغ من هنا قال كل من سبيرمان وتيرمان يتوقف نمو الذكاء في نهاية العقد الثاني من الحياة حيث أن نمو الدماغ والجهاز العصبي يكون قد اكتمل[1] .

يبقى أن نجيب القارئ على خاطرين يلحان في تواردهما على ذهنه ومفادهما :

آ – **هل تساهم الروح في تحصيل المعرفة ؟ .. إن كانت الإجابة نعم فكيف ؟!**

ب – هل كل الأرواح تجني معرفة ؟ إن كانت الإجابة لا ليس كل الأرواح تجني معرفة فلماذا ؟؟ .

أولاً : هل تساهم الروح في تحصيل المعرفة ... كيف ؟؟

نظرة في تعريف المعرفة ترينا أنها العلم والفهم والإدراك . بل القدرة على تميز الأشياء وثم نظرة في طرق تحصيلها ترينا أن الحواس والدماغ العاملان الحاسمان في ذلك . إذاً الطريق مادي بحت هنا يكون السؤال : **هل يمكن للروح أن تساهم في تحصيل** المعرفة وهي ليست مادية ؟ في الإجابة نقول نعم إن شيئاً من هذا ممكن والأدلة ما يلي :

١– **يرى برجسون** في كتاب الطاقة الروحية ص٤٨ أن الروح تساهم في تحصيل المعرفة ذلك لأنها **مستودع الكثير من الذكريات** خصوصاً الذكريات ذات الطبيعة الروحية وقد خلص إلى ذلك بعد عدة تساؤلات قال فيها : الأصوات ذات

---

[1] هناك من قال بأن نمو الذكاء يستمر حتى نهاية العقد الثالث من الحياة .

طبيعة مادية وتحفظ في أشرطة لها نفس الطبيعة والصور كذلك وتحفظ في أفــلام لهـا نفس الطبيعة أيضاً فأين تحفـظ الذكريـات وهـي ذات طبيعـة روحيـة معنويـة ؟ ثـم أجاب نفسه **فقال لا شك تحفظ الأرواح لأنها من نفس الطبيعة .**

وبدورنا وحول دور الروح في تحصيل المعرفة فإننا نرى / وهذا متفق عليـه / أن الروح موجودة في كل خلية من خلايا الجسد ولولا ذلك لما سميت تلك الخلايـا بالخلايا الحية على ذلك فهي موجودة في خلايا العين والعصب البصري الذي ينقـل إحساسـاتها إلى المخ كذلـك في الفص القفــوي مـن المـخ الـذي يتلقـى تلـك الإحساسات البصرية وكذا الحال بالنسبة لبقيـة الحـواس كذلـك فهـي موجـودة في خلايا جهاز التذكر والتخيل والتصور من الدماغ وتلتقط بعضاً مـن معطيـات هـذه الحاسة أو ذلك الجهاز وتحتفظ بها لحين الحاجة الماسة إلى حين تلقيها الإذن من ا لله فتقـذف بهـا إلى سـاحة الشعور وقـد سـلحتها بقـدرات خارقـة للقوانــين الماديـة والوضعية وكيف لا وأن هذه الروح هي من روح ا لله كما تقدم بذلـك يكـون مـا يسمى بالحوادث الخارقة أو ما اتفق على وضعه في شمول الحاسـة السادسـة . وهـذا ليس بغريب فقد أيد كل من برجسون ومولیشوت أهمية الدماغ في إنتاج المعـارف الخارقة المسماة حاسة سادسة حتى أن البعض الآخر قال بالارسال والاستقبال على مستوى الخلية الواحدة :[1]

إن ما يؤكد ما ارتأيناه أن إحساسات واضحة تراود بعض الأفراد رغم تعطل أجهزة الإحساس كأن **يصف الأعمى إحساسات بصرية** . أو أن تكون خواطر من الذاكرة البعيدة وتخيلات وصور يعيشها فرد (وبشكل واضـح) رغـم تعطـل جهـاز التذكر عنده أو جهاز التصور والتخيل **فأين كـانت هـذه** .. وبعـد تعطـل مراكـب السفر ومراكز الانطلاق **كيف وصلت ؟**

---

[1] لمزيد من المعلومات راجع كتابنا الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجية والقرآن .

لا شك أنها كانت في الروح واتخذت من بعض قدراتها الخارقة مطية لها .

٢- يرى الدكتور جيمس في كتيب تحت عنوان وازن الأرواح والذي ترجمه الدكتور عبد الحليم محمود يرى أن للروح ثلاث وظائف :

آ - **إدراك ما تحس به** : أي معرفته وفهمه لأن الإدراك هو معرفة .

ب - **التعبير عن مدركاتها وأفكارها .**

ج - **قد تكون مصدر معلومات جديدة** إذ قد تعود للالتقاء بالمصدر الأساس للطاقة الروحية **وتجني منه معرفة .**

٣- يرى علماء النفس والفلاسفة القدماء منهم والحديثون الذين بحثوا في موضوع الروح أن لهذه الروح القدرة على الإنطلاق خارج الجسد والامتداد إلى حدود المطلق والالتقاء بالمصدر الأساس للطاقة الروحية الذي شعت عنه وجني ما شاء الله من المعلومات والمعارف ذات الطبيعة الخارقة وإمداد العقل في الجسم الذي عمرته ولكن هذا لن يكون لكل الأرواح بل فقط لمن شاء الله وأراد له ذلك .

٤- يرى ابن سينا أن المعرفة تكون بطريقتين :

آ - طريق الحواس وهذا طريق مادي بحت

ب - **طريق الفيض العلوي الإلهي وهذا طريق روحاني .**

٥- أثبتت دراسة أمريكية لعالم النفس مكدوجل الذي عمل مع صديقه راين أستاذ النبات وعضو جمعية الأبحاث الروحية البريطانية في معامل باراسيكولوجية في ولاية كارولينا في أمريكا .. وأثبتت إمكانية انتقال الفكر والأفكار وحصول الإدراك **والمعرفة بطريق غير مادي وعن طريق الروح .**

٦- يرى ابن باجة وجود معرفة ربانية يقينية تحصل عن طريق الإلهام والوحي ويقول رغم أني لا أنكر دور الحواس كطريق أساسي لحصول المعرفة إلا أنني أرى أن هذه الصور الروحانية تكون مرسومة بالخيال وتدرك بالحس المشترك .

٧- يرى ابن رشد أن المعرفة نوعان **جزئية شخصية** كأن يحصل إدراك لمفاهيم من خلال **اتصال الروح بخالقها** وكيف لا وهي من روح الله . **وكلية عامة** تكون من خلال إدراك المعاني العامة ولها طريق آخر .

٨- يرى الفخر الرازي في كتاب النفس والروح أن الروح تتوسط بين عالمين عالم الإله وعالم البدن **فتنهل من معين نور الله لتضيء ظلمة البدن** الذي تحل فيه ولكن ذلك لا يكون لكل الناس بل للخاصة منهم .

مما سبق نخلص للقول : إن الروح تساهم في تحصيل المعرفة . بل إن إحدى الافتراضات في تفسير معارف ما اتفق على تسميته **بالحاسة السادسة** أن الروح بقدراتها اللامحدودة هي التي تحقق ذلك وهذا ما كنا قد أشرنا إليه في كتابنا الأول (الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجية والقرآن) .

ثانياً : هل كل الأرواح تجني معرفة .. لم لا ؟؟!

في الإجابة عن هذا السؤال نقول **لا ليس بإمكان كل الأرواح أن تجني معرفة ذلك** لأنه ليس بمقدرة من تغلب عنده الجانب الجسدي المادي على الجانب الروحي أن يحصِّل معرفة عن طريق الروح إذ أن الله قد ختم هذا السبيل وأغلقه عن هؤلاء فقال : ﴿ ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والإنس لهم **قلوب ولكن لا يفقهون بها** ولهم أعين ولكن لا يبصرون بها ولهم آذان ولكن لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾[1] وفي مثل هؤلاء قال تعالى أيضاً : ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن **تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾[2] .

نعم فمن الطبيعي **أن يحرم من** كان كالبهائم والأنعام من الاستفادة من هذه النافذة الروحية الربانية وبالتالي فليس بإمكان كل الأرواح أن تجني معرفة والأدلة على ذلك :

---

[1] سورة الأعراف : الآية ١٥٩ .

[2] سورة الحج : الآية ٤٦ .

١- يرى ابن رشد أن الطريق النظري العقلي لبلوغ المعرفة يحصل بطريق رباني **ولكن للخاصة من الناس فقط** وليس لكل الناس . ومما رآه أيضاً أن المعرفة ممكنة بطريقين .

آ - طريق صاعد من الحواس إلى العقل .

ب - طريق هابط **من الإله مباشرة وعن طريق الوحي والإلهام وهذا غير ميسر إلا لبعض السعداء من الناس .**

٢- يرى ابن سينا أن طريق الفيض الإلهي في اكتساب المعرفة **لا يحصل إلا لبعض الناس .**

٣- أرواح الملائكة على مراتب وأرواح الجن على مراتب وكذلك / **وبحسب ما نعتقد / فإن أرواح العباد على مراتب** . وبما أن كل روح سواء من أرواح الملائكة أو من أرواح الجن تحصل على معرفة وبحسب مرتبتها فمن الطبيعي القول بأن أرواح البشر تحصل على معارف وبحسب مرتبتها ولاسيّما أن الروح الإنسانية من روح الله ولكن كيف يكون ذلك ؟

نرى أن ذلك في لحظات استجمام الروح في عالم الفيض الإلهي أثناء النوم أو أثناء جلسات الصفاء الروحي الذي قد يكون لبعض الناس .

من هنا نجد أن **الخليفة عمر بن الخطاب** رضي الله عنه تعجب يوماً في حضور أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فسأله علي رضي الله عنه مم عجبت يا خليفة رسول الله فقال أمير المؤمنين **أرى البعض يرى في منامه رؤيا لم تخطر على باله يوماً ويكون ما رآه حقاً** . ويرى آخر فلا يكون صحّة لما رآه فقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه (الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن **في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**)[1] .

---

[1] سورة الزمر : الآية ٤٢ .

على ذلك يا خليفة رسول الله يعرج بالروح حين النوم فإن كانت طاهرة دخلت السماء ثم عادت إلى الأرض وقد تلقتها الشياطين في الهواء فتكذبها ببعض ما تقول وتعلمها أقوالاً أخرى فما كان من السماء كان صادقاً وما كان من الشياطين كان كاذباً لهذا قال الفاروق عمر بن الخطاب ما كان من الرؤيا في ملكوت الله كان صادقاً .

أما أفلاطون فيرى أن الروح تجني معرفة بعد الموت لهذا يقول إن تفكير الفيلسوف الشديد بالموت يعود إلى تعطشه الشديد للمعرفة .

الروح والفلاسفة

سبق لنا القول بأن الروح في الإنسان سّر إلهي يصعب فتح أقفاله ولغز يستحيل تفكيكه أو معرفة كنهه ولكن هذا **لا يحرم التفكير في أمره أو البحث فيه** بل على العكس إن هذا البحث من المهام الأساسية لكل إنسان وكيف لا وأنها من عالم الأمر والملكوت التي خلقها الله تعالى بالفعل كُنْ وحضَّ على النظر والتأمل فيها حيث هي من أهم موجودات هذا العالم فقال : ﴿ **أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء** ﴾[1] ولم يكتف القرآن بموقف التحريض على البحث بل تحدى البشرية في معرفة هذا السرِّ فقال :﴿ **أفرأيتم ما تمنون .. أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون** ﴾[2] .

هنا رب سائل يقول ماذا كانت النتائج ؟ لقد كانت **النتائج في شقين ذلك لأن** من بحث فيها كان موزعاً بين شقين : مؤمن بالله الخالق المبدع لهذا السرِّ وكافر ضالٌّ مضل .

فالضالون المضلون لم يصلوا إلى شيء وبقوا حائرين قلقين متخبطين بين الضلالة والهدى وهذه نتائج أخبر عنها الإله عندما قال : ﴿ ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت **متخذ المضلين عضداً** ﴾[3] .

أما الفريق الثاني والذي يتمثل بالمعترفين بالله المؤمنين بعظمته وجبروته فهؤلاء بحثوا وهداهم إلى بعض النتائج التي بقيت ضمن حدود الآية ﴿ **وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً** ﴾ فما الذي كان ؟

---

[1] سورة الأعراف : الآية ١٨٥ .

[2] سورة الواقعة : الآية ٥٨-٥٩ .

[3] سورة الكهف : الآية ٥١ سبق ذكرها .

١- **بحث الطبيب الإنكليزي جيمس** في موضوع الروح ثم خرج بالنتيجة ليقول : الروح هي ذلك السيال الحيوي النوراني البراق الذي يبلغ بعضاً من الميلغرام ويغادر الجسم على ثلاث دفعات إلا أن طبيبنا جيمس نفسه **عاد ليتراجع** عن هذا التعريف فيقول : إنني لا أبحث عن الروح بل عن نوع من الطاقة إذا اتصل بالمادة أضفى عليها الحياة وطبيعي أنه كان يقصد بالمادة الجسم الإنساني لأن حقل تجاربه كان أجساد المحتضرين من البشر الذين هم في آخر لحظات حياتهم كما سبق وذكرنا ذلك .

٢- **يرى الفيلسوف أنجلز** أن العلم لا يملك حتى الآن أن يقول شيئاً عن الروح . هنا فإننا **نعتقد أن أنجلز كان يقصد العلم الوضعي غير الإلهي** (الذي بلغه هو) ذلك لأن الروح من أمر الله .

٣- **يرى الفيلسوف اليوناني سقراط** أن الروح هي جسم حل في الهيكل حلول الدهن في السمسم والماء في الورد ولم يتكلم عن ماهية أو شكل أو طبيعة هذا الجسم .

٤- **يرى الفيلسوف اليوناني أفلاطون** أن الروح غير قابلة للفناء والزوال ومحصورة في سجن ورغم أن هذا الفيلسوف قد تكلم عن اختلاف طبيعة الروح عن طبيعة البدن وتكلم عن خلودها إلا أنه لم يأت إلا بالقليل فيما يخصها .

٥- **يرى الفيلسوف المسلم الشيخ الرئيس ابن سينا** أنه لا فرق بين النفس والروح وأن النفس هي جوهرة روحانية تشبه نور البرق المتألق بالحمى الذي يضفي الحياة على الكون فوصف وجودها في البدن ومغادرتها له بالقول :

فكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

إذاً لم يكن يفرّق بين النفس والروح فلقد خاطب النفس وقصد منها الروح بقوله في قصيدة النفس :

حتى إذا قرب المسير إلى الحمى ودنا الرحيل إلى الفضاء الأوسع

٦- **يرى حجة الإسلام الغزالي** أن الروح تتوسط بين عالمين عالم الإله وعالم البدن . إذاً آراء الفلاسفة ممثلين بهؤلاء لم تصل إلى كثير فماذا قالوا ؟؟ بلا أدنى شك قالوا بشكل **مباشر أو غير مباشر إن الروح من أمر الله .**

الروح والعلم الحديث

لم ينحصر البحث في الروح في حدود الفلاسفة الذين يعتقدون بأن وجود الروح في الإنسان بديهية لا تحتاج إلى برهان لإثباتها ومسلمة صادقة بذاتها ولا ضرورة للتجريب بقصد إثباتها ولا في علماء الدين الذين يرى فريق منهم أن البحث في هذه الحقيقة محرّم وأي عمل من هذا القبيل تجاوز وتطاول بل كفر لأن الروح من أمر الله الذي احتفظ لذاته بكل علم حولها أقول لم ينحصر البحث في الروح ضمن إطار الفلاسفة أو علماء الدين ، علماً بأن طريق هؤلاء قد يكون هو الأصح والأسلم ، بل امتد ليغدو **ميداناً للتجريب / الذي يميز المنهج العلمي الحديث من بين مناهج البحث العلمي /** يحتدم فيه الصراع ويحمى فيه الوطيس بين الباحثين الذي يحاولون وبنهج علمي مادي ميداني معرفة حقيقية الروح ما هي .. في الجسد من أين أتت .. هل لتفاعل المواد المكونة الحقيقية العضوية الحية أثر في خلقها وإيجادها .. لقد **كثرت المحاولات لإيجاد البيئة المادية المساعدة على تخلقها وإنباتها ونموها فهل كان ذلك وإلام وصلت وانتهت هذه المحاولات ؟**

١- أجرى كل من **باستور وليبج وهما من عظماء الكيميائيين** في العالم تجارب لخلق خلية حيوانية ملقحة تنمو أو بيضة جرثومية مخصبة قابلة للانقسام فماذا كانت النتائج ؟ لقد **أقرا في النهاية بأنه لا يمكن إيجاد ذلك ..**

٢- **ظل البروفسور أو بارين** مدة ٣٧ سنة يبحث في أصل الحياة وما إذا كان بالإمكان إيجاد خلية أولى ملقحة قابلة للانقسام والتكاثر عن طريق التفاعلات الكيماوية فماذا كانت النتيجة ؟؟

لقد اعترف **البروفسور بأن الحياة لا يمكن أن تبدأ من المادة** فقط وأن التفاعل الكيماوي لا يمكن أن يؤدي إلى توالد ذاتي **وأن العلم لا يمكن إلا أن يخوض فيما وراء المادة .**

٣- تأسست في انكلترا جميعة المباحث الروحية عام ١٨٨٢ لتبحث في هذا الميدان فقال عنها العلامة الأستاذ هـ.و. ميرس مدرس مادة البسكيولوجية في جامعة كمبردج في كتاب الشخصية الإنسانية : (بعد أن تسلل العقل المادي الذي يرفض وجود الروح اجتمع ثلة من العلماء في كمبردج وقالوا إن مسألة المباحث الروحية يجب أن تستحق الالتفات أكثر وأنها موجودة ويجب البحث عنها بالتجربة والمشاهدة لا بالكتب القديمة والتأمل بما وراء عالم الطبيعة فما الذي كان ؟

رغم كثرة أبحاث هذه الجمعية والتي ملأت ٥٤ مجلداً ورغم أنها أدت إلى تلاقي العالم الروحي مع العالم المادي في مسألة تكوين حقيقة المخلوق الحي[1] .

أقول رغم كل هذا وبحسب ما جاء في كتاب **الاعتقاد** لأستاذ علم النفس في جامعة هارفارد وفي الصفحة ٣١٣ وبحسب تقرير اللجنة التي تشكلت لتقوّم أبحاث هذه الجمعية والتي تألفت من ٣٢ عضواً فإن أبحاث هذه الجمعية تبقى **ضرباً من الوهم والتخيل** خصوصاً وأن ٤/° من أعضاء هذه الجمعية كانوا غير مقتنعين بتلك الأبحاث وأن نتائج هذه الجمعية لم تكن حاسمة فيما شكلت من أجله .

٤- عقدت في باريس خمسة مؤتمرات عالمية حول المباحث الروحية شارك فيها باحثون من شتى بقاع الأرض تبين من نتائجها أن حدود العلم ما تزال بعيدة في هذا المضمار وأنه من الحماقة والجهل / التكذيب بما لم نحط بعلمه من المجهولات .

---

[1] كتاب الاعتقاد لعالم النفس الأمريكي وأستاذ علم النفس في جامعة هارفارد الذي كان من بين تلاميذه وليم مكدوجل .

٥- تبين من دراسة **أمريكية لعالم النفس مكدوجل** اشترك فيها مع ضديقة راين أستاذ علم النفس في جمعية الأبحاث الروحية البريطانية - **أقول** تبين من هذه الدراسة القول **بوجود طاقة نفسية محركة وأن وجود هذه القوة لدليل على وجود جانب روحي في الجسد لا يخضع لقوانين الطبيعة المعروفة في علم الكيمياء والفيزياء** .

٦- سأل الدكتور هـ. جيمس صديقه أندريه مورا عضو المجمع اللغوي الفرنسي . **هل تعتقد بخلود الروح** ؟ أجاب مورا مندهشاً فقال : **اعتقد أن العالم لا يخلو من ظل عناية إلهية** ... وتابع القول رغم أنني لم ألاحظ إلى الآن أية علاقة محسوسة تدل على خلود الروح بعد الموت **إلا أنه من العبث والتهور أن يعتقد الإنسان أن الروح تنتهي بانتهاء الجسم الذي كان فيه** . وهذه حقيقة اثبتها القرآن قبل أربعة عشر قرناً عندما أكد بأن الروح تغادر الجسد لحظة انتهاء أجلها في هذه الدنيا لتعود إليه وقت الحساب والمشي على الصراط والنظر إلى وجه الله العظيم والورود على جهنم ومن ثم الخلود الأبدي في الجنة أو النار . لاحظ معي أخي القارئ :

آ - يقول تعالى لملائكته : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم **وقفوهم إنهم مسؤولون** ﴾[1] .

ب - وفي تصوير موقف الإنسان عند الميزان يقول تعالى : ﴿ ونضع الموازين القسط ليوم القيامة **فلا تظلم نفس شيئاً** ﴾[2] .

ج - وفي النظر لوجه الله الكريم يقول تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة** ﴾[3] .

---

(1) سورة الصافات : الآية ٢٢-٢٤ .

(2) سورة الأنبياء : الآية ٤٧ .

(3) سورة القيامة : الآية ٢٢-٢٣ .

د – وفي الورود على جهنم قال تعالى : ﴿ **وإنْ منكم إلا واردها** كان على ربك حتماً مقضياً ﴾[1] فكل هذه أدلة تشير إلى عودة الروح إلى الجسد بعد الموت وهناك أدلة تشير إلى خلود الروح سواء في الجنة أو في النار ومن هذه الأدلة قوله تعالى : ﴿ ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى جنات عدن تجري من تحتها الأنهار **خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى** ﴾[2] .

ومن الأدلة أيضاً قول نبي الهدى محمد ﷺ (من تحسى سماً فقتل نفسه فسمه في يدة **يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً**) .

٧– جرت الآن محاولات من أجل **تخليق نواة جنين** إنساني عن طريق تلقيح بويضة أنثوية بنطفة ذكرية في أنابيب الاختبار بعد توفير كل طقوس وأجواء بيئة الرحم عند الأنثى فماذا كانت النتيجة وماذا يمكن أن تكون ؟؟ لقد كانت النتيجة **قطعة لحم متميعة هلامية ميتة مالم تنقل إلى رحم الأم** وهذا ما يدل وبشكل واضح على إعجاز القرآن الذي ذكر بأن الخلق الحق والمتنامي إنما يكون في بطن الأم ﴿ **يخلقكم في بطون أمهاتكم** خلقاً بعد خلق في ظلمات ثلاث ﴾[3] هنا قد يخطر ببال القارئ أن يقول ماذا سيقول المؤلف لو تطور العلم لدرجة تمكن معها من إيجاد جنين قابل للنمو والاستمرار خارج بيئة الرحم ؟! في الجواب نقول حتى الآن لم يكن ذلك بل حتى ولو كان **فإن ذلك لا يعارض مع القرآن ذلك لأن البويضة أخذت من بطن الأم وصنعت هناك والنطفة أخذت من بطن الأب وصنعت هناك. من ناحية ثانية فإن بيئة الأنابيب جاءت منقولة ومطابقة تماماً لبيئة رحم الأم وأن المعجزة الكبرى تكمن في خلق هذه البيئة** عند كل أنثى متعلمة كانت أو جاهلة ، فقيرة أو غنية ، ودون تدخل معطيات العلم الحديث بل دون أية تكلفة

---

(1) سورة مريم : الآية ٧١ .

(2) سورة طه : الآية ٧٦ .

(3) سورة الزمر : الآية ٦ .

أو استهلاك جهد من ناحية ثالثة فإن ما قد يكون ليس بمدهش فلقد تحدث القرآن وتحدثت كتب السيرة عن خلق سيدنا آدم وأمنا حواء دون رحم ودون أنبوب اختبار ثم خلقت البشرية جمعاء من نسلهما كما قال تعالى : ﴿ وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ﴾[1] .

أبعد هذا هل يبقى اعتراض ؟! الجواب لا وإن بقي نذكره بقوله تعالى : ﴿ وما قدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز ﴾[2] .

يبقى السؤال ، ما هي النتائج والحقائق التي توصلت إليها هذه الدراسات ؟ في الإجابةنقول نعود لتأكيد هذه النتائج وإن كنا قد مررنا عليها ومن أهمها .

١- استحالة إيجاد الحياة في أي مخلوق بالطريق المادي إذا لم يُحَط ذلك بظل عناية إلهية ولو كان غير ذلك لاستطاع العلم أن يعيد الحياة لمن يفتقدها وهذا مستحيل رغم توفر كل أسباب الحياة المادية لمخلوق كان قبل قليل يملك كل وسائل الحياة الحرة .

٢- التقت سائر الأبحاث حول حقيقة لا يمكن نكرانها هي وجود عالم ما وراء المادة وهو عالم الإله والروح والملائكة ويجب التأمل فيه إذا ما أردنا البحث في ذلك السّر (الروح) وهذه حقيقة أكدها القرآن ودعا للتفكير فيها فقال ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾[3] .

٣- أكدت تلك الأبحاث أن هناك وفي عالم الروح الكثير الكثير مما هو مجهول وغير معروف ولا يخضع للتجربة المادية المشاهدة وبالتالي فإن الطريق المادي في البحث في هذا العالم منهج غير كافٍ لإعطاء النتائج الصحيحة وأن العلم ما

---

[1] سورة النساء : الآية ١ .

[2] سورة الحج : الآية ٧٤ .

[3] سورة الطور : الآية ٣٥ .

يزال مسمراً أو مشلول الحركة (رغم وجود الروح فيه) أمام بعض الحقائق الملموسة وبعض المجهولات المميزة والتي من الخطأ التكذيب بها رغم أنهـا لا تخضع لقوانـين العلم الطبيعي .

٤- أكدت تلك الأبحاث أن الإنسان ليس روحاً فقـط ولا مـادة فقـط وإنمـا هو **حصيلة لالتقاء الروح والمادة.**

٥- أكدت هذه الأبحـاث كذلـك **خلـود الـروح بعد المـوت وأن العـالم لا يمكن أن يحيا إلا في ظل عناية إلهية** وأن هذه حقيقة يجب الانطـلاق منهـا والإقـرار بها والإذعان لها وهذا ما دعا إليه الإله حين قـال : ﴿ **وأنـا ربكـم فـاعبدون** ﴾[1] وحين قال كذلك ﴿ لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾[2] أو حين قـال في آيـة ثالثـة ﴿ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ﴾[3] إذاً طريق العبـادة هـو الطريـق الأقـرب والأسـلم وأن هذا طريق مادي روحي كما هو معروف .

٦- تبين من الدراسات أن البيئة الصحيحة والمناسـبة لخلـق الجنـين هـي بيئـة الرحم فهي تناسب روح التقنية والتكنولوجية حيث قلة التكـاليف وقلـة الجهـود إذ أن **الرحم هو الطريق الأقصر والأسرع والأقـل كلفـة في تحقيـق ظـاهرة الـولادة والتكاثر الكافي** وهذا ما أكده القرآن حـين قـال : ﴿ **وا لله أخرجكـم مـن بطـون أمهاتكم** لا تعلمون شيئاً ﴾[4] وقد تأيد ذلك عندما **أثبت العلم أن الطريق الأسلم لتخليق الجنين هو أن تنقل الخلية الجرثومية الملقحة بعد التلقيح وفي اليـوم الرابـع إلى رحم الأم .**

---

[1] سورة الأنبياء : الآية ٩٢ .

[2] سورة الأنبياء : الآية ٢٥ .

[3] سورة يس : الآية ٦١ .

[4] سورة النحل : الآية ٧٨ .

٧- لقد أوضحت الدراسات السابقة ذات النزوع المادي أن الإنسان يتـألف من **المكونات التالية :**

١- **دهن يكفي** لتصنيع (٧) قطع من الصابون أو (٩) آلاف قلم رصاص .

٢-**كربون** يكفي لتصنيع (٧) أقلام من الرصاص .

٣- **ملح المغنيزيوم** يصلح جرعة واحدة لأحد المسهلات .

٤- **قدراً من الحديد** يكفي لصنع مسمار متوسط الحجم .

٥- **قدراً من الفوسفور** يكفي لصنع (٥٠٠٠) رأس عود ثقاب .

٦- **قدراً من الجير** يكفي لتبيض حائط صغير نسبياً .

٧- **قدراً من الكبريت** يساوي (١٠) غ .

٨- **قدراً من الماء** يصلح لملء برميل بسعة (١٠) جالون .

إذاً هذه المكونات هي التي يتألف منها الإنسان وكلها مادية كما لوحظت **ويبقى السؤال كيف تخلق الحياة والحركة ؟!** في الجواب نذكر قوله تعالى : **﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾**[١] .

من ناحية ثانية أثبتت هذه الدراسات أن هذه المكونات وغيرها هي **ما يتألف منه التراب وهذه** الحقيقة هي ما أكدها القرآن حين قال **﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى ﴾**[٢] .

٨- لقد كان من أهم النتائج أن عادت تلك الدراسات لتكرر وبشكل واضح ومباشر أو غير مباشر الحقيقة القرآنية **﴿ قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم** من العلم إلا قليلاً ﴾ .

---

[١] سورة البقرة : الآية ٢٥٥ .

[٢] سورة طه : الآية ٥٥ .

قل الروح من أمر ربي

عزيزي القارئ يقول الله تعالى في كتابه المبين في سورة الإسراء والآية ٨٥ منها : ﴿ **يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي** وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

لمثل هذه الحقيقة التي أخبر عنها القرآن قبل (١٤) **قرناً وصل الفلاسفة والعلماء في القرن العشرين** من شتى بقاع الأرض على اختلاف مذاهبهم .

لاحظ معي : حاول **البعض** - وكما تقدم - إيجاد الحياة فقاموا بإجراء تركيبات ذات طبيعة كيماوية عميقة التفاعل ولكن لم يصلوا إلى حياة **فرأوا أن الحياة شيء من طبيعة أخرى .**

أراد البعض **الآخر تعريف الحياة فقالوا إنها حركة + حرارة** ولما أوجدوا ذلك لم يصلوا إلى حياة **ورأوا أن الحياة شيء آخر** وأن تفاعل الحركة مع الحرارة الناشئة عنها لا يؤدي إلى حياة في آية عضوية وأن في **الأمر سراً** أو لغزاً والحياة شيء من نوع آخر .

حاول البعض **الثالث** تسليط الأشعة فوق البنفسجية على الجسد أثناء وبعد فقد الحياة منه ووزنوا هذا الجسد فخرجوا للقول : إن الحياة سائل حيوي له وزن وشكل ولون ولكن لم تكتمل دائرة الاطمئنان عندهم وفوجئوا بالمسألتين التاليتين :

آ - **وجدوا أن هذا السائل مزيج من عناصر مختلفة ولم يستطيعوا تحديد ماله علاقة بالحياة ويرجع إلى الروح من هذه العناصر وما ليس له علاقة بالروح ويرجع إلى المادة**[1] .

---

[1] قصة وازن الأرواح وجمعية المباحث الروحية في انكلترا وقد سبقت الإشارة إليهما .

ب - لم يتمكنوا من معرفة أي شيء عن ماهية الارتباط بين عناصر هذا المزيج رغم كثرة محاولاتهم ولم يستطيعوا إحداث حياة مهما غيروا في أشكال هذا الارتباط .

حاول فريق رابع وكان من أهم اعضائه **البارون دي ريشتباخ** الذي يعتبر من أهم مشاهير الكيميائيين والذي اخترع الكريوزوت والبرافيني وغير ذلك من العناصر الكيماوية قبل أن يتحول للعمل باشعاعات الأجسام الحية والذي **سمى كل سيال حيوي يضيء بالأوْد**(٢) . أقول حاول هذا الفريق معرفة ماهية الروح فوصل للقول إن سيالاً حيوياً له وزن يغادر الجسم عند الموت ولمثل هذه النتيجة وصل الطبيب جيمس في قصة وازن الأرواح والتي سبق أن تعرضنا لها .

حاول فريق **خامس** معرفة طبيعة الروح فقال : رغم أن طبيعة الروح تختلف بل تناقض طبيعة المادة فإن تفاعلاً يحصل بينهما ويؤدي إلى حياة .. بل إلى ديمومة حياة .. إلى تناسل وتكاثر ولكنهم لم **يتمكنوا من تحديد السرِّ في حصول هذه العلاقة التي تؤدي إلى حياة . لقد وقفوا عاجزين أمام القوة التي تحول المادة الجامدة الميتة التي تناولها الإنسان إلى غذاء ويكون سبباً في استمرار الحياة .**

فمما سبق نخلص للقول بأن الروح الإنسانية مخلوق خلقه ا لله من الجوهر النوراني الإلهي وأنه لا يعلم كنهها أو حقيقة أمرها إلا ا لله الذي قال عنها : ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾ وإلى الآن لا يوجد من يدعي نسب هذه الروح إلى نفسه وفي هذا يقول الشيخ علي عقل إمام مسجد المواساة في الاسكندرية

أرواحنا متناسقا ت وهي للرحمن نسب

---

(٢) الأود : كلمة سنسكريتية تعني الوميض الذي يخترق كل شيء وهو ليس بدخان ولا بخار بل هو اشبه ما يكون بلهب لطيف يمنته إشعاع مشرب بالزرقه ويسرته إشعاع مشرب بالحمرة لا يراه إلا البعض .

هل تموت الروح بموت البدن

أو ترحل إلى عالم آخر .. وإلى أين ؟؟

عزيزي القارئ إن مسألة موت الروح مع موت البدن أو رحيلها إلى عالم آخر لتخلد فيه مسألة جدّ شاقة أتعبت الفلاسفة وأصحاب العقول **لسببين اثنين هما :**

آ - **عدم قبول هذا البحث للتجريب والمشاهدة** والاكتفاء بما روي ونقل من قبل الفلاسفة ورجال الدين .

ب - **عدم وضوح طبيعة الروح** وبالتالي عدم إمكانية الحكم على تأثير الموت في هذه الطبيعة .

من هنا انقسم الفلاسفة وعلماء النفس حول هذه المسألة **إلى قسمين فمنهم من قال تموت ومنهم من قال تذوق من الموت ولا تموت** فما هي حجج من قالوا تموت وما هي حجج من قالوا لا تموت وما هو رأي المؤلف ؟؟.

أولاً : حجج من قالوا تموت الروح بموت البدن :

هناك من قال : تموت الروح بموت البدن وأنه لا يستعصي على مخالب هذا المارد أيٌّ من مكونات الإنسان أو أسس الحياة فيه ويدعم **هؤلاء رأيهم بالحجج التالية :**

١- **الموت يعمّ الجسد والروح معاً** وذلك طبيعي إذ أنه لا جسد بلا روح ولا روح بلا جسد من ناحية ثانية فإن النفس هي من أولى معطيات الروح للجسد

وبما أن هذه تموت كما قال تعالى[1] إذاً فالروح تموت معها ذلك لأن الروح وجدت من أجلها ومتى غاب المبرر في وجودها فطبيعي أن تغيب معه .

٢- **الروح مخلوق كائن** / من خلال الشكل والمظهر الإنساني / على وجه الأرض وأن هذا المخلوق سيفنى كما أخبر تعالى حين قال : ﴿ كل من عليها فان ﴾[2] .

من ناحية ثانية الروح شيء / وكما يقولون / خلقه الله وأنه سيهلك كما أخبر تعالى حين قال : ﴿ **كل شيء هالك إلا** وجهه ﴾[3] .

٣- يتذرع هؤلاء لتأييد زعمهم بقوله تعالى : ﴿ **ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** فهل إلى خروج من سبيل ﴾[4] ويقول هؤلاء في تفسير هذه الآية أن النفس والجسد يموتان مع الميتة الأولى وأن **الروح تموت مع الميتة الثانية** فأي أمل بالبقاء بعد ذلك ؟؟

٤- يرى أبيقور أن النفس ليست سوى ذرات نارية مستديرة خاصة توجد في الصدر **وتتألف من نفس مادة الجسم** وبالتالي فإن النفس **تموت مع موت الجسد وتنحل مع تحلل ذراته** وأن هذا طبيعي إذ لا إحساس بعد الموت ويدعم أبيقور في قوله هذا تلميذه لوكر يشيسوس قاروس الذي عاش في العام ٩٦-٥٥ ق.م .

ثانياً : حجج من قالوا لا تموت الروح بموت البدن وإنما تخلد في عالم آخر:

مقابل الفريق الأول القائل بموت الروح مع موت البدن هناك فريق ثان يقول **بعدم قابلية الروح للموت بل الموت يشمل النفس والجسد من ضمن مكوّنات**

---

[1] ما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً موجلاً - قرآن كريم سورة آل عمران الآية ١٤٠ .

[2] سورة الرحمن : الآية ٢٦ .

[3] سورة القصص : الآية ٨٨ .

[4] سورة غافر : الآية ١١ .

الإنسان .. النفس وفق مفهوم أرسطو لها والقائل : إن النفس كمال أولي لجسم عضوي يحيا ، ويستشهد أعضاء هذا الفريق على رأيهم هذا بالحجج التالية :

١- **إن الروح لا تموت بل تخلد لأنها من روح الله والله حي لا يموت .**

٢- إن الروح لا تموت بموت البدن **بل تحيا حياة كاملة بكل أشكال الحياة الانفعالية** (فرح ، حزن) والمادية الحياتية (رزق وكسب) وهذه الحقيقة التي تمثل الأساس لقيام حياة كان القرآن قد أكدها في أكثر من موقع حين قال : ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل **أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين** لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم **ولا هم يحزنون** ﴾[1] .

٣- يقول هؤلاء إن الروح لا تموت بموت البدن الذي كان يحملها **وإنما تعود لتحيا حياة أخرى** في عالم آخر هو عالم البرزخ فتنعم أو تشقى من خلال ما يعرض عليها أو تتعرض له مصداق ذلك قوله تعالى : ﴿ **النار يعرضون عليها غدواً وعشياً** ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب ﴾[2] وكذلك في بقية عوالم الآخرة بعد عالم البرزخ .

٤- يقول **أفلاطون بخلود النفس**[3] وعدم موتها بموت الجسد بل يرى أن الموت هو انعتاق النفس من سجن الجسد ويرى أن المثل العليا كالخير والحق والواجب كلها خالدة وبالتالي فإن النفس التي هي المصدر الرئيس لهذه المثل هي خالدة ويؤكد رأيه بالأدلة التالية :

آ - يرى أن **النفس سابقة لوجود** الجسد وبالتالي **لها حياتها المستقلة** عنه وليس من الضروري أن تموت بموته **لأنها ستعود** / بعد أن أدّت خدماتها في هذا الجسد / إلى ملكوت الله .. إلى حيث كانت من قبل حلولها في الجسد .

---

(١) سورة آل عمران : الآية ١٦٩-١٧٠ .

(٢) سورة غافر : الآية ٤٦ .

(٣) يطلق أفلاطون مصطلح النفس على كل من النفس والروح .

ب - إن النفس من **جوهر الروح الإلهية ولا تفنى بفناء الجسد** رغم أنها عايشته وتفاعلت معه .

ج - **الروح هي حياة الجسد على ما يرى ولا يمكن أن تتحول إلى نقيضها** أي إلى موت . فكما أن النار يستحيل أن تتحول إلى ثلج كذلك الروح يستحيل أن تتحول إلى موت .

٥- يقول جيور دانوبرونو إن الموت **ليس ممكناً في الكون اللامتناهي وبالتالي لا بد من خلود الروح** ويشاطره الرأي بسكال عندما يقول أفضل ما في الحياة الدنيا هو الأمل في حياة أخرى في عالم آخر .

٦- يقول سيلر : **إن البقاء بعد الموت معقول ومحتمل .**

٧- يرى فيثاغورث الفيلسوف اليوناني أن الجسم هو سجن للنفس وأن الموت يهشم زجاج هذا السجن ويحطم قضبانه **فتفر النفس من هذا السجن إلى ملكوت ربها كما يفر الطير من القفص** . وطبيعي القول إن فيثاغورث يوحد بين النفس والروح .

٨- يرى الفيلسوف والعالم نيان أن فكرة خلود النفس قائمة في كل الديانات حتى في الديانة اليهودية والديانة المسيحية ويقول : تشير الآية الثانية من الاصحاح ١٢/ لسفر دانيال إلى القول : (وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي) .

وتشير الآية ١٩/ من الاصحاح ٢٦/ من سفر أشعيا إلى القول : (**تحيا أمواتك** تقوم الجثث) .

هنا وبعد هذا العرض فإن ما يجدر ذكره أن الفلاسفة والعلماء ، الذين استشهدنا بأقوالهم ، ذكروا كلمة نفس وقصدوا منها روح وإن لم يوضحوا أقوالهم في هذا الموضوع وأن هذا ليس بغريب ولا جديد فحتى القرآن استخدم في بعض المواقف مصطلح النفس وقصد منها روح وهذا ما سنتعرض إليه .

أخيراً يبقى وبعد **أن** تعرضنا لحجج وأقوال من قالوا من قالوا بموت الروح مع موت الجسد وحجج وأقوال من قالوا عنها لا تموت بل ترحل لعالم آخر تخلد فيه إلى أن يشاء الله .. لا بد أن **نبين رأينا في الموضوع** فما هو هذا الرأي ؟ .

طبيعي أن يستقي كل مؤمن رأيه من القرآن لذا سنكرر ما قاله القرآن بشكل مباشر أو غير مباشر حيث تبين أن **الروح لا تموت بموت الجسد بل ترحل إلى عالم آخر** . فمن الصحيح أن الموت ينهي الحياة ولكن أية حياة ؟ إنها حياة البدن في الدنيا أما الروح **فتبدأ لتعيش حياة في الآخرة ومن نوع آخر** ويكون لها ذلك حيث كان مثواها جنّة ونعيماً أو جحيماً وعذاباً . فبشأن الخلود في الجنة والنعيم يقول تعالى : ﴿ **لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى** ووقاهم عذاب السعير ﴾[1] .

وبشأن الخلود في الجحيم يقول نبي الهدى الذي لا ينطق عن الهوى محمد ﷺ في حديث طويل بخصوص عقوبة الانتحار : (من تحسى سماً فقتل نفسه فسمّه في يده **يتحساه في نار جهنم خالداً فيها مخلداً أبداً**) هنا رب **متسائل يقول** : سبق للمؤلف أن ذكر بأن النفس قد ذكرت في القرآن وقصد منها الروح وبموجب هذا القول وعلى ما نرى / والكلام للمتسائل / فإن الروح تموت لأن الله يقول : ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾[2] فهل هذا صحيح أو أن المقصود بالنفس هنا شيء آخر غير الروح ؟ في الجواب نقول : رغم أن المقصود بالنفس الروح في بعض المواقف فإن هذا الرأي غير صحيح وأن **الروح لا تموت والدليل على ذلك** :

آ – إن الروح لا تموت رغم أنها **تذوق من الموت بدليل ما ورد في تتمة** الآية السابقة ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ وإنما توفون أجوركم يوم القيامة فمن

---

[1] سورة الدخان : الآية ٥٦ .

[2] سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

زحزح عن النار **وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾[1] إذاً يفهم من هذه الآيةأن الإنسان يوفى أجره يوم القيامة ثم يفوز وينعم أو يشقى ويعذب فهل أن هذه المنزلة **وهذا الجزاء لميت أو لحي** ؟! من ناحية ثانية فإن بقاء الروح في الحياة الدنيا إنما يكون لأمد محدود بدليل قوله تعالى : / وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور /

ب - يقول تعالى في **نص الآية /ذائقة الموت/ ولم يقل ميتة والذوق هو درجة دنيا من درجات بلوغ المعرفة وهنا يعرف المتذوق معلومات عن أهوال الموت وربما عرف شيئاً عن نهاياته في العالم الآخر**[2] .

إذاً الروح تذوق من الموت ولكن ما تتذوقه لا يكفي لإعدامها بدليل قوله ﷺ : إن الأرواح تبقى على أفنية القبور سبعة أيام من يوم يدفن الميت لا تفارق ذلك .

وهنا قد نجد معترضاً يقول : إن الروح تموت وأن عرض الإنسان للحساب في اليوم الآخر لا يعني أن روحه قد بقيت حية وأنها تعود إليه في يوم العرض والحساب بل إن الله يعيد خلق الإنسان مرة ثانية روحاً وجسداً .

في الرد والجواب نقول للمعترض إن **اعتقادك خاطئ** ويدل على جهل بفهم آيات القرآن وقواعد اللغة العربية والدليل على ذلك .

آ - إن كلمة الخلق تتضمن البراءة والنزاهة والخلو من آثار أية خطيئة سابقة بدليل قول رسول الله محمد ﷺ : « من حجّ فلم يرفث أو يفسق **رجع كيومَ ولدته أمّه** » .

---

[1] سورة آل عمران : الآية ١٨٥ .

[2] سورة لقمان : الآية ٢٨ .

وأن الخلق وفق هـذا المفهوم يتنافى ويتناقض مع إعادة بعث الإنسان للحساب يوم القيامة الذي جاء وهو مثقل بالذنوب والآثام أو الـذي جاء وهو محمل بأثقال ترضي الإله أو تسخطه وسوف يحاسب عليها .

٢- إن ا لله لا يعيد خلق الإنسان يوم القيامة **بل يبعثه من مرقده للحساب** والجزاء بدليل قوله تعالى : ﴿ **ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة** إن ا لله سميع بصير ﴾[١] .

وقوله : ﴿ قالوا يا ويلنا من **بعثنا من مرقدنا** هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون ﴾[٢] .

وقوله : ﴿ أو كالذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي ا لله هذه بعد موتها فأماته ا لله مئة عام **ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً** أو بعض يوم ﴾[٣] .

٣- إن مثل هذا التساؤل كان قد طرحه الدكتور جيمس على صديقه أندريه مورا في قصة وازن الأرواح الصفحة ٩٤ السطر ٩ عندما قال جيمس : صديقي : مورا لأفرض أن جهازاً قد أعاد للقلب إمكانية الإنطلاق والعمل وعادت معه الدورة الدموية والحياة التي افتقدت فهل سيعود هذا الإنسان للحياة بروح جديدة ؟! فقال مورا الجواب عندك يا صديقي يا طبيب جيمس : فقال جيمس **لا لن يعود بحياة جديدة ومستحيل أن يكون ذلك** . وهذا ما كنا قد أشرنا إليه من قبل مرات عدة .

---

[١] تذكر كتب العقائد والسيرة أن الإنسان الذي يعاني من سكرات الموت ويستبشر بمثواه في الدار الآخرة فيضحك ويسعد أو يعبس وجهه وييئس وهنا يقول أحد الصحابة : (يا أولادي إذا وضعت في لحدي فاكشفوا عن وجهي الغطاء فإن رأيتموه قد تغير فاعلموا أني قد هلكت) .

[٢] سورة يس : الآية ٥٢ .

[٣] سورة البقرة : الآية ٢٥٨ .

ثم عاد ليتساءل إن مليارات المليارات من الناس الذين ماتوا من الناس فهل ستعود أرواحهم ؟؟ أجاب نفسه فقال : **إن هذا لا يساوي أمام عظمة الإله ولا نهائيته أي شيء** نعم إنه كان على صواب في جوابه لأن ا لله يقول : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم **وذلك على ا لله يسير** ﴾[1] أخيراً وفي مجال الاعتراض أو الاستفهام جاءني مشككك بذلك فقال : ما تفسيرك للآية ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون ﴾[2] أو الآية التي يقول ا لله فيها - بعد أن يميت كل شيء -﴿ لمن الملك اليوم ﴾[3] وبعد أن لا يوجد من يجيب على هذه الآية فيجيب نفسه ويقول : ﴿ لله الواحد القهار ﴾[4] .

في الجواب نقول : إن الروح سرٌّ إلهي وأمرها من أمر ذلك الإله الذي بيده أمر الهلاك أو البقاء ، الموت أو الحياة على ذلك **قد تبقى ولا تهلك** أو تموت بدليل قوله تعالى وفي سورة الزمر ﴿ ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض **إلا من شاء ا لله** ﴾[5] .

وقد تكون الروح ضمن المخلوقات التي لا تصعق ولم لا يعقل ذلك وأن روح الإنسان من روح ا لله[6] وا لله حي لا يموت وعن مصير الروح وإلى أين ستنقضي فا لله أعلم ولكن يقول الدكتور جيمس في قصة وازن الأرواح المشار إليها سابقاً : **تذهب الروح بعد موت البدن إلى المصدر الأساسي الدائم للنشاط**

---

[1] سورة التغابن : الآية ٧ .

[2] سورة القصص : الآية ٨٨ .

[3] سورة غافر : الاية ١٦ .

[4] سورة غافر : الآية ١٦ .

[5] سورة الزمر : الآية ٦٨ .

[6] ثم سواه ونفخ فيه من روحه (قرآن كريم السجدة : ٩) .

والطاقة وتبقى هناك في ملكوت خالقها منتظرة اللحظة التي ستعود فيها للاجتماع ببعض الجزئيات المادية لتهبها الحياة من جديد وفي مثل ذلك : / وبدورنا نقول / ذكر الإله فقال : ﴿ قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عظيم ﴾[1] ولكن هل هذا القول /للطبيب جيمس/ هو الصحيح ؟ .

لقد احتار كثير من الفلاسفة والشعراء في الإجابة عن هذا السؤال :

فقال أحدهم :

أما الجسوم فللتراب مصيرها   **وعييت بالأرواح أنّى تذهب**

وقال سقراط : إما أن يكون الموت نوماً بلا أحلام **وإما أن يكون هجرة الروح إلى عالم آخر ا لله أدرى به .**

وقال حجة الإسلام الفيلسوف والمربي الكبير حجة الإسلام الغزالي :

أرواحنا ليس يُدرى أين مذهبها   وفي التراب توارى هذه الجثث

كون يرى وفساد جاء يتبعه   **ا لله أعلم ما في خلقه عبث**

أما نحن فنرى أن الروح **ترجع إلى خالقها** الذي يناديها عند الموت بقوله ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة** ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ﴾[2] .

وقال رسول ا لله محمد صلى ا لله عليه وسلم : **إنما نسمة[3] المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه ا لله إلى جسده** يوم القيامة .

---

(1) – سورة يس : الآية ٧٩ .

(2) – سورة الفجر : الآية ٢٧ – ٣٠

(3) – نسمة المؤمن : روحة

وهنا قد يقول قائل كيف تتصل بالبدن الذي هو في القبر والذي أخبر عنه رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم عندما قال : ما من مسلم يمر على قبر أخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه **إلا رد الله إليه روحه حتى يرد عليه السلام** .

أقول إذا ما تساءل متسائل كيف سيكون اتصال الروح بالبدن بعد الموت في الجواب نقول يكون **اتصال إشراق إذ فكما تتصل أشعة الشمس بالأرض فتقيم الحياة الفاعلة المنتجة عليها تتصل أشعة الروح بالجسد وهو في قبره** .

أخيراً ماذا عن مقام أرواح المؤمنين وأرواح الكفار فأين منتهى هذه وأين منتهى تلك وهل كل الأرواح التي هي في صنف واحد تكون في مقر واحد ؟!

في الجواب نقول **إن أرواح المؤمنين عند الله** [1] ولكن في أماكن مختلفة من ملكوته وجناته فعن العالم الجليل عمر الشيراوي ابن جعفر أن مقر الأرواح بعد الموت يكون بشكل **متفاوت فمنها في أعلى عليين** في الملأ الأعلى وهذه أرواح الأنبياء والصالحين ومنها في **حواصل طير خضر** وهذه أرواح الشهداء والتي تسرح في الجنة حيث شاءت وتأوي إلى قناديل تحت العرش وفي مثل هذا القول نسوق الحادثة التالية :

قيل إنّه لما قتل أحد الصحابة واسمه حارثة جاءت أمه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله تعلم منزلة حارثة مني فأين **تستقر روحه** فإن يكن في الجنة أصبر وإن يكن في غير ذلك ماذا أصنع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنها جنان كثيرة **وإنه في الفردوس الأعلى** .

أما أرواح الكفار فتذهب إلى السماء إلى خالقها ولكن **لا تفتح لها الأبواب** وتعاد إلى الأرض بل **إلى سجين** في طبقات الأرض الدنيا فمما يروى أنه عندما قال

---

(1) – يقول الإمام علي عقل :

قلبي يناجي ربه وعلى موارده تأدب   لم أنسه أو أنثني عنه وروحي فيه تجذب

رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إن أرواح المؤمنين في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت ... عندما قال ذلك سأله أحد الصحابة قائلاً وأرواح الكفار يا رسول ا لله إلى أين ؟ فقال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم إنها **محبوسة في سجين.**

وهناك أقوال أخرى عن مقر الأرواح منها :

١ - يرى أبو نعيم في الحلية أن مقر الروح بعد الموت في **السماء الرابعة في دارٍ يقال لها البيضاء** حيث تجتمع أرواح المؤمنين

٢ - أخرج ابن المبارك عن سعيد بن المسيب إن أرواح المؤمنين في **برزخ من الأرض تسرح حيث شاءت** ونفس الكافر في سجين . وفي التعريف اللغوي لكلمة برزخ جاء على لسان ابن القيم يتضح أن البرزخ هو الحاجز بين الشيئين وكأنه أراد **القول إنها في مكان بين الأرض والسماء .**

باختصار إن الأرواح لا تموت وهي في ملكوت الإله وتبقى متّصلة بالبدن اتصال الشمس بالأرض فمما ذكر في قصة الإسراء والمعراج لحبيب الحق وسيد الخلق محمد صلى ا لله عليه وسلم أنه رأى سيدنا موسى عليه السلام في قبره يصلي وعندما عرج إلى السماء وجده في السماء السادسة قائماً.

هنا قد نجد من لا يعتقد بذلك وفي الجواب نقول : إن كل من يعتقد أن طبيعة الروح من طبيعة البدن أو مثل هذه الطبيعة قد يرى ذلك ولكن هذا غير كائن ولمثل هذا نقول :

يا أخي إن ا لله يسيّر الكون بما فيه من عالم الملك وعالم الملكوت بالفعل كن وأن الروح الإنسانية والتي هي من روح ا لله بإمكانها أن تحرك ذرات تلك الجسد سواء كانت فيه أم بعد أن تغادره إلى جوار ربها . **نكرر فنقول ما المدهش ؟! إن**

الذي يحرك الكون بالفعل «كن» أليس باستطاعته تحريك الجسد بإشعاعات الروح التي عمرته فترة طويلة وتفاعلت معه وذابت فيه .

نعتقد أن هذه الحقيقة من المسلمات وأن بإمكان تلك الروح الخالدة والتي لا تموت [1] .

/كما سبق وبينا/ أن تهب الحياة وبشكل يأذن فيه الإله لهذا الجسد .

---

[1] ذكرت بمجلة عالم المعرفة الكويتية والمعنونة تحت عنوان (الفلسفة المعاصرة في أوربا) الصفحة ٣٧٧ تأليف أ.م بوشنسكي ترجمة :د.عزت راجح أن الروح تخلد ولا تموت

تحضير الأرواح كيف .. ما هو رأي الدين فيه ؟!

عزيزي القارئ لعلك تذكر أننا أكدنا خلال صفحات العنوان السابق بأن الروح لا تموت بموت البدن بل ترحل إلى عالم آخر لتعيش حياة من نوع آخر والسؤال المطروح هنا وضمن هذا العنوان على الشكل التالي : بما أن الروح لا تموت بموت البدن وبما أنها ترحل إلى عالم آخر **فهل يمكن استدعاؤها إرادياً بحيث تحضر** من خلال ما يسمى الآن بجلسات تحضير الأرواح ؟ **إذاً كانت الإجابة لا فبماذا نفسر ما يحصل في هذه الجلسات أو ما يقال عنها .. وإذا كانت الإجابة نعم فكيف ؟**

عزيزي القارئ قبل الإجابة عن هذه التساؤلات يجدر بنا أن نصف ما يحصل في هذه الجلسات . فما الذي يحصل وكيف تجري ؟!

في وصفها وكيفية أدائها نقول : يأتي من يدعي القدرة على تحضير الأرواح ويقوم بتهيئة الظروف **المادية** السابقة للجلسة والمساعدة على نجاحها أو نجاح التضليل فيها /إن كان الغرض ذلك/ مثل : إظلام الغرفة وتسليط ضوء خافت على مكان محدد منها ثم ضوء آخر يناوب المحضر بينهما إذا شاء ثم إعداد أشخاص درّبوا على أداء مثل هذه الطقوس ويحسنون تقليد الأصوات وقبل كل شيء يكون المحضر قد أعدّ نفسه وعرف كيف يختار ضحيته وفق صفات أساسية يجب أن تتوافر في هذه الضحية بحيث تعمل كوسيط في هذه الجلسة وغالباً ما تكون هذه الضحية **امرأة** في حال كان التحضير على وسطاء كبار **أو طفلاً** في حال كان التحضير على وسطاء صغار ويشترط في هذا الطفل أن يكون مستعداً للتبعية وقابلاً للاستهواء والإيحاء غير معاند ولا مكابر لذا ومن هنا نجد أن المحضرٌ يرفض من كان

معتزاً بنفسه مكذّباً بنتائج هذه الجلسات وتكون حجة المحضر في ذلك الرفض أن ثقيل الدم لا يصلح لهذا العمل ذلك أن الأرواح التي ستحضر سوف تضطر إلى تعطيل عقل الوسيط ومن ثم استعارة لسانه وسقف حلقه وعلى الوسيط أن يكون مرناً ومتسامحاً كما أن عليه ألا يمانع في ذلك . وليكون كذلك يجب أن يملك القدر اللازم من مادة الاكتوبلازم التي تشد الأرواح أما الوسيط المقاوم ثقيل الدم فهو لا يملك من هذه المادة وفضلاً عن ذلك فإنه يرسل ترددات مضادة تلغي حضور الأرواح وتعرقل نجاح الجلسة .هذا وقد **تطورت الجلسات** في أوربا في الأيام الأخيرة . بحيث أخذ المحضرون يستدعون الأرواح بالموسيقا والرقص والغناء .أما في العالم الإسلامي فما تزال هذه الجلسات موجودة وتستدعى /وكما يدعي أنصارها/ من خلالها الأرواح وبواسطة آيات من الذكر الحكيم وبتعاويذ وأدعية خاصة .

فماذا عن صدق الادعاءات ، وماذا عن نتائج هذه الجلسات ؟؟ في الإجابة عن هذه التساؤلات نقول صحيح أن الموت لا يقع إلا بالجسد وأن الروح /وبموت الجسد/ ترحل إلى مقرها الخاص بها عبر أجواء الفيض الإلهي وأنها لا تعود إلى الحياة الدنيا إلا بإذن الله سواء باليقظة[1] أو في الحلم كما هو الحال في بعض أشكال الرؤية الصادقة كأن يرى الإنسان النبي محمد (ص) في منامه وقد قال سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم (من رآني في المنام فقد رآني حقاً فإن الشيطان لا يتمثل بي) .

يبقى السؤال بما أن الروح لا تهبط إلى الدنيا في جلسات تحضير الأرواح فماذا نقول فيما يحصل أو نسمع عن هذه الجلسات ؟

---

[1] – يحصل لبعض الناس وخلال جلسات الذكر الديني سواء في الخلوة أو بشكل جماعي ، بمعنى سواء كانوا في جماعة أم كانوا وحدهم غياب تام عن كل أحوال الدنيا واتصال بالعالم الآخر حتى إن بعضهم لينطق وهو في حالة الاتصال تلك عما رآه وجرى معه – إذ يكون قد اتصل مع أرواح أخرى هبطت باتجاه روحه (نقول بذلك على لسان من يبررون ويفسرون هذه الحالات من رجال الدين) .

في الإجابة نقول لقد أجمعت الأقوال في هذا الموضوع على أحد أمرين :

آ - **لا حضور حقيقياً في هذه الجلسات لأي روح لا من الإنس ولا من الجن** وأن كل ما قيل أو يقال إنما كان من الوسيط الذي **فهم من المحضر مسبقاً وبشكل مباشر أو منه أثناء الجلسة وبطريق الإيحاء فعرف ما يريد** المحضر أن يصل إليه فتعاون معه إما لأنه كان شريكاً له أو لأنه كان ممن يقبل التبعية والإيحاء . بل ضعيف الثقة بالنفس وقليل الاعتماد على الذات وكثيرة في المحضر ولاسيما **أن كل من في الجلسة يكون ممن أعلن الولاء المسبق والتصدي العفوي لما يقول له المحضر أو غدا كذلك من هنا يقول هنري سودر : إن أمر تحضير الأرواح مشكوك فيه وأن تلك الظواهر مصدرها العقل الباطن للوسيط والقوى الروحية ولا شيء يحضر البتة .**

ويقول آخر : إن هذه الفصول والأضاحيك تهريج أسماه ممثلوه تحضير الأرواح وأن الذي يحضر ليس بروح بل تخيلات وتصورات يصنعها عقل الوسيط متأثراً بإيحاءات المحضر وبما مر معه من قبل .

من هنا ومن قبيل مراعاة **الشروط النفسية كعامل في نجاح الجلسة كان** المحضرون يختارون الوسيط من الإناث أومن ضعاف الإرادة الذين لا شخصية لهم بل شديدي التواكل سريعي التصديق وهذه وأمثالها من الصفات هي أقرب ما تكون إلى شروط يجب توافرها في نجاح جلسة **التنويم المغناطيسي** التي اتبعها كل من فرويد وشاركو .

ب - لا حضور حقيقياً لأي روح بشرية وإذا كان هنالك حضور فهو لروح القرين الذي كان يرافق الإنسان المتوفى في الحياة الدنيا لأن لكل إنسان قريناً يرافقه كما قال سيد الخلق ونبي الهدى **محمد صلى ا لله عليه وسلم** : (ما منكم إلا **وقد وكّل به قرين من الجن** قالوا ولا أنت يارسول ا لله قال ولا أنا ولكنَّ ا لله

أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير). إذاً الذي يحضر ليس الروح البشرية - برأي هؤلاء - بل روح القرين من الجن **والتي كان يصاحب الميت قبل وفاته** ويعرف أسراره وخفايا سلوكه ذلك لأن الجن يعمرون طويلاً وإن كانوا يموتون في النهاية .

من ناحية ثانية فإن ما ينجح هذه الجلسات أن الجن الذين يحضرون **يحسنون التقليد ويحبون السخرية والتحكم**[1] **وينجحون** فيها خصوصاً إذا كان ذلك الجني غير مسلم . إذ إن القرين يعلم خفايا وأسرار هذا الميت صاحب الروح المطلوب تحضيرها . لذا ومن هنا **قال المفكرون** الهنود : **(إن الذي يتلبس الوسيط أثناء التحضير هو من الأرواح السفلية التي تعرف بعض الأمور عن الموتى وتستخدمها من أجل الضحك والسخرية والتحكم وإضلال الحضور . وهذا مصدر غير مأمون ولا معصوم وقد سمته أوربا أرواحاً لأنه يأتي عن مصادر غير مادية .**

ويتابع هؤلاء فيقولون : إن قولنا بذلك نابع من أن الاتصال بالجن ممكن والقول بوجودهم معمول به في كل الديانات ولدى كلّ الأقوام فلقد قال تعالى في كتابه العزيز : (وأنه كان رجال من **الإنس يعوذون برجال من الجن** فزادوهم رهقاً)[2].

إن ما يؤيد هؤلاء قول الشيخ الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر ومدرس علم النفس في جامعة القاهرة : إن من يحضر هذه الجلسات هو من أرواح الجن وليس الإنس بدليل ما خرجت به بعثة من أقوى جمعيات تحضيرالأرواح في العالم حضرت إلى المسجد الحرام في عام ١٩٦٤ وقصدت المبيت فيه وحصلت على

---

[1] - يقول المستر : ج . فاندلاي : إن الروح التي تحضر الأرواح التي تحضر الجلسات تضحك وتنكت وتقبل السخرية والتملق وتكذب.

[2] - سورة الجن : الآية /٦/

غرفة من أجل ذلك وهناك أمضت طوال ليلة كاملة محاولة تحضير أرواح عادية فلم تفلح ونفس العمل قامت به في المسجد النبوي فلم تفلح أيضاً وكان السبب في ذلك أن **أرواح الجن محرم عليها دخول هذه الأماكن الطاهرة المقدسة** . وهذا إن دل على شيء فهو يدل على أن الأرواح التي كانت تحضر إنما كانت من الجن .

ونفس الكلام يمكن قوله عندما تحدى **الشيخ محمد عبده كبار** أساتذة هذا الفن في أوروبا بأن يحضروا سيد ولد آدم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلم يفلحوا وبرروا ذلك بقولهم هذه روح عالية القدرة عزيزة الجانب لا تحضر .

ولقد **انتقدت** هذه الجلسات ورفضت نتائجها جملة وتفصيلاً وكان من بين المنتقدين **الأستاذ أحمد عبد المنعم الحلواني** الذي ذكر في كتابه الإيمان والروح طبعة عام ١٩٣٦ مايلي :

١ - إن ما يقوله هؤلاء خصوصاً المستر (ج) فاندلاي من أن أرواح الموتى تحضر ثانية إلى عالمنا المادي وذلك بعد أن تستعير من الوسيط افرازاً خاصاً من الاكتوبلازم ينبثق من جسمه بواسطته تخلق لذاتها -ولوقت محدود- لساناً تتكلم به. ويدعى هؤلاء والكلام للأستاذ أحمد عبد المنعم بأن منحاهم علمي في ذلك ولكن الأمور لا تخرج **عن حدود التخيلات والأوهام والأصوات ذلك** لأنها تصدر عن مخلوقات لا نبصرها بل نسمع صوتها .

٢ - إن ما يقوم به هؤلاء من ألاعيب ويدعون أن الأرواح هي التي تؤديها ليس إلا **ضجيجاً وصخباً وجلجلة من** صناعتهم هم وبعد تدريب مسبق فمثلاً يقوم هؤلاء بتحريك كوب الماء الفارغ في الظلام ويدعون بأن الأرواح هي التي تحركه أو يقومون بتحريك البوق ويجعلونه يصطدم بأرجل وأقدام الموجودين ويدعون أن الأرواح هي التي تفعل ذلك .

ويتابع الأستاذ أحمد عبد المنعم في نفس الكتاب فيقول إن كل ذلك من ألاعيب وأضاليل هؤلاء ولو كان الأمر على غير ذلك لقلنا إن العالم **قد أفلت من**

سلطة الإله في هذه اللحظة وأصبح بيد المحضر والأرواح وهذا مستحيل فالخلافة التي تكلم عنها القرآن حين قال : (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل **في الأرض خليفة** قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ... إني أعلم مالا تعلمون)[1] ليس باستطاعتها أن تحقق أو تصل لذلك .

إذاً من استخلفهم الإله وسماهم خلفاء لم يمنحهم الحق في مثل هذه التصرفات بل طلب منهم الحكم بالحق وحذرهم من اتباع الهوى فقال : (ياداود إنا **جعلناك خليفة فاحكم بين الناس بالحق** ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب)[2] .

إن تلك المعلومات من **خيالاتهم ومن تنبؤاتهم ومن خبراتهم التي** حصلوها بطريق العرافة أو الفراسة وليست من أفواه الأرواح .

٤ – وردت عدة معلومات خاطئة ومغلوطة في هذه الجلسات /كأن تقول هذه الأرواح وكما يدعي المحضر/ إن فلان بن فلان هو في الجنة حي يرزق وهذا يخالف رأي القرآن الذي أخبر بأن دخول الجنة أو النار لن يكون إلا بعد الحساب وأن عذاب القبر أو نعيمه إنما هما مرحلتان تسبقان دخول الجنة أو النار وأنهما عائدان لعالم البرزخ الذي يتوسط بين الدنيا والآخرة . أو أن تقول إن الحاجة الضائعة هي في مكان كذا وكذا وتعطي معلومات تفصيلية دقيقة **أما كنتيجة نهائية فلا يوجد شيء في ذلك المكان وهذا ما حصل أمامي وبوجودي إذ أن أحد أصدقائي واسمه حسين** كان فقد ساعته عندما أراد الوضوء ولم يعثر عليها رغم بحثة المتواصل وفي إحدى هذه الجلسات أخبرت الروح التي حضرت /وكما يدعي المحضر/ وعلى لسان طفل بعمر ١٠ سنوات بأن الساعة في الجيب الخلفي لبنطال

---

[1] – سورة البقرة : الآية ٣٠

[2] – سورة ص : الآية ٢٦ .

أخضر قديم مهمل في أحد أدراج الخزانة من الطرف الشرقي وعندما سألنا صديقي حسين أجاب عندي بنطال بنفس اللون وأعتقد في ذاك المكان ويعود إلى فترات مراهقتي ولا أدري إن كانت الساعة فيه وعندما ذهبنا معاً إلى منزل حسين وجدنا بنطالاً بنفس المواصفات التي أعطاها الطفل الذي لم يكن قد دخل منزل صديقنا حسين قط .. **وجدنا البنطال بنفس المواصفات تقريباً ولكن لم نجد الساعة فيه فما التفسير ؟!** الجواب نكرر مع الهنود الحمر بأن هذه الأرواح تسخر وتضحك وتداعب وليس بحقيقة ما تقوله . يبقى أن نضع رأينا في هذه المسألة فنقول :

إن المسألة معقدة وخيوطها متشابكة وتفكيك هذه الخيوط ليس بالأمر السهل ولكن سنضع رأينا ملخصاً في النقاط التالية :

١ - إن ما يحصل مع هؤلاء في جلساتهم /وما حصل معي بالذات إذ حضرت عشرات الجلسات حضور **ناقد يقظ ودارس محلل**/ يشير إلى وجود عالم آخر فيه حياة أخرى وأن الروح تنتقل إليه وتعيش فيه وربما جمعنا في هذه الجلسات النزر اليسير اليسير عن حياة الروح في ذلك العالم إلا أن **احتمال صحة هذه المعلومات قليل وبحدود ٥٪ فما دون إلا إذا أراد ا لله غير ذلك . حتى أنه ضمن هذه النسبة فالمعلومات تاتي مختلطة ومتشابكة .**

٢ - قد يكون الحضور حقيقياً إذ يأذن الإله بذلك لحكمة يريدها هو أو لرسالة يريد نشرها (ا لله أعلم حيث يجعل رسالته)[1] وهذا ما كان قد حصل أمامي وبالحضور اليقظ لكل امكانياتي (و لم أكن **من المصدقين** لما يجري) إذ استدعي المحضر مصطفى وكان شاباً مثلي آنذاك ومن عمري عرف بالصدق والجرأة والنزاهة و لم يكن هدفه كسب المال إذ لم يكن بحاجة . أقول استدعى صديقي المحضر مصطفى روح ولي في البلدة دفن في كهف تحت الأرض وله مزار بني من الحجارة ويسمى بالشيخ يوسف الأسمر وكان الطفل المنوّم أو الوسيط ابناً لشقيقتي

---

(١) - سورة الأنعام : الآية ١٢٤

ولم يسبق له أن تعامل مع المحضر مصطفى وكنت قد أحضرته لأضبط العوامل الجانبية التي تؤثر في النتيجة وكان عمره ١٠ سنوات وخلال الجلسةأجاب وبشكل مفاجئ قائلاً : حضر الشيخ يوسف الأسمر وها هو أمامي فطلبت منه شخصياً أن يسأله من أين هو وماذا حل به ومتى فسأله الطفل هذه الأسئلة فأجاب : أنا جندي مسلم استشهدت في هذه البلدة سرمين[1] في معركة بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح في سنة ١٥ هجرية ثم اختفت الروح و لم تكمل ولدى رجوعي إلى كتب التاريخ وكتاب الكامل لابن الأثير تبين لي صدق هذه المعلومات[2] .

٣- قد **تحضر روح القرين** - والله أعلم - التي كانت ترافق الإنسان المتوفى قبل وفاته والتي غالباً ما تكون حية لأن الجن يعمرون وحضورهم يكون غالباً للدعابة والتسلية **ومعلوماتهم ليست من الغيب بل من مختزنات أسّروها** عندما كانوا يرافقون الوسيط كما قال تعالى في سورة سبأ والآية ١٤ (فلما خرّ تبيّنت الجن أن لو كانوا يعلمون **الغيب** ما لبثوا في العذاب المهين) .

٤- قد تحضر (ولأمر يريده الله) أرواح سفلية من الجن والشياطين تعطي معلومات مجتزأه من هنا وهناك بقصد الهزل والهرج والضحك والتهكم والاستمرار

---

[1] - سرمين : اليوم بلدة تابعة لمحافظة إدلب وإلى الشرق من ادلب بمسافة ٨كم وعلى الطريق الرئيسي بين ادلب ودمشق ومما جاء في تسميتها :

آ - جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي أن سرمين من أعمال حلب واسمها مشتق من كلمة سدوم التي هي مدينة نبي الله نوح عليه السلام .

ب - جاء في احدى الوثائق الآرامية أن سرمين هي مدينة سدوم أو شذوم التي كان يضرب بقاضيها المثل إذ كان يقال (أجود من قاضي سدوم)

ج - قيل إنها سميت كذلك نسبة إلى بانيها وهو سرمين بن سام بن نوح عليه السلام وهذا ما كنا قد أشرنا إليه في كتابنا الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجية والقرآن .

[2] - كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير - الجزء الثاني صفحة ٤٩٥ وقد سبق أن أوردنا ذلك في كتابنا /الحاسة السادسة/ المشار إليه أيضاً .

في إضلال وإغواء الناس وهذا ما يحصل في الهند الآن أو في دول ما كان يعرف بالاتحاد السوفياتي وهذا طبيعي إذ إن هذه تتبع وسائل الغواية والضلالة فتدعي حضور الأرواح .

بواسطة الرقص والأغاني والموسيقا وعدم الحشمة في اللباس وا لله يقول في هؤلاء وأمثالهم (**وما كيد الكافرين إلا في ضلال**)[1] ويقول في دعائهم لحضور هذه الأرواح بهذا الشكل من الفجور (**وما دعاء الكافرين إلا في ضلال**)[2] وسوف يمدهم في طغيانهم **فيشعرهم بنجاح عملهم فيقول : (من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا)**[3].

وفي يوم القيامة فسيعلم هؤلاء أن هؤلاء الجنود الذين شدوا أزرهم بهم وادعوا أنهم رسلٌ من ا لله يمدونهم بمعلومات عن خفايا الأمور سيعلمون أنهم جنود ضعاف كما أخبر تعالى : (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب وإما الساعة **فسيعلمون من هو شر مكاناً وأضعف جنداً**)[4] وينطبق ذلك على من يدعي تحضير **الأرواح بتراتيل يهودية أو مسيحية** .

٥ – يحصل في بعض الجلسات **تخاطر موجه ومباشر وغير موجه أو لا شعوري** ولكن لا ينتبه المحضر إلى ذلك وتحصل بعض الاتصالات وتحصل معها بعض المعلومات يدعي المحضر أنها من الأرواح ناهيك عن معلومات أخرى تأتي عن طريق **العرافة والفراسة أو الحاسة السادسة بما تشمل من مفاهيم** .

٦ – إن ما يحصل في أغلب هذه الجلسات ليس من الأرواح وليس من التخاطر وليس من الفراسة بل هو من مزيج معقد من كذب ونفاق وتمثيل وألاعيب حركية وتغييرات مادية في البيئة تسحر الحواس وتخدعها .

---

[1] سورة غافر : الآية ٢٥

[2] – سورة الرعد : الآية ١٤

[3] – سورة مريم : الآية ٧٥

[4] – سورة مريم : الآية ٧٥

وهؤلاء وأمثالهم اذكرهم بقوله تعالى : **(وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين)**[1] وأقول لهم إن عملكم باطل وإضلال للبشرية وسيأتي يوم تكشف فيه أعمالكم وسيتدحرج باطلكم أمام الحق كما قال تعالى : **(بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون)**[2] **تلك تفسيرات محتملة لما يحصل في جلسات تحضير الأرواح وبرأينا أن ما يحصل لا يشذ عن هذه الافتراضات** ونأمل أن يجد القارئ بعض ما يروي خواطره والله ولي التوفيق .

---

(1) – سورة الأنبياء : الآية ١١١

(2) – سورة الأنبياء : الآية ١٨

الروح والنفس ما الفرق بينهما ؟

عزيزي القارئ الروح والنفس مصطلحان تكررا في كتابنا مرات كثيرة وبأشكال مختلفة لدرجة قد يخيل معها لك أنهما وجهان لعملة واحدة أو مسميان لمفهوم واحد فهل هما كذلك ؟ أو أن هنالك فروقاً بينهما ... ثم إن كانت هناك فروق بينهما فما هي هذه الفروق وما رأي الكاتب في النهاية ؟؟.

في الإجابة عن هذه التساؤلات نقول : النفس **هبة الروح للجسد وهي الشكل الحركي لهذا الجسد** . بل بواسطة الروح كانت النفس **أو كانت حياة النفس بكلام آخر بواسطة الروح انتقلت النفس من طور الكمون إلى طور القوة والفعل وبذلك كانت بل بذلك ظهرت من خلال حياة وحركة قابلتين للملاحظة والقياس .**

من جهة أخرى فإن كل ذلك لم يظهر إلا بعد أن نفخت الروح في الجسد والذي كان جثة هامدة . وفي ذلك يقول تعالى : (ثم سواه **ونفخ فيه من روحه** وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون)[1] **إذاً الروح شيء وهي الكل والنفس شيء** آخر **وهي الجزء** وهناك فروق بينهما ومن هذه الفروق :

١ - كانت **الروح أولاً** وحدها ولم تكن معها نفس ولولا أن نفخت الروح في الجسد وكان السمع وكان البصر والإدراك والوعي لما كانت النفس وبالفعل لا يمكن أن **نتصور أي نفس بلا روح تمدها بالحياة والحركة .**

٢ - **الروح شيء والجسد** شيء آخر **والنفس تتوسط بينهما بل** هي العامل المشترك بينهما . على ذلك نجد فيها **من الروح كالحب** والرضا

---

[1] - سورة السجدة : الآية ٩ .

والاطمئنان[1] وفيها من **الجسد والجانب المادي** كالشهوة إلى الطعام والشراب والجنس وحب التملك ، بل فيها نزوع عدواني بقصد إرضاء هذه الدوافع . من هنا يرى فرويد أن غريزة الدمار والموت محتواة ضمن غريزة الحياة .

٣ - **النفس تموت بالوفاة أما الروح فتقبض من جانب الإله** مع هذه الوفاة وهناك فرق بين الوفاة والقبض . إذ أن الجانب المادي من النفس يموت مع تذوق هذه النفس للموت أما الجانب الروحي منها فلا يموت بل يرحل إلى عالم آخر ا لله **أعلم بشؤون هذا العالم** .

من هنا قال ابن أبي حاتم عن ابن عباس **إنّ الوفاة الحقيقية لا تكون إلا** بقبض الروح أما وفاة النفس خلال الليل فهي وفاة **مؤقتة بدليل أن الجسم يبقى قادراً على الحركة** كما أخبر تعالى حين قال : (ا لله **يتوفى الأنفس حين موتها** والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك **لآيات لقوم يتفكرون**)[2] وفي مثل هذا المعنى يرى مقاتل أن للإنسان **حياة ونفساً وروحاً** فإذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها وبقيت الروح والحياة في هذا البدن .

يبقى السؤال : **ما هو السّر في الخلط بين النفس والروح** أو بين النفس والقلب لدرجة أطلق فيها مصطلح النفس وقصد به الروح كما في قوله تعالى : (يا أيتها **النفس المطمئنة** ارجعي إلى ربك راضية مرضية)[3] أو قوله تعالى أيضاً : (ولو ترى الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم **أخرجوا أنفسكم**)[4] وأطلق مصطلح النفس وقصد منه شيء من مكوناته أو مما تشمله كما في قوله

---

[1] - لو عدت إلى الفصل الأول من هذا الكتاب تجد النفس المطمئنة والنفس الراضية .

[2] - سورة الزمر : الآية ٤٢

[3] - سورة الفجر : الآية ٢٧-٢٨

[4] - سورة الأنفال : الآية ٩٣

تعالى: (فأما من خاف مقام ربه **ونهى النفس عن الهوى** فإن الجنة هي المأوى)[1] أو **قوله** : (فطوعت **له نفسه قتل أخيه** فقتله فأصبح من الخاسرين)[2] .

ولكن في حالات أطلق لفظ النفس وقصد من خلاله **القلب أو العقل** كما في قوله تعالى : (الله أعلم بما في أنفسهم إني إذاً لمن الظالمين)[3]

أو أطلق لفظ القلب وقصد من خلاله النفس كقوله تعالى : (يقولون بأفواههم **ما ليس في قلوبهم** والله أعلم بما يكتمون)[4]

ولكن وفي حالات أخرى أطلق لفظ النفس وقصد من خلاله الإنسان كمخلوق بشري بكل ما يشتمل عليه هذا المفهوم من عقل ونفس وروح وجسد كما في قوله تعالى : (ولو أنا كتبنا عليهم أن **أقتلوا أنفسكم** أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم)[5] .

يبقى أن نتساءل ما هو السِّر في هذا **الخلط بين** مفهوم النفس ومفهوم الروح وفي الجواب نقول : إن السِّر في هذا الخلط يعود إلى التشابه العميق بين هذين المفهومين والذي هو أشبه بتشابه بين ابن مدلل ووالد بارٍّ بحيث يكون هذا الولد قد جاء وفقاً للمبدأ الأول من مبادئ النظرية الموردانية والقائل : الند ينزع لأن يلد مثيله أو المثيل ينزع لأن يلد مثيله . على ذلك تكون الروح بمنزلة الأب وتكون النفس بمنزلة الابن وكما أن الابن هو نتيجة تزاوج بيولوجي بين زوجين كذلك النفس هي نتيجة لتزاوج بين الروح والجسد أو نتيجة نفخ الروح في الجسد وما ينعكس عن ذلك من حياة روحية ومعنوية .

---

(1) – سورة النازعات : الآية ٧٩

(2) – سورة المائدة : الآية ٣٠

(3) – سورة هود : الآية ٣١

(4) – سورة آل عمران : الآية ١٦٧

(5) – النساء : الآية ٦٦

لذا وبما أن الابن ينادي في حالات كثيرة باسم أبيه ينادى الأب باسم ابنه فيقال لوليد أنس الكبير ويقال لأنس وليد الصغير والمعروف أن أنساً هو ابن لوليد .

من هنا وبسبب من :

آ - التشابه التام بين ابنة عاشت مع أمها في كوخ تحت الأرض في المجتمع الصيني القديم لتتعلم طباع الأم وعاداتها ولتؤدي وظائفها .

ب - قيام هذه البنت بتمثيل أمها والقيام بأعمالها والحلول محلها في محافل كثيرة .

إذاً بسبب من هذين الأمرين كان الخلط وكان الاستبدال في استعارة مصطلح النفس بدلاً من الروح والقلب بدلاً من النفس ، والنفس بدلاً من القلب وبرأينا أن هذين السببين هما اللذان دفعا الكثير من الفلاسفة والعلماء والأئمة أمثال ارسطو وأفلاطون وهرقليطس وابن سينا وابن القيم والغزالي وجلال الدين السيوطي إلى اعتبار النفس **والروح مسميين لشيء واحد** وكذلك بل ومن ذلك انطلق الأستاذ **محمد سابق** في كتابه العقائد الإسلامية ص٢٣٥ حيث قال النفس والروح شيء واحد من كل ما سبق حول هذا الموضوع نخلص للقول : الروح شيء والنفس شيء آخر وأن الخلط في استخدامهما كمصطلحين مترادفين يعود إلى طبيعة العلاقة بينهما فهي أشبه ما تكون بالعلاقة بين البنت التي سارت على أقدام أمها وتربت في بيت مغلق على طباعها وحلت محلها بحيث غدت البنت وأمها وكأنهما وجهان لقطعة نقد واحدة أما ما نراه من اتجاهين في هذا التعامل فنرى أن كلاً من أنصار الاتجاهين على صواب (القائلون بالتشابه والقائلون بالاختلاف) ولاسيما أن الروح كانت في مستقرها عند الله روحاً فقط فأصبحت بعد دخول البدن إنساناً له روح ونفس . روح لا تغادره إلا بعد موت النفس إذ تقبض تلك الروح عندئذ من قبل خالقها ونفس يستوفيها الإله عند النوم استيفاء شعاع شع

عن مصدر إشعاعي وابتعد عنه ولكنه بقي متصلاً به وعند الموت استيفاء وهج إشعاعي انطفأ وانعدم نوره .

كلامنا هذا ليس بجديد ولا مدهش فأسرار النفس وآياتها كثيرة وستبقى تتفجر وتنبئ عن ذاتها إلى أن يقوم الإنسان لرب العالمين وكل ما على الإنسان أن يتفكر في هذه الآيات عملاً بقوله تعالى : (وفي الأرض آيات للموقنين **وفي أنفسكم** أفلا تبصرون)[1].

[1] سورة الذاريات : الآية ٢٠-٢١

الضمير ما هو .. في الإنسان من أين هو .. علاقته بالنفس كيف .. هل يمكن تربيته ؟؟

عزيزي القارئ سبق لنا أن أتينا على هذا العنوان في كتابنا الأول (الحاسة السادسة بين منظاري الباراسيكولوجية والقرآن) ولكن هدفنا حينئذ كان غير هذا وصيغتنا كذلك حتى لو تكررت بعض الصيغ فالتعاريف تبقى هي هي والأمانة العلمية تفرض ذلك ؟

عزيزي يقول سقراط : **إن الرجل الذي يمكن أن يحيا سعيداً هو الرجل الذي لا يعمل ما يستوجب تأنيب الضمير .**

ويقول فسيو : **إذهب حيث شئت فأمامك ضميرك .**

ويقول باسكال : **الضمير هو أصدق وأجل كتاب نملكه فيجب أن نسترشد بصفحاته ونستعين بكلماته** كلما حزبنا أمر .

فما هو الضمير .. وفي الإنسان من أين هو .. ما علاقته بالنفس .. هل يمكن تربيته .. كيف ؟؟ هذه أسئلة فسنجيب عليها خلال هذه السطور .

أولاً – ما هو الضمير ؟

إنه الشعور النفسي الذي يقف من المرء موقف الرقيب على أعماله والذي يدعو إلى الخير وينهى عن الشر ويحاسب على كل عمل مظهراً الارتياح إلى عمل الخير والاستياء من عمل الشر [1] .

---

(١) – كتاب العقائد الإسلامية تأليف محمد سابق من جمهورية مصر العربية .

من هنا قيل إنه القوة **العاملة في مجال الأخلاق** وقيل أيضاً : إنه البوصلة[1] التي تهدي الإنسان لعمل الخير وتبعده عن ارتكاب فعل الشر فمن **أين تأتي هذه القوة ؟!**

ثانياً : من أين يأتي الضمير .. وما هو مصدره ؟

يقول **جون سيمون : لا توجد سلطة أخرى تصدر أوامرها بحرية غير سلطة الضمير . والضمير مصدره الروح التي هي من روح ا لله** وفي مثل ذلك يقول الفيلسوف الألماني كانت : الضمير **شعاع نوراني هبط من لدن القوة العليا المطلقة** غير المحدودة[2] إلى القوة المقيدة والمحدودة [3] فهو هاديها إلى الصراط المستقيم وقائدها نحو الطريق القويم.

ويرى علماء الشريعة أن الضمير نور أودعه ا لله بالفطرة ويولد معها وأنه معها موجود في الإنسان وموجود منه في بعض المخلوقات الأخرى . وإن اختلفت التسمية بيننا.

ففي الإنسان نجد أن بداية خلقه تكون على الفطرة السمحة[4] **والتربية هي التي تكسبه ضميراً يحكم حياته الأخلاقية** أو هي التي تنمي فيه ذلك القبس الذي يرافق هذه الفطرة وتنقله من طور القوة إلى طور الفعل .. من ناحية ثانية فمع التربية ومن خلالها يغدو هذا القبس (الضمير) حاسة سادسة يرى الإنسان من خلالها الخير من الشر ويميز بواسطتها الحلال من الحرام وفي ذلك بل بسبب من

---

(1) – البوصلة : أداة لتحديد السمت والاتجاه .

(2) – يقصد قوة الله .

(3) – القوة المحدودة المقيدة هي الإنسان .

(4) – يقول نبي الهدى ومعلم الخلق محمد صلى الله علبه وسلم : يولد المولود على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه .

ذلك يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : الحلال بيِّن والحرام بيِّن ويقول أيضاً: **استفت قلبك** ولو أفتاك المفتون وأفتوك . **فمن هو المفتي في ذلك القلب ؟ إنه الضمير الذي** أخبر عنه الإله حين قال في الحديث القدسي : يا عبدي كيف لا تيئس وفي قلبك سفيري ومتحدثي .؟

وفي غير الإنسان .. في بعض المخلوقات البهيمة نجد أن بعضاً من الضمير مودع فيها والأمثلة على ذلك نأخذها من الجمل الذي **لا يضاجع أنثاه إلا إذا أسدل الستار عليه** ومن الحصان الذي يبقى **بجانب فارسه إذا ما وقع الأخير عنه خصوصاً إذا كان ذلك الحصان هو السبب في ذلك** . إذا يطرق رأسه أسفاً وندماً ويبقى يدور حوله إلى أن يعود ذلك الفارس فيمتطي ظهر ذلك الحصان وهنا سأسوق القصة التالية مكرراً ذكرها إذ أن أغلبنا قد سمع بها من خلال وسائل الإعلام فما هي القصة ؟

في إحدى حلقات **ألعاب السيرك في جمهورية مصر العربية** حصل أن انقضّ **الأسد** على مدربه محمد الحلو وأماته وكان ذلك **في المسرح القومي في القاهرة وأمام جمهور كبير من المشاهدين** فما كان من ذلك المخلوق إلا أن **رفض الطعام والشراب والأنثى** وأنقضّ على يده فنهشها فأصبحت تنزف الدم وبقيت تنزف إلى أن مات .. **مات ندماً وأسفاً على فعلته**.. بل مات منتحراً لفعلته .

نخلص للقول : بالمصاحبة والمعاشرة بين الأسد ومدربه والفارس وفرسه والكلب وصاحبه تم **صقل تلك النفس الحيوانية وأوقظ ذلك القبس الرحماني ووهج إشعاعه .**

ثالثاً : ما هي علاقة الضمير بالنفس ؟

من البداية نقول إن الضمير على علاقة قوية ووثيقة بالنفس بل بالجانب اللوام منها أي على علاقة بالنفس اللوامة وهو - أي الضمير - قوة معنوية يحكم

أفعال الإنسان بشكل غير مرئي وغير ظاهر من هنا فتارة يقال عن صلته بالقلب وثانية عن **صلته بالروح وثالثة بالنفس** وكل هذه مرادفات لغوية تقصد معنى واحداً والصح أن الضمير على صلة وثيقة **بالنفس اللوامة وبالجانب الإيجابي**[١] منها والذي يحتكم لمبادئ العقل والقيم والمثل . لذا ومن هنا **نجد أن المضطرب نفسياً يعاني من اضطرابات في أحكام الضمير عنده تدعى بالاضطرابات الوجدانية إذ** نراه وبسبب منها يقدم على قتل أبيه أو أولاده أو زوجه . بل إنه وحتى في حال وجوده في المصح النفسي لا يقّبِلُ أطفاله الذين جاؤوا لزيارته .

إذاً الضمير من النفس اللوامة بل ولدها المدلل الناطق باسمها والحريص على تحقيق الاحترام لمبادئها وهو المترجم لهذه المبادئ.

رابعاً : هل يمكن تربيته ؟

سبق لنا القول بأن التربية هي التي تكسو الضمير **الثوب الأخلاقي لأنه** -أي الضمير - يولد بالقوة مع ولادة **الإنسان على الفطرة السمحة الخيرة من هنا فإن هذا الثوب يؤخذ من أخلاق المجتمع** بمعنى أن التربية والبيئة الاجتماعية هي التي توجه الضمير وهي التي تنمي هذا القبس وفي ذلك رأي الفلاسفة وعلماء الاجتماع أن الضمير قوة ردع وسلطة زجر تنبت في الإنسان وفق مقتضيات عقائدية أو دينية **وأنه يكون بالتقوى** مصداق ذلك قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن **تتقوا ا لله يجعل لكم فرقاناً**)[٢] والفرقان /وهذا رأينا/ هو الضمير الذي يفرق طريق الخير من الشر والحق من الباطل ويقول في آية أخرى (واتقوا ا لله **ويعلمكم** ا لله)[٣] .

---

(١) - للمزيد من المعلومات راجع الفصل الأول من هذا الكتاب + الموضوع المتعلق بأقسام النفس .

(٢) - سورة الأنفال : الآية ٢٩ .

(٣) سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

إذا وبالخلاصة الضمير ينمو ويتطور ويظهر ريعه وإنتاجه ويجاهد من أجل أن ينتصر ويحقق مبادئه وإلا ينتحر ويموت . ولكي يؤدي أهدافه ومهامه لا بد من تربيةٍ تنميه وتظهر عطاءاته **ولا بد من تربية تنظّم جهاده وتوجهه** . وإن لم يكن الأمر كذلك فكيف با لعالم باسكال يصفه بأصدق كتاب يملكه الإنسان بل يوصي بالاسترشاد بصفحاته وهل يمكن للإنسان أن يتعامل مع هذا الكتاب ويجني ذلك الاسترشاد دون تربية تنظم مواضيعه وتصفف كلماته وتوجه التعليم فيه بما يحقق الأهداف التي وضع من أجلها !

الجواب حتماً لا .. لا يمكن ذلك دون تربية إذاً **لا بد من تربية الضمير من خلال التقوى والخوف من ا لله .**

هذا رأينا وا لله من وراء القصد

المؤلف

من المراجع المعتمدة في هذا الكتاب

١ - د. البوطي (محمد سعيد رمضان) كبرى اليقينيات الكونية .

٢ - الحلواني (أحمد عبد المنعم عبد السلام) الإيمان والروح - القاهرة ١٩٤٧ .

٣ - د. اسماعيل (عزالدين) نصوص قرآنية في النفس الإنسانية - بيروت - دار النهضة العربية ١٩٧٥ .

٤ - د. الجمليلي (السيد) الإعجاز الطبي في القرآن - دمشق - بيروت - دار النصر ١٩٩٣ .

٥ - ابن كثير (الحافظ عماد الدين أبي الفداء) تفسير القرآن العظيم - دمشق - بيروت - دار النصر ١٩٩٣ .

٦ - الشافعي (محمد بن إدريس الإمام المعظم) أحكام القرآن - بيروت - لبنان - دار الفكر .

٧ - صحيح مسلم بشرح النوري - بيروت - دار الفكر .

٨ - الجوزي (ابن القيم) الروح في الكلام على أرواح الأحياء والأموات بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار وأقوال العلماء - بيروت - دار القلم الطبعة الثالثة ١٩٨٣.

٩ - ابن ابي أصيبعة (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) - مكتبة الحياة - بيروت .

١٠ - د. أبو خليل (شوقي) الإنسان بين العلم والدين - دار الفكر .

١١ - عاقل (فاخر) علم النفس دراسة في التكيف البشري - بيروت - دار العلم للملايين - الطبعة الثانية .

١٢ - د. عاقل (فاخر) مدارس علم النفس - بيروت - دار العلم للملايين - الطبعة الثانية .

١٣ - د. عاقل (فاخر) معجم علم النفس - بيروت - دار العلم للملايين .

١٤ - د. عاقل (فاخر) طبائع البشر - كتاب العربي - الكتاب السادس .

١٥ - د. عكاشة (أحمد) علم النفس الفيزيولوجي - دار المعارف المصرية - الطبعة الرابعة ١٩٧٧ .

١٦ - د. ولي آغا (كاظم) علم النفس الفيزيولوجي - دار الآفاق الجديدة .

١٧ - د. الشيخ (يوسف محمود) وعبد الغفار (عبد السلام) سيكولوجية الطفل غير العادي والتربية الخاصة .

١٨ - د. فهمي (مصطفى) مجالات علم النفس - الجزء الثاني سيكولوجية الطفل غير العادي - دار النهضة العربية .

١٩ - كارنيجي (ديل) دع اقلق وابدأ الحياة - تعريب الزيادي - مكتبة الخاني جمهورية مصر العربية .

٢٠ - د. حقي (إحسان) أسرار الخلقة وإبداعها - دار اليقظة العربية .

٢١ - الطرابلسي (عبد الحميد) مع النفس المطمئنة - دمشق - المطبعة العلمية .

٢٢ - د. زهران (حامد عبد السلام) علم النفس الإجتماعي - عالم الكتب .

٢٣ - ابن سينا كتاب الشفاء - المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .

٢٤ - د. أبو حطب (فؤاد عثمان) سيد أحمد - التقويم النفسي - المكتبة الانجلو مصرية.

٢٥ - د. جلال (سعد) في الصحة العقلية - دار الفكر العربي .

٢٦ - الخضري الشيخ (سليمان) الفروق الفردية في الذكاء - دار الثقافة بالقاهرة .

٢٧ - الرازي (فخر الدين) النفس والروح - دار الحكمة .

٢٨ - أسرار الكون - تحقيقات وشواهد -عدة مؤلفين- لجنة الترجمة في دار علاء الدين.

٢٩ - اليازجي (ندرة) العقل والنفس والروح - دار اليقظة .

٣٠ - د. صالح (عبد المحسن) من أسرار الحياة والكون - كتاب العربي - الكتاب الخامس عشر .

٣١ - هيتمان (فرانسوا) السيطرة على المستقبل - دمشق وزارة الثقافة - ١٩٨١ .

٣٢ - كاغان (جيروم) نمو الشخصية - دمشق - وزارة الثقافة ١٩٨٣ .

٣٣ - كوفالون (الكسندر) علم النفس الاجتماعي ترجمة - نزار عيون السود - الكتاب الرابع عشر .

٣٤ - داكو (بيير) الإنتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث - جزء ثان - دمشق وزارة الثقافة - ١٩٨١ .
٣٥ - فرويد (سيجومند) قضايا في التحليل النفسي - دار الآفاق الجديدة .
٣٦ - فيرست (تشالز) الدماغ والفكر - ترجمة محمود سيد رصاص - دار المعرفة ١٩٨٧.
٣٧ - شوفان (رومي) الموهوبون - سلسلة الدراسات النفسية ٢٠/دمشق ١٩٨٥ .
٣٨ - برجسون (هنري) المادة والذاكرة - دراسة في علاقة الجسم بالروح - دمشق ١٩٨٥ .
٣٩ - تومبسون (آلان . ي) نحو فهم المستقبلية - ترجمة ياسر الفهد - دمشق وزارة الثقافة ١٩٨٣ .
٤٠ - بيلفر (غاي ليون) التخاطر عن بعد الاستبصار قوة العقل والإرادة - ترجمة عيسى سمعان .
٤١ - شاردان (تيارده) موقع الإنسان في الطبيعة - ترجمة ندرة اليازجي .
٤٢ - مودي (ريمون . أ) حياة بعد حياة - ترجمة الدكتور - الكيالي والرضوي .
٤٣ - كاريل (ألكسيس) الإنسان ذلك المجهول - مكتبة المعارف - بيروت .
٤٤ - روز (ستيفين) وآخرون - علم الأحياء والإيديولوجيا والطبيعة البشرية الكويت - عالم المعرفة - العدد ١٤٨ .
٤٥ - سايمنتن (دين ليث) العبقرية والإبداع والقيادة - الكويت - عالم المعرفة العدد ١٧٦ .
٤٦ - تايلور (جون) عقول المستقبل - الكويت - عالم المعرفة - العدد ٩٢ .
٤٧ - آرجايل (مايكل) سيكولوجية السعادة - الكويت عالم المعرفة العدد ١٧٥ .

الفهرس والمحتويات



هذا الكتاب

يأتي هذا الكتاب حلقة ثانية في سلسلة الدراسات النفسية القرآنية بعد الكتاب الأول ذي العنوان :

الحاسة السادسة
بين منظاري
الباراسيكولوجيا والقرآن

ويستعرض المؤلف في الكتاب الجديد مظاهر ومجاهيل وحقائق لم تهتد إلى بيت القصيد في سيرها ، ويجيب عن خواطر وتساؤلات وضعت صاحبها على حافة الاضطراب النفسي . ويعتمد فيه السير بين خطين من الهدي القرآني والإحتكام العلمي .

يكشف خفايا النفس / ذلك اللغز / ويوضح حقيقة العقل / هذا الفارس الموجه / ويغير سراديب في الروح / ذلك السّر الإلهي .

ففي النفس يجيب عن تساؤلات كالتالية :

ماهي النفس ... ما هي آفاقها ... وإلى أين تمتد تلك الآفاق ... من هي النفس اللوامة ... ماهي الدلائل النفسية على وجود الله ... النفس ذلك اللغز كيف نتعامل معه ؟؟

وفي العقل يجيب عن أسئلة كالتالية :

ماهو العقل ... هل هو الدماغ أم هو منه ... علاقته بالقلب كيف ... الحب ذلك الاتجاه العاطفي الرقيق أين مسكنه ... في القلب أم في الروح ؟؟؟

أما في الروح فيزحزح الستار عن أسئلة من مثل :

الروح ذلك السر الإلهي في الإنسان أين وكيف ومن أين ... طبيعتها كيف ... قبل الخلق أين كانت ... علاقتها بالعقل كيف ... أتنوب منابه فتحي معرفة ... عند من... أكلُّ الأرواح تجيء معرفة لِمَ لا ... هل تموت الروح بموت الجسد ... تحضيرها بعد الموت هل هذا كائن ؟؟؟

كل هذه وأسئلةٌ كثيرة غيرها أجاب عنها الكتاب